

تأليف: الدكتورة لي غيل يو

المروحة الورقية الجميلة

ترجمة:

الدكتور كيم جونغ دو (موسى)

دو كافي
SEFSAPA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAPA.NET



المروحة الورقية الجميلة

تأليف: الدكتورة لي غيل يو

الدكتور كيم جونغ دو (موسى) / حصل المترجم كيم جونغ دو (موسى) على درجة الدكتوراه من جامعة أم درمان الإسلامية (١٩٩٢). قام بتدريس اللغة العربية والتربية العربية والإسلام ودراسات الشرق الأوسط في جامعة "ميونخ جي" قبل تقاعده، وقد تقلد منصب مدير معهد دراسات الشرق الأوسط فيها حتى ٢٠٢١. كما شغل منصب رئيس الجمعية الكورية للشرق الأوسط، ورئيس الجمعية الكورية للغة العربية والأدب العربي. ألف وشارك في تأليف أكثر من ٧٠ بحثاً و٣٥ كتاباً في اللغة العربية والتعليم العربي والإسلام. وحالياً هو باحث أول في معهد دراسات الثقافة الآسيوية بجامعة غاتشون، ومدير معهد الثقافات العالمية بها.

.....
المروحة الورقية الجميلة

طبعة ٢٠٢٢

رقم الإيداع: ٢٠٢١/٢٧٩٨٨

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٢١-٢٣٧-٢

جميع الحقوق محفوظة ©

عدا حالات المراجعة والتقديم والبحث والاقتباس العادية، فإنه لا يسمح بإنتاج أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.

No part of this book may be reproduced or utilized in any form or by means electronic or mechanical including photocopying recording or by any information storage and retrieval system without prior permission in writing of the publishers.

الناشر

محمد البعلي

إخراج فني

علاء النويهي

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي دار صفصافة.

دو سافا
SEFSafa PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSafa.NET
sefsafapr@gmail.com

دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات
٤٩ شارع المخزن- العمرانية- الجيزة- مصر

المروحة الورقية الجميلة

تأليف: الدكتورة لي غيل يو

ترجمة: الدكتور كيم جونغ دو (موسى)

دو كيم
SEFSafa PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSafa.NET

بطاقة فهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية،
إدارة الشئون الفنية

لي غيل يو

المروحة الورقية الجميلة: تأليف: لي غيل يو، ترجمة: كيم جونج دو

الجيزة، دار صفافة للنشر والتوزيع والدراسات، ٢٠٢١

٢٣٦ ص، ٢٤ سم

تدمك ٢-٢٣٧-٨٢١-٩٧٧-٩٧٨

١- لي غيل يو - السيرة الذاتية

أ- كيم جونج دو (مترجم)

ب- العنوان

رقم الإيداع: ٢٠٢١/٢٧٩٨٨

المحتويات

افتتاحية: المروحة الورقية التي لا تكف عن الحركة، وموكب النصر	٧
توصية: عالم المنفعة العامة المُشرق الذي يخلقه القلب الدافئ	١١
الجزء الأول: خطة الألفية الكبرى	١٣
١. اخطوا خطوة للأمام	١٥
٢. لا يوجد سقف للأحلام	٥٣
٣. اركض ٢٥ ساعة في اليوم	٦٧
٤. ابحث عن الأكثر تقدماً	٨١
٥. الكوادر البشرية هي الثروة	١٠٥
الجزء الثاني: الاختيار	١٢٥
٦. جوهر إدارة المصلحة العامة	١٢٧
٧. الإنسان قبل كل شيء	١٥٣
٨. ضع نفسك موضع الآخرين	١٧٥
٩. القضية الكبرى دائماً لها مكافأة	١٩٣
١٠. كن إيجابياً وواثقاً في كل ما تقوم به.	٢٠٧
الخاتمة	٢٢١
تعريف بـ"جامعة غاتشون"	٢٢٥
كلمة المترجم	٢٣٣

افتتاحية

المروحة الورقية التي لا تكف عن الحركة، وموكب النصر

كان هناك تل قاحل مهجور؛ تل ممتد بحيث لا يمكن رؤية نهايته، فاعتقد الناس أنه سيتحول عاجلاً أم آجلاً إلى صحراء. وذات يوم، شرع أحد الأشخاص في غرس شجيرات به، فسخر منه أهل القرية قائلين:

- "لماذا يغرّس هذا الرجل أشجاراً لا طائل من ورائها في تل قاحل كهذا؟".

- "من يدري؟ ربما يصبح هذا المكان غابة ذات يوم!".

- "بعد مئة عام؟ أو مئتي عام؟".

واصل أهل القرية جميعاً سخريتهم منه، ومع ذلك، لم يتوان يوماً في غرس الأشجار. مر شهر، والشهر أصبح عاماً، وبالكاد نمت تلك الأشجار، فلم يتجاوز طولها مقدار كاحله، ولم تكن أفضل حالاً من الشتلات الصغيرة. فلم يكف الأهالي عن التهكم به. وسئمت أسرته الجدل معه كل يوم، فقرروا أن يدعوه وشأنه. ثم مرت عدة أشهر، لحقتها عدة أعوام.

بدأت تلك الأشجار تورق إلى حد كبير. وفي يوم من الأيام، بدأ واحد أو اثنان من الأطفال الذين يركضون ويلعبون في أزقة الحي تقليده.

لم يتعد الأمر في البداية فكرة اللهو، ولكن بمرور الوقت أصبح الأطفال يتبارون

حول من يكون الأسرع في غرس الأشجار، حتى أصبح ذلك نشاطهم المفضل. والطيور تحلق فوق الأشجار التي غرسها الرجل معهم. وأسرته وجيرانه بعد أن شاهدوا ذلك، بدؤوا في غرس الأشجار معه أيضاً، وكذلك فعل أهل القرية جميعاً.

مر زمن طويل، وتحول التل الكبير الشاسع -الذي كان يمتد حتى نهاية الأفق- إلى غابة مشجرة. وكان الرجل الذي بدأ تشجير ذلك التل قد فارق الحياة، وكذلك جميع أفراد أسرته وجيرانه. ومع ذلك، لم يتوقف أهالي القرية وواصلوا غرس الأشجار، حتى أصبح هذا الفعل بالنسبة لهم جزءاً لا يتجزأ من حياتهم اليومية كالأكل والشرب.

ما سبق كان ملخص رواية "الرجل الذي غرس الأشجار" للروائي الفرنسي "جان جيونو"، ويتمثل جوهر تلك الرواية في أن تضحية الرجل المستمرة وتفانيه في عمله قد مكنته في النهاية من صنع المستحيل، فحول التل القاحل إلى غابة من الأشجار يستمتع بها الجميع، لا هو فحسب. ونخلص من ذلك إلى أن استغلال إمكانات الفرد وقدراته لصالح تقدمه وتقديم المجتمع الذي يعيش فيه، ينتج مجتمعاً صحياً تحفه أجنحة السلام.

هناك قصة مماثلة أيضاً في آسيا، وهي قصة من الصينية الكلاسيكية بعنوان "الرجل العجوز الأحمق يزيل الجبال"، التي وردت في كتاب "أسئلة تانغ" للكاتب "لي يوكو". وتدور حول رجل تسعيني يدعى "يو غونغ" ضاق بالجبل الشاهق الذي يحجب عنه الرؤية، فقرر أن يزيله، ولكن أسرته وكل المحيطين به أثنوه عن ذلك. فقال لهم: "إن لم أستطع إنجاز ذلك في حياتي، يمكن أن يواصل أحفادي المسيرة من بعدي، وأن يكملوا تحطيم الجبل، وينقلوا بقايا أحجاره في البحر حتى يزيلوه"، ثم شرع في نقل نواتج التحطيم. وأثارت إرادته إعجاب "الإمبراطور جايد" -أحد الآلهة في الثقافة الشعبية الصينية- فنقل الجبل لأجله في النهاية.

يتبادر إلى الأذهان مقولة: "قوة الإخلاص في العمل يمكنها أن تلمس قلب السماء". وهي تعني أنه عندما تبذل قصارى جهدك بأقصى درجات الإخلاص، تتأثر السماء، فتتحرك لتنفيذ إرادتك. وإذا تأملنا الأمر، يمكننا أن نجد الكثير من

الحالات التي كانت "السماء" فيها تشير إلى عقل الإنسان وقلبه، وهو المعنى نفسه الذي يحمله الفكر الفلسفي الآسيوي، الذي يؤمن بأن الإنسان هو السماء "إن ناي تشيون". فالإنسان الضعيف محدود القوى، قد أنعم الله عليه بنعمة القلب، فإذا ما اتحد قلبي وقلبك وقلوب العالم أجمع على قلب رجل واحد، استطعنا أن نحقق معجزة عظيمة لا تقل عن السماء.

فإرادة الرجل في غرس شجرة واحدة في أرض بور لتحويلها إلى بستان، وشغف العجوز لتحطيم أحجار الجبل الشاهق ونقلها إلى البحر لإزالته، أمور تبدو للوهلة الأولى حمقاء ميوؤسًا منها. ولكن مثل هذه الأفعال الحمقاء نفسها، يمكنها أن تحرك قلوبنا وقلوب جيراننا، حتى إذا بلغت مبلغًا مؤثرًا، أصبحت قوة خارقة تستطيع أن تحرك العالم وتغيره. أليس هذا ما يحدث عندما يتغير التاريخ، ويتحول العالم؟!

لقد كرست حياتي بأكملها لمجالين هما الطب والتعليم. في الخمسينيات، عندما أصبحت طبيبة، كان الواقع الطبي في كوريا فقيرًا مترديًا لدرجة يمكننا معها تشبيهه بالأرض البور. ولكنني رسمت -بقلب الرجل الذي غرس الأشجار في الأرض البور- خطة مستقبلية في عقلي، وكرست نفسي لتحقيقها. نسيت الطعام والنوم وأنا غارقة وسط المرضى وذائبة بينهم. بدلًا من أن أتحمل ذلك الوضع على مضض، وأفكر في التغلب على تلك الصعاب، كنت سعيدة واستمتعت بالتحديات الموجودة في تلك البيئة، وهكذا مر نصف قرن من الزمان.

بوصفي طبيبة، أسست "مستشفى غيل"، وخضت غمار عالم الأعمال في مجال التعليم، الذي كان حلمًا آخر لي منذ نعومة أظفاري. لم يكن التعليم مجال تخصصي، ولكنني لم أستطع أن أطفئ رغبة التحدي التي بدأت تفيض داخلي، أخذة في الفوران كما الحمى.

دأبت على العمل ليلاً ونهارًا، أهروول هنا وهناك حتى أنشأت جامعة غاتشون للطب والعلوم (GUMS)، واستحوذت على "جامعة كيونغ وون"، وكان ذلك طريقي لأداء واجبي الوطني من خلال كوادر بشرية ماهرة. إن مجالي الطب

والتعليم لا يعتبران من مجالات الأعمال التي يمكنك من خلالها تحقيق مكاسب وجمع ثروات طائلة. لذلك، حاول الكثيرون أن يبعدوني عن الانغماس في مثل هذه الأعمال التي تخدم المصلحة العامة، مثل من يخرس شجرة التفاح اليوم لتؤتي ثمارها في المستقبل البعيد، ولكنهم لم يستطيعوا أن يثنوني عن المضي قدماً.

عندما كنت صغيرة، اعتدت أن أركض على التلال مع أصدقاء الطفولة حاملةً بيدي المروحة الورقية، التي عشت حياتي مثلها، أركض في طريقي (نحو تحقيق أهدافي)، مستمتعةً بالرياح التي تعترضه. كان علي أن أتحمل الصعاب، وأنا لا أعرف حتى ماذا يوجد على بعد بوصة واحدة أمامي. تعرضت للكثير من التحديات والإحباط، ولكنني واصلت التحدي، فلم أتوقف عن التحدي، تمامًا كالمروحة الورقية التي تتزايد قوة دورانها كلما اشتدت الرياح المعاكسة. تغلبت على تلك الرياح، ولم أستسلم، وواجهت تلك التحديات بثبات.

المروحة الورقية -بالنسبة لي- هي معنى الحياة، وموكب النصر. وطريقي كان طريقاً شاقاً بلا رفيق، ولكنه منحني الشعور بالفخر وتقدير الذات. فحصلت ثمار الأشجار التي غرستها من خلال "مستشفى غيل"، و"جامعة غاتشون" بحرميها الجامعيين، و"صحيفة كيونغين اليومية"، و"مؤسسة غاتشون الثقافية"، و"مدرسة شين ميونغ الثانوية للبنات". والآن، تنمو هذه الأشجار جيداً وبسرعة كبيرة، كما تنمو الكوادر البشرية التي ستواصل حلم المروحة الورقية. هذه هي القيمة والثروة الحقيقيتان.

الكوادر البشرية هي الأمل والثروة، وسيكتمل حلمي عندما تصبح تلك الكوادر الضوء الذي ينير ما حولنا والعالم أجمع.

خريف عام ٢٠١١

غاتشون - "لي غيل يو"

توصية

عالم المنفعة العامة المُشرق الذي يخلقه القلب الدافئ

في الكتاب الصيني "ثلاثة أحرف كلاسيكية" هناك قصة لفتاة تدعى "هوانغ هيانغ" كانت تدخل تحت الغطاء الذي سيتدثر به والداها قبله لتدفئه لهما بجسدها في ليالي الشتاء القارس. وهناك أيضًا قصة أخرى مشابهة في اليابان، تروي حكاية حاجب الملك الذي كان يسير ضامًا حذاء سيده إلى صدره في الشتاء، وبفضل ذلك كان سيده يستطيع أن يرتدي حذاءً دافئًا على الدوام. تدور القصة حول "تويوتومي هيدوشي"، الذي أشعل فيما بعد حرب "إيمجين واي ران" في كوريا -الغزو الياباني لكوريا عام ١٥٩٢- بعد أن وقعت اليابان كلها في قبضة يده. وهناك قصة مختلفة قليلًا في كوريا، تتناول حكاية طيبة كانت تسير دائمًا وهي تضم سماعتها الطبية إلى صدرها، ولا داعي لتفسير أنها كانت تقوم بذلك حتى لا يشعر المرضى بتلك البرودة المعهودة للسماعة الطبية عندما تلمس صدورهم.

تتشابه كل تلك القصص في أنها تدور حول الحب والتفاني لأولئك الذين شاركوا حرارة أجسادهم مع الآخرين، ولكنها تختلف في معناها المنشود. فالأولى تشير إلى بر الوالدين، وهو الواجب الذي يجب أن نقوم به نحو آبائنا الذين هم سبب وجودنا في الحياة، والذين قاموا بتربيتنا. والثانية ترمز إلى الخادم وواجبه تجاه سيده الذي يملك بيده حياته وموته. أما القصة الثالثة عن الطيبة التي كانت تضم دائمًا سماعتها الطبية إلى صدرها، فحملت معنى الرعاية الطاهرة والحب الدافئ للآخرين. إنه -مهما تعمدنا تزييفه- عمل نقي لا ينطوي على أي حسابات أو مصالح شخصية.

بطلة قصة تلك السماعة الطبية الدافئة هي دكتورة "لي غيل يو". تحولت تلك السماعة -التي طالما ضمتها إلى صدرها- اليوم إلى جهاز التصوير بالرنين المغناطيسي (V-Tesla) الذي نفخر بأنه يتمتع بأعلى درجة نقاء في العالم. لم يقتصر الأمر على هذا فقط، فمن رحم التفاني في أنقى صورته ولدت منشأة طبية ضخمة تسمى "مستشفى غيل التابع لجامعة غاتشون"، وعنها نتجت "جامعة غاتشون" بوصفها مؤسسة تعليمية راسخة الجذور، بل إنها ذهبت إلى ما وراء ذلك، فأنشأت العديد من مؤسسات الخدمة العامة؛ مثل: معهد بحوث "قرية ساي سال" الذي يسعى لدعم تربية الرضع والأطفال والأجنة من فترة ما قبل الولادة إلى سن الثالثة. يمكننا القول إن تفاني "لي غيل يو" -رئيسة المؤسسة- وحكمتها هما بحق نموذج للمسؤولية الاجتماعية للشركات (CSR).

من الصعب توقع نمو مستقبلي لتلك الشركات التي لا تمد يد المساعدة إلى المحتاجين والمأزومين. في الماضي، كانت الشركات تقوم بإدارة أعمالها استناداً إلى العقل وحده. ولكن في عصر المشاعر والتعاطف والتعايش الحالي، لا يمكن للمؤسسات إدارة أعمالها دون وضع العواطف في الاعتبار. هذا الكتاب "المروحة الورقية الجميلة" يقدم لنا تلك الفكرة؛ حيث يتناول ماهية القيادة في الخدمة العامة، وما تجلبه من نتائج، وأسلوب هذه القيادة وأهدافها بناءً على جميع برامج المساهمة الاجتماعية التي نفذتها حتى الآن رئيسة مؤسسة كبرى هي "لي غيل يو". لقد كانت أفعالها تجسيداً للقول المأثور في كوريا: "الطيور لا تذرف دموعاً حين تبكي"؛ حيث أظهرت لنا مدى القيمة التي لا تقدر بثمن لتقديم الخدمة الاجتماعية بلا دعاية ولا ادعاء، والقيام بالأفعال دون التباهي بها. يقال إنه ربما تعرف ما يوجد تحت ماء يمتد على عمق عشرة أمتار، بينما لا يمكن معرفة ما يكمن في قلب إنسان، ولو كان بعمق متر واحد، ومع ذلك، فيمكنك في هذا الكتاب أن تعرف كل ما تحمله بطلته داخلها من خيال لا محدود، وتفانٍ، وحكمة، وشخصية فريدة.

شتاء ٢٠١١

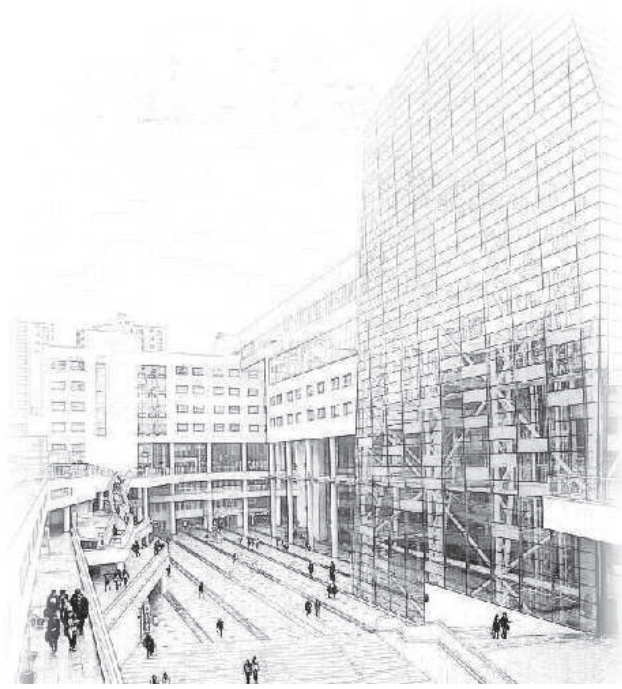
"لي أو ريونغ"

أول وزير للثقافة في كوريا

الجزء الأول

خطة الألفية الكبرى





١. اخطوا خطوة للأمام

الحب: اسم مختلف للخدمة العامة

بعد ظهر يوم ١٥ أكتوبر ٢٠١٠، وبينما أنا متجهة للدخول من بوابة حرم "جامعة غاتشون" -الواقع في مدينة "سيونغنام" بمقاطعة "غيونغي-دو"- تبادر إلى ذهني مجموعة من الأفكار. كان يوم حفل قص الشريط تديشياً لافتتاح مبنى "فيجن تاور" (Vision Tower) الذي تم بناؤه حديثاً داخل الحرم. بعض الأرقام القياسية التي حصل عليها "فيجن تاور" كونه "الأفضل" منحتني الشعور بالارتياح. الارتياح لأنني وفيت بوعدتي للطلاب، ولأن لدي القدرة على الاستمرار في الوفاء بذلك الوعد. "فيجن تاور" كان "رمزاً للوفاء بالوعد" بالنسبة لي أكثر من كونه أي شيء آخر، وغابة أشجار للجميع تشكلت من غرس شجر في أرض بور. وبعد نحو تسعة أشهر من حفل قص الشريط (١١ يوليو ٢٠١١)، حصلت على موافقة وزارة التعليم والعلوم والتكنولوجيا للدمج بين "جامعة كيونغ وون" و"جامعة غاتشون للطب والعلوم". وهكذا كان ميلاد "جامعة غاتشون" الجديدة.

استحوذت "مؤسسة غاتشون غيل" في عام ١٩٩٨ على "جامعة كيونغ وون" التي كانت تعاني من مشكلات مالية، ودمجتها مع "كلية كيونغ وون للخدمة الاجتماعية" (نظام السنتين) في يناير ٢٠٠٧. وطلعت "جامعة غاتشون للطب والعلوم" إلى الوجود في أوائل عام ٢٠٠٦، بعد دمج "جامعة غاتشون للطب والعلوم" مع "كلية غاتشون غيل للخدمة الاجتماعية" (نظام السنتين). في ديسمبر ٢٠٠٩، وافق وزير التعليم والعلوم والتكنولوجيا على دمج "المؤسسة التعليمية لجامعة غاتشون للطب والعلوم" مع "المؤسسة التعليمية لجامعة كيونغ وون" لتكون الانطلاقة لمؤسسة جديدة تحت اسم "مؤسسة غاتشون كيونغ وون الأكاديمية". دمج هاتين المؤسستين كان إجراءً تحضيرياً للدمج بين "جامعة كيونغ وون" و"جامعة غاتشون للطب والعلوم". وكان السبب وراء حماسي

لدفع الدمج بين الجامعتين هو توقعي لتأثير التآزر الذي سينتج عن ذلك الدمج. فالدمج بين "جامعة كيونغ وون" -الجامعة المرموقة التي بزغ نجمها والواقعة في جنوب العاصمة سيئول- و"جامعة غاتشون للطب والعلوم" -التي كانت أفضل كلية متخصصة في الطب والعلوم الحيوية والرعاية الصحية في كوريا- من شأنه وضع حجر الأساس لكلية طب يمكنها أن تكون واحدة ضمن أفضل ١٠ جامعات خاصة في كوريا. كما ثمن المجتمع التعليمي أيضاً الدمج بين الجامعتين متوقعاً أنه سيخلق تآزرًا يدعم نقاط القوة، ويرأب صدع نقاط الضعف فيهما. بمعنى آخر، إن نقاط القوة التي تتمتع بها "جامعة غاتشون للطب والعلوم" هي مجالات الطب والعلوم الحيوية والرعاية الصحية، ونقاط قوة "جامعة كيونغ وون" تكمن في مجالات العلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية، والهندسة، والفن. لذا؛ فالدمج بين إمكاناتهما، سيخلق للكيانين فرصة ليصبحا معاً جامعة مرموقة عالمياً.

من المتوقع أن تخفض أعداد الأطفال في سن الالتحاق بالمدرسة، وبالتالي سيأخذ عدد خريجي المدارس الثانوية منحنىً هابطاً بدايةً من عام ٢٠١٨ مقارنةً بحصة الالتحاق الطلابي بالجامعات بوصفها عاقبة لانخفاض معدل المواليد في كوريا الجنوبية. وتعاني العديد من الجامعات في الوقت الحالي أيضاً مصاعب كثيرة في استقطاب الطلاب، كما انخفض بالفعل معدل شغل الأماكن الفارغة للطلاب الجدد بالجامعات.

**

إذا لم نندق ناقوس الخطر، فسنرى قاعات محاضرات خالية من الطلاب. والجامعات التي لا تمتلك القدرة التنافسية ستواجه خطر البقاء لا محالة.

فالعديد من الجامعات في اليابان قد اختفت بالفعل أو تكافح من أجل البقاء؛ بسبب عدم قدرتها على شغل الأماكن الفارغة بها، فعدد من الكليات اليابانية بنظام السنتين أو السنوات الثلاث، التي تعادل كليات الخدمة الاجتماعية في كوريا قد أغلقت أبوابها. ذلك هو السبب وراء الأصوات المؤكدة على ضرورة إصلاح هيكل الكليات. وضعت المؤسسة في اعتبارها تلك المعطيات، فأعدت إصلاحات هيكلية

طوعية استعدادًا لذلك منذ عدة سنوات. وقد أتى ذلك بثماره في صورة الدمج بين "جامعة غاتشون للطب والعلوم" و"مستشفى غيل التابع لجامعة غاتشون"، وبين "جامعة كيونغ وون" و"كلية الخدمة الاجتماعية كيونغ وون"، علاوةً على الدمج الذي تم هذه المرة بين "جامعة غاتشون للطب والعلوم" و"جامعة كيونغ وون".

إذا كنت ترى ما سيجري في المستقبل ولم تستعد لمواجهة، فستدمر نفسك لا محالة. الدمج من أجل ميلاد "جامعة غاتشون" لم يتم إلا بفضل التحضيرات الدقيقة الهادفة إلى تأمين التنافسية في غمار المعركة الشرسة من أجل البقاء، والتغلب على الصعوبات المرتقب اندلاعها في المستقبل. كذلك وضع الدمج قاعدة الانطلاق للجامعة لكي تفضز إلى مصاف الجامعات العالمية. وأنا مؤمنة بأن الدمج بين الجامعتين سيعمل على التكامل بين نقاط الضعف ونقاط القوة بهما وتعزيزها، لتصبح "جامعة غاتشون" جامعة مرموقة تتمتع بقدرة تنافسية قوية.

ومع ذلك، فقد تحديت الصعاب، وكان هدفي من "جامعة غاتشون" -التي جاءت إلى الوجود ثمرة للدمج بين الجامعتين المذكورتين في جامعة واحدة- هو تهيئة أفضل بيئة ممكنة للطلاب. ولم يكن لي أي هدف أو غرض آخر غير ذلك.

اسم "غاتشون"، كان مستلهمًا من عبارة "غا-هوي-هاب-راي سو-ساي-إن-تشون" المكتوبة بخط فني على لوحة أهداني إياها الدكتور "ريو سيونغ كوك" -المدير السابق لأكاديمية الدراسات الكورية- متمنيًا التقدم للجامعة والمؤسسات الطبية التابعة لـ"مؤسسة غيل". وتعني هذه العبارة "إن القلب الجميل بحق يصنع حياةً سليمة، ونبع الحياة الذي لا يجف يجعل العالم صحيًا". إذا تأملنا مقاطع العبارة السابقة، سنجد المقطعين المحددين بالخط العريض: "غا" بمعنى (الجمال) و"تشون" بمعنى (نبع)، ومنهما تتألف كلمة "غا + تشيون"، وهي تنطوي على معنى عميق وهو "النبع الذي تتدفق منه الطاقة الجميلة". قراري باختيار اسم "غاتشون" ليكون اسم الجامعة المدمجة -الذي كان مبنياً على جمع آراء هيئة التدريس والموظفين بالجامعة والخبراء- حمل في طياته تطور الإرادة

والتوجه نحو المستقبل والرغبة في الحفاظ على قيمة شعار كلية "غاتشون" للطب. لم يتوقف الأمر ببساطة عند دمج جامعتين، ولكنني عقدت العزم على أن أكرس نفسي لأجعلها ترتقي إلى مصاف الجامعات العالمية. وكما يحمل اسم "غاتشون" معنى "النبع الذي تتدفق منه الطاقة الجميلة"، حددت هدفي لتحويلها إلى جامعة عالمية من خلال الابتكار غير المنقطع والتحول الجميل.

لن أذكر وسعاً من أجل "جامعة غاتشون"؛ لذلك قررت إنشاء مؤسسة مانحة بقيمة تسعة ملايين دولار من مالي الخاص، حتى يتسنى للطلاب التركيز فقط في دراستهم والتخلص من عبء النفقات الدراسية، ويجري العمل على إعداد برنامج يمكن الطلبة من دراسة اللغة الإنجليزية لمدة تصل إلى ستة أشهر في مركز التدريب العالمي التابع لـ "جامعة غاتشون" بهاواي، والتعرف على الثقافات الأجنبية من خلال الاختلاط بالطلاب من جميع أنحاء العالم.

وكذلك يجري إنشاء المدينة الجامعية الثانية على قدم وساق. يستهدف افتتاحها عام ٢٠١٣، وهي تتكون من ستة طوابق فوق الأرض، وطابق واحد تحت الأرض على مساحة ٣,٣٠٠ متر مربع وإجمالي مساحة أرض تبلغ ١٧,١٦٠ متراً مربعاً. ومن المخطط توسيعها أفقياً لتكون امتداداً للمدينة الجامعية الحالية. بعد الانتهاء من إنشاء المدينة الجامعية الثانية، ستساعد بشكل كبير في جذب نوابغ الطلاب من الأقاليم، وكذلك الطلاب الأجانب.

إضافةً إلى ذلك، من المتوقع أن تضطلع الجامعة بدور كبير في التوظيف الذي يعد محط اهتمام الطلاب وأولياء الأمور، لكن لم تستطع "جامعة غاتشون" حتى الآن بناء اسم أو علامة تجارية ذات قيمة مستقرة في سوق التوظيف؛ لهذا السبب يواجه خريجوها صعوبات في التوظيف، مع ما لديهم من قدرات ومؤهلات متميزة. ولكن بعد الدمج، ستزداد قيمة الاسم أو العلامة التجارية لهذه الجامعة بشكل كبير، وسيُعترف بقدرات طلابها، وسيحين الوقت الذي تفضل فيه الشركات خريجينا.

عشت طوال حياتي أمتلك رؤى مثيرة، ومن الطبيعي أن يتمتع أصحاب تلك الرؤى الواضحة بقدر كبير من الطاقة الحيوية والنشاط الإيجابي الفعال، ومن ثم،

يمكن لتلك الرؤى أن تتحقق بالتناغم بين الاعتقادات الشخصية، والأيدولوجيات، والواقع. وأيدولوجيتي هي تخريج "عقول منفتحة" لمواكبة عصر العولمة، وواجبي هو خلق البيئة المناسبة لتحقيق ذلك.

في عام ١٩٩٨، عندما استحوذت على "جامعة كيونغ وون" -التي كانت تبحث عن مالك جديد جراء الأزمة المالية التي تعرضت لها المؤسسة بكاملها- وعدت طلابي وأعضاء هيئة التدريس والموظفين بأنني سأوفر لهم البيئة الملائمة لبيدلو أقصى طاقاتهم في الدراسة. من المؤسف أن الكثير من طلاب هذا البلد أفنوا ريعان شبابهم -أعلى فترة لتطوير الذات- في صراعات نتيجة لتبعات الإدارة الخاطئة للمؤسسة، ولكنني لم أنس أبدًا وعدي لهم منذ ذلك الحين. فأنشأت داخل الحرم -الذي كان يفتقر إلى ساحات لعب خلال تلك الفترة- ملعبًا كبيرًا، إلى جانب مبنيين كبيرين لحل مشكلة نقص قاعات المحاضرات.



"فيجن تاور": أكبر حرم جامعي تحت الأرض

كما افتتحت كلية تكنولوجيا النانو الحيوية لتخريج كوادر مهنية مدربة على أحدث تكنولوجيا، وأنهيت بناء "فيجن تاور" -الذي يعد أكبر حرم جامعي تحت الأرض في كوريا- العلامة الفارقة في رؤيتي الكبرى لبناء "واحدة من أكبر ١٠

جامعات خاصة في كوريا".

بلغ إجمالي تكلفة "فيجن تاور" نحو ١٠٠ مليون دولار، وهو مبنى ضخم يتكون من ٧ طوابق فوق الأرض، و٤ طوابق تحت الأرض، على مساحة إجمالية بلغت ٦٩,٤٣١ متراً مربعاً. كما جهزت به ساحة مفتوحة يمكن استغلالها في مختلف الفعاليات داخل الجامعة، وتكون أيضاً استراحة للطلاب. كما اعتنيت بتوفير المتعة للطلاب من خلال تشييد سماء اصطناعية في سقف الممر المتصل مباشرةً بمترو الأنفاق، وصممت البنية التحتية للمواصلات بطريقة يتسنى للطلاب من خلالها الوصول من محطة المترو -التي تم ربطها بـ"جامعة غاتشون" على خط مترو "بوندانغ"- إلى جميع قاعات المحاضرات في غضون خمس دقائق. بلغت المساحة تحت الأرض ٤٤,٢١٨ متراً مربعاً، حتى أطلق عليه "الأول والأكبر في كوريا".

إلى جانب قاعات المحاضرات، تضمن "فيجن تاور" قاعةً للعرض، ومركزاً مؤتمرات، ومنطقة عالمية (Global zone) لتعليم اللغات الأجنبية، ومكتبة إلكترونية... إلخ. ومن السمات اللافتة بـ"فيجن تاور" الأضواء البراقة التي تزينه من الداخل والخارج، وكأنها ترسم لوحة فنية بديعة مما جعله مدعاةً للفخر. وحزام الضوء (Light Belt)-خط يتكون من سلسلة من الأضواء تحيط "فيجن تاور" والساحة تحت الأرض- هو عمل فني رائع صممه الفرنسي "آلان جيلهوت" (Alain Guilhot) الذي يعد أفضل مصمم إضاءة في العالم. فعندما كان في زيارة لكوريا لحضور معرض الضوء العالمي (World LIGHT EXPO)، زار جامعة "غاتشون" مع أحد معارفه، وأسندت إليه مهمة تصميم إضاءة المشهد الطبيعي العام لـ"فيجن تاور". ولما رأيت تلك الإضاءة الرائعة، شعرت بدفء غمر قلبي فجأة.

أريد أن أشارك حلمي ورؤيتي مع أكبر عدد ممكن من الناس. فأنا أرى أن إدارة الخدمة العامة هي حسن استغلال أرباح الجميع -بمن فيهم أنا وجميع المؤسسات- في تحقيق مسؤوليتهم الاجتماعية. فلم يعد تحقيق الأرباح والمسؤولية الاجتماعية

أمرين منفصلين أو اختياريين؛ فكلاهما شريك قوي للآخر من أجل قيادة المجتمع لتحقيق التوازن والتناغم. كانت انطلاقتي متواضعة، لكن كان لدي الحب، فلا يمكنك فعل أي شيء دون حب الناس، وإدارة الخدمة العامة لأجل الآخرين هي في حد ذاتها عين الحب.

البدايات دائماً صغيرة

حدثنا كونفوشيوس -الذي يعتبره الكوريون قديساً حكيمًا- عن أهمية مرحلة تراكم الثروة، وحذرنا من استخدام وسائل غير مشروعة لتحقيق ذلك. وقال إنه يجب أن يكون السعي وراء الثروة مرتبطاً بالشرف، وقائماً على مبادئ الإنسانية والعدالة. وإن الأغنياء عليهم مسؤولية استخدام أموالهم التي جنوها من أجل المنفعة العامة. ولكن هناك شيئاً يجب أن يسبق المسؤولية. فإذا استخدم الأغنياء أموالهم التي كسبوها لخدمة المجتمع بدافع المسؤولية والواجب فحسب، دون إحساس بالمحبة، لن يتعدى معنى ما فعلوه سوى أداء الواجب. الشيء نفسه ينطبق على مساعدة المهمشين والمحرومين من فرصة التعليم دون الشعور بالحب الحقيقي تجاههم، حينها لن يتجاوز الأمر سوى أداء روتيني لمسؤولية أو واجب.

حين أنظر إلى الماضي، أعتقد أنه كان "قدرًا". ففي أواخر الثمانينات، ومع خلفيتي العلمية باعتباري طبيبة عند تأسيس "مستشفى غيل" التي تعتبر عصب "مؤسسة غاتشون غيل"، سلكت طريق التعليم، وحينها نبتت في قلبي الرغبة في تعليم وتدريب أطباء وممرضات مهرة.

جعلتني الخبرة التي اكتسبتها خلال تدريب طاقم المستشفى، وكذلك دراستي بالخارج، أحقق حلمي بشكل طبيعي. في الحقيقة، امتلكتني في السبعينيات فكرة قوية بأنني يجب أن أنشئ كلية طب في المستقبل. ولكن في ذلك الوقت كانت الفكرة مسيطرة على قلبي فحسب، ولم يكن لدي الوقت حتى لأحلم بتأسيس الكلية؛ حيث كنت غارقة بالفعل في عملي بالمستشفى، ولكن في غمار ذلك، كان ذلك الحلم يحوم حول قلبي، وترجع على عرشه حتى إنني كتبت ذلك الحلم، ونشرته في

قسم "إلسا إلون: فكرة وكلمة" بصحيفة "تشوسون اليومية".

في أحد الأيام من العام ١٩٩٤، طرقت بابي فرصة وكأنه القدر. عند إذاعة خبر تعرض "كلية كيونغين للتمريض" في مدينة "إنتشيون" لأزمة إفلاس، جاء لزيارتي أحد المسؤولين في مجال التعليم، كنت آنذاك مستغرقة في العمل من رأسي إلى أخمص قدمي، فلم يكن لدي وقت لتناول الطعام، ولم أقابل -تقريباً- أي شخص إلا في نطاق عمل المستشفى؛ لذا لم أكن أعلم أي كلام سأقوله له. وفي خضم كل ذلك، فربما لولا شغفي بالتعليم الذي لا ينطفئ ما استطعت مقابلته. لقد كان اللقاء به قدرًا.

"يا دكتورة، توجد في منطقتنا كلية خدمة اجتماعية، ولكنها تعرضت للإفلاس؛ هي كلية متخصصة في التمريض، وأتمنى أن تستحوذ عليها "مستشفى غيل". قبلت عرضه في الحال ودون تردد، وهكذا توليت "كلية كيونغين للتمريض"، وبعدها أطلقت عليها اسم "جامعة غاتشون غيل"، ولكن حتى ذلك الوقت أيضًا، كان عمل المستشفى شاغلًا كل وقتي، فلم يكن لدي الوقت لرعاية طلابي، وقبلوي ذلك العرض كان نابغًا من إيماني بالتعليم فحسب.

كان عدد كليات الخدمة الاجتماعية في كوريا حينها لا يتجاوز ٢٠٠ كلية، واكتشفت بعد الاستحواذ على "كلية كيونغين للتمريض" أن تصنيفها كان تقريبًا في ذيل قائمة تلك الكليات. توليت إدارة تلك الكلية لإحساسي بالحاجة للتعليم الجيد، ولكنني أحبطت بعد معرفة الحقيقة، فهي بحاجة إلى مساعدتي في الكثير من النواحي، ولكن بعد مرور أقل من عام واحد، قفز تصنيف الكلية لتصبح ضمن أفضل ١٠٠ كلية خدمة اجتماعية، وكانت هذه هي المرة الأولى التي أدرك فيها حقيقة أنه بإمكانك إنجاز علامة فارقة في الاستثمار في مجال التعليم من خلال القليل من الاهتمام والمساعدة مع الحب.

**

كانت هذه النتيجة بمثابة نقطة تحول بالنسبة لي، قررت على إثرها أن تكون الكلية جزءاً من حياتي. وفي عام ١٩٩٨؛ أي بعد مرور ٤ سنوات، حققت حلم حياتي بتأسيس وافتتاح كلية للطب، وعندما تفتق ذهني عن فكرة ضرورة تأسيس جامعة شاملة لتعليم عدد أكبر من الطلبة، طرق بابي قدر آخر.

وفي يوم استقبال أول دفعة من الطلبة الجدد في "كلية غاتشون للطب"، جاءني مسؤول التعليم نفسه الذي عرض علي من قبل الاستحواذ على كلية التمريض وسألني بحذر: "تعرفين "جامعة كيونغ وون" الواقعة في مدينة "سيونغنام"، أليس كذلك؟ هذه الجامعة واقعة تحت وطأة أزمة مالية، وتبحث عن مستحوذ جديد؛ لذا يرغب رئيس "مؤسسة كيونغ وون الأكاديمية" مقابلتك بخصوص ذلك".

تمتلك "مؤسسة كيونغ وون الأكاديمية" كلاً من "جامعة كيونغ وون" و"كلية الخدمة الاجتماعية كيونغ وون"، وكتاهما عريقتان ومعترف بإمكانيتهما. كما سمعت أن الإدارة بهما كانت قوية، لذلك كانت صدمةً لي أن تتعرضا فجأةً لأزمة مالية هكذا، ولكن بعدما تحققت من الأمر، أدركت أن المشكلة لم تكن فيهما، بل في المؤسسة ذاتها. ففي ذلك الوقت، كان رئيس المؤسسة يدير -إلى جانبهما- العديد من المؤسسات الربحية التي ضربتها أزمة سيولة نتيجة لأزمة الصرف الأجنبي. فكان عليه أن يستخدم عشرات الملايين من الدولارات من ميزانيتهما لعلاج تلك الأزمة بشكل عاجل. وفي النهاية، أصبحت مشكلة، وكان عليه أن يواجه عقوبة قانونية في حال عدم رد تلك الأموال في الحال. والمشكلة هي أن جميع الشركات التابعة للمؤسسة تجنبت الإفلاس فحسب، ولكن أزمة تدفق رأس المال لا تزال قائمة.

وقد أثار الطلاب العديد من الشكوك حول اختلاس أموال عامة، وكذلك حول قبول الطلاب بشكل غير قانوني، وغيرها من الأمور، وهدفوا باستقالة إدارة المؤسسة، وتعطل سير المحاضرات نتيجة للاحتجاجات اليومية.

**

بالطبع، كنت مهتمة بالاستحواذ على "جامعة كيونغ وون" كونها جامعة شاملة، ولكن ما جذب اهتمامي أكثر هو وجود كلية للطب الكوري التقليدي بها. فالفكرة التي ترسخت في ذهني عندها هي الربط بينها وبين "جامعة غاتشون" التي أسستها برغبة كبيرة مني لتهيئة الفرصة من أجل التقدم المتزامن للطب الشرقي (الكوري التقليدي)، والغربي معاً. ولكن بعد الاطلاع على الوضع الداخلي، غلبني الشعور بالأسف حول الطلبة الذين لم يتلقوا تعليماً جيداً لافتقار المؤسسة للقدرات الإدارية. فعندما أتأمل حال الطلاب الذين ضيعوا زهرة شبابهم بسبب أخطاء الكبار، تضطرم نيران الإحساس بالمسؤولية في أعماق قلبي. وأمام اعتقادي بأن هذه المشكلة لن يحلها أحد غيري، استحوذتُ في نهاية المطاف على "جامعة كيونغ وون".

منذ السبعينيات، وأنا أعتقد أنه يجب أن يكون هناك مبدأ "الكل رابح" فيما يتعلق بالعلاج بالطب الشرقي والعلاج بالطب الغربي، فمع تناقضهما واختلاف النظام الأكاديمي بينهما -مرجع ذلك اعتزاز كل منهما بتخصصه؛ اعتزاز يهدف في النهاية إلى مصلحة المريض- كنت وما زلت أؤمن بإمكانية تحقيق التعاون بينهما بدرجة كافية، ولهذا شعرت بالمزيد من الانجذاب ناحية "جامعة كيونغ وون".

بعد الاستحواذ على "جامعة كيونغ وون"، صببت كل شغفي دون أن أدخر جهداً من أجل تنميتها لتصبح جامعة حديثة مرموقة في جنوب العاصمة، فجددت البيئة التعليمية بها بشكل كبير؛ حيث وظفت أسانذة جامعة أجنبية معروفين بأنشطتهم الأكاديمية في الخارج، وشيدت قاعات محاضرات جديدة، وقد ثمنت وسائل الإعلام مجهودات الإصلاح تلك التي قمت بها. كان حلمي هو الارتقاء بالجامعة؛ لتصبح جامعة مرموقة عالمياً بقدر طاقة حبي الذي أكنه لها.

لست متأكدة أي المفهومين أكثر دقة: إدارة المصلحة العامة؟ أم إدارة الأخلاقيات؟ ولكن ما أنا متيقنة منه هو أن إدارتي ستكون بالحب فحسب، إدارة

الحب المشيع بالعاطفة التي تمكنني من أن أحمل مريضاً ذا بنية أضخم من بنيتي، بعد أن يصبح غير قادر على التحكم في جسده بفعل البنج لأضعه على سرير العمليات.

ساحة الحرية وحرم المرح

في ألمانيا، يفرح الطلاب، حتى لو حصلوا على المراكز الأخيرة، وهذا ممكن بفضل البيئة التعليمية الجيدة التي يتمتعون بها، فلا يوجد لديهم تعليم خاص، وكذلك الجو العام مهياً كي يتسنى لهم أن يدرسوا بأنفسهم. فمن ناحية التعليم، ألمانيا هي الدولة التي يود أي بلد أن يتخذها نموذجاً يحتذى. أردت أن أمنح الطلاب حياة جامعية سعيدة، حتى لو لم يتمكنوا من الحصول على المراكز الأولى، وللوصول إلى هذه الغاية، فكرت في أنني يجب أولاً أن أضفي المرح على البيئة الحياتية للطلاب.

كما تعلمون، أنا وحيدة؛ فلا زوج يعتني بي، ولا طفل يحتاج إلى رعايتي، ولكن لدي طلاب يحتاجون إلى رعايتي وعنايتي؛ فهم نصفي الثاني الغالي؛ لذا فإن تهيئة أفضل بيئة لهم هو أقل ما يمكنني تقديمه لهم.

حول الطريق الممتد من المكتبة المركزية في حرم "جامعة غاتشون" إلى الملعب، يوجد جبل شديد الانحدار، لم يكن منظره جيداً؛ لأنه كان شقاً على جانب الطريق، فكان يظهر ما بباطنه. فانشغلت بالتفكير في كيفية تجميل هذا المكان؛ لأنني لا أريد أن يرى طلابي سوى كل جميل. وبعد تفكير عميق، قررت في النهاية أن أزعه وروداً، وأن أزين أسفل ذلك الشق بحلة من زهور الفورسيتيا (الأجراس الذهبية) حتى إذا ما هلت بواكير الربيع، استمتع الطلاب بمنظر هذه الزهور الصفراء.

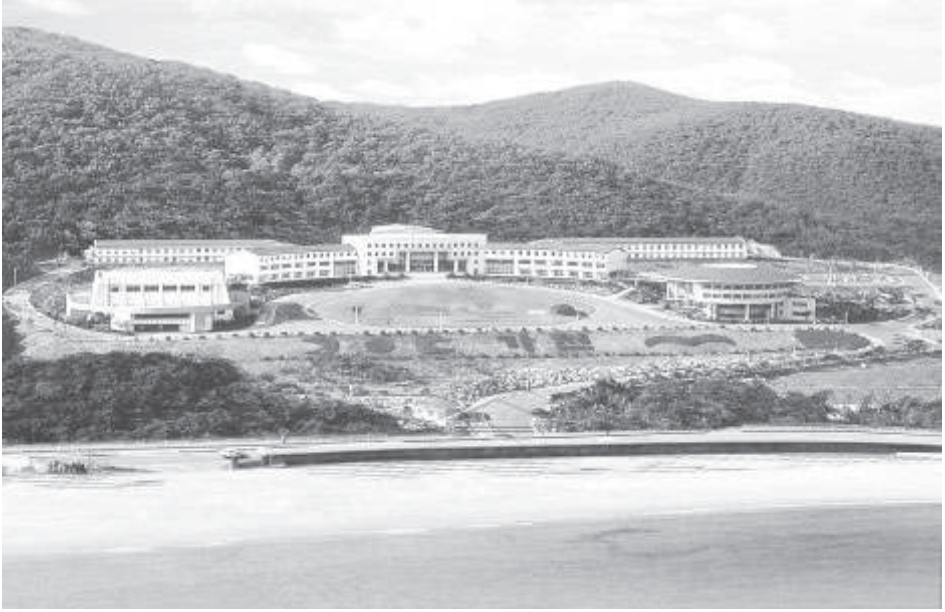
**

اعتقدت أنه إذا ذبلت أزهار الفورسيتيا، ستفتح الورد وتكسو شق الطريق.

وفي السنة الأولى أوقرت أزهار الفورسيتيا، وكان جمالها يجذب الأنظار على عكس الورد التي لم تستطع أن تتجذر في الأرض، ولكن بمجرد أن تخيلت أن هذا المكان في المستقبل سيتحول إلى حديقة من الورد على سفح الجبل يسر نظر أبنائي الطلبة، شعرت بالحماسة على الفور.

ورغبةً مني في إنشاء أجمل حرم جامعي لطلابي، جبت جميع الأحرام الجامعية المعروفة بجمالها داخل كوريا. لم أترك حرمًا إلا وطفته، وأنا أحمل بداخلي مشاعر أم منشيوس-الفيلسوف الصيني الحكيم- نفسها، المشهورة بتغيير محل إقامتها المتكرر من أجل تعليم ابنها. حتى إنني اقتبست فكرة الورد عندما زرت "جامعة جوسون" المشهورة بحديقة الورد الجميلة التي تزين حرمها الجامعي، ولكنني لم أتوقف عند كونها مجرد فكرة، بل أدخلتها حيز التنفيذ. فلا يمكن تهيئة أفضل بيئة للطلاب بالأفكار وحدها، وإنما يصبح ذلك ممكنًا فقط عندما تجوب أفضل الأماكن التي تحقق غايتك، وتبحث عن طرق تحقيقها، وتنقلها إلى حيز التنفيذ بكل حزم.

عند تصميم الحرم الجامعي لكلية الطب التابعة لـ "جامعة غاتشون" في جزيرة "غانغهاو-دو"، طلبت من المصمم قائلةً: "صمم لطلابي أجمل حرم جامعي في العالم". كنت أريد أن يدرس أبنائي في أفضل ظروف يمكن أن أوفرها لهم. تمنيت أن يكون بمثابة وطن لهم، يشتاقون إليه دائماً، ويريدون الحضور إليه والمكوث فيه، وبالفعل بزغ "حرم غانغهاو-دو" إلى العالم جميلاً بحق مثلما تمنيت.



نظرة بانورامية على حرم "جامعة غاتشون" في جزيرة "غانغها-دو"

أومن بأن العمر مجرد رقم، وأن الإنسان يمكنه أن يحقق أي شيء طالما يمتلك الإرادة لذلك. مهما ذهبت، كان هناك سؤال واحد يدور في خلدي: "هل سيحب أبنائي هذه المناظر الطبيعية وهذه البيئة أم لا؟".

هذه هي الحيرة الحلوة النابعة من الحب، ومن قلب أم حريصة على خلق أفضل بيئة لأبنائها. حتى فكرة الحافلة الداخلية على شكل خنفساء -التي تجوب جميع الأركان داخل "جامعة غاتشون"- انطلقت من تلك الحيرة نفسها.

بعد دخول الجامعة، تأتي الكثير من الطالبات مفعمات بالمرح، يردن أن يستمتعن بالحرية التي حصلن عليها، فيظهرن في كامل أناقتهن مرتديات الكعب العالي وفوقه التنورة. وعلى الجانب الآخر، تأتي الكثيرات منهن مرتديات السراويل الجينز والأحذية الرياضية.



الحافلة الخنفساء صديقة البيئة التي تجوب جميع أركان حرم "جامعة غاتشون"

أردت أن أوفر الراحة لهؤلاء الطالبات عند تنقلهن بين قاعات المحاضرات البعيدة، أو عند مجيئهن إلى "فيجن تاور". ومن هذه الحالة الوجدانية، نبعت فكرة إدخال الحافلة الخنفساء صديقة البيئة إلى الحرم الجامعي، والتخلص من الحافلة التقليدية الكئيبة التي تفتقر إلى الجاذبية. ستسر الحافلة الجديدة خاطر طلابي بالتأكيد.

يزيد حجم الحافلة الخنفساء الكهربائية ١٠ مرات على عربة الجولف؛ لذا فهي تستوعب نحو ٣٠ شخصاً، لدرجة أنها أصبحت معلم جذب سياحي في موسم

القبول بجامعة العاصمة وضواحيها. جاءتني فكرة الحافلة الخنفساء بعدما زرت مدن الملاهي الشهيرة بكوريا مثل: "إيفرلاند" و"سيئول لاند"، وغيرهما ولاحظت عن كثب الحافلات التي تقل الزائرين. كان لي هدف واحد، وهو إمتاع الطلبة أثناء فترة تواجدهم بالجامعة.

**

ولكن لم يكن الطريق ممهداً حتى تم إدخال الحافلة الخنفساء وتشغيلها، فبعد أن زرت مدن الملاهي، أخذت أسأل هنا وهناك عن مكان يمكنه تصنيع مثل هذه الحافلة، ولكن لا توجد في كوريا شركة يمكنها تصنيع تلك الحافلات، وسألت حتى في شركة هيونداي للمحركات، وجاءني الرد بأنه غير ممكن. وبعد رحلة من البحث، اهتديت في نهاية المطاف إلى شركة صينية. وبعد جولات من المفاوضات، صنعت الشركة الصينية الحافلة، وبدأ تشغيلها في حرم "جامعة غاتشون"، وهكذا كانت رحلة ميلاد الحافلة الخنفساء المدهشة، لدرجة أن البعض قد يعتقد خطأ أنني جئت بها من مدينة ملاهي. تجوب الحافلة الحرم كل ١٥ دقيقة، ولكنني أدرس زيادة عدد مرات التشغيل في الصيف والشتاء حسب الطقس.

لا أبخل في إنفاق أي أموال للاستثمار من أجل مصلحة طلابي، ولكنني أتريث حتى لا تذهب تلك الأموال هباءً، ولهذا طلبت من موظفي الإدارة المختصين إجراء دراسة دقيقة عند التخطيط لإنشاء محطات الحافلات؛ لأنني كنت أعرف أنها ستتكلف أكثر مما نتوقع. كنت أحتهم على أن يذهبوا على أقدامهم ويروا بأعينهم الوضع الحقيقي على أرض الواقع، ولا يعتمدون دفع مليم واحد بجرة قلم، وهم جالسون على مكاتبهم، وأن يوفرّوا ما يمكن توفيره من نفقات. لم أكن أبتغي توفير تلك الأموال من أجلي، ولكنها أموال طلابي وهم أولى بها. فأنا لا أتفهم أبداً التوقيع على القرارات من فوق كرسي المكتب لمجرد وجودك في منصب رفيع. كل تلك الأفكار والأفعال لم تكن إلا من أجل طلابي.

قطعت على نفسي عهداً أبدياً مع الخدمة العامة

قادت الملكة إليزابيث الأولى أزهى عصور بريطانيا في القرن السادس عشر، وقد تخلت من أجل وطنها عن الحب وعن سعادتها الشخصية، وقد أثمرت تضحياتها عن بناء الإمبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس، وبناء مستعمرة في أرض تعرف حالياً بالولايات المتحدة الأمريكية. اعتلت العرش في سن صغيرة، وهي في الخامسة والعشرين من عمرها، وحكمت بريطانيا على مدار ٤٥ عاماً، واستطاعت أن تغير ليس فقط تاريخ بريطانيا فحسب، بل تاريخ العالم أجمع. ظلت عزباء طوال حياتها الزاهدة، وتنازلت عن سعادتها من أجل تكريس نفسها لخدمة وطنها وشعبها فقط.

كانت فلسفة الملكة إليزابيث في الحكم بسيطة، فقد كان معيار قراراتها هو: "هل هذا الأمر لمصلحة بريطانيا أم ضدها؟" فرفضت عروض زواج كثيرة كانت قناعاً تختبئ وراءه أغراض سياسية، وكان كل ما يشغلها هو شأن بلادها حتى إنها كانت تقول: "لقد تزوجت بريطانيا".

أنا أيضاً وحيدة. وفي الماضي، عشت قصة حب، اعتقدت حينها أن النصيب قد طرق بابي، وكنت على وشك الزواج برجل أعمال، وأنا أدرس في الولايات المتحدة، ولكنني قررت أن الزواج ليس قدرتي؛ فرفضت، وبعدها لم أواعد أي رجل أبداً، ثم تخلت من أي حسرة قد شعرت بها لعدم زواجي، ووهبت حياتي -التي منحني ربي إياها- للخدمة الطبية والتعليم الجامعي فقط.

فلا أبالغ عندما أقول إنني "تزوجت المستشفى والجامعة"، هكذا كانت حياتي الماضية، وهكذا ستكون حياتي المقبلة، وكذلك كان معيار قراراتي هو: هل هذا الأمر سيكون في صالح موظفي المستشفى ومرضاها والطلبة أم ضدهم؟".

**

بفضل تلك الفلسفة، أستقبل كل عام من طلابي في حفل تخرجهم أغلى هدية؛ وهي الدفاء الذي يشعر به قلبي، وهم يسرعون ليرتموا في أحضاني. أما هدايا

المرضى لي، فأستقبلها طوال العام، وهي كلمات الشكر والامتنان التي تحمل الدموع بين ثناياها.

يطلق علي المرضى لقب "أيقونة إدارة الخدمة العامة"، ولكن في نهاية الأمر، أنا عملت فقط من أجل الحب، لا أكثر ولا أقل، فالأدق من القول بأن حياتي كانت للخدمة العامة، هو أنها كانت من أجل الحب. ونتيجة ذلك، أصبحت حياتي لخدمة الناس، فأنا لم أكن لأتحمل تلك الحياة لولا حبي للطلاب والمرضى. ينفطر قلبي عندما أرى طلابي يعانون وحدهم من الدراسة، ولا يرتاح فؤادي إلا عندما احتضن مريضاً يرتجف من الخوف. أشعر بالراحة والغبطة عندما أسمع دقات قلب أو صوت أنفاس طالب أو مريض وهو في حضني.

الحداد لا يسمح ولو بخطأ ٠,٠١ ملليمتر، ولكن هل هذا الإتقان غايته دقة قياس الحديد فحسب؟ أعتقد أنه إتقان ينطوي على حب صادق للإنسان، كذلك الشعراء والروائيون. لماذا يسهرون الليالي وهم يجهدون عقولهم بحثاً عن الكلمة الأدق، ويعتصرون أذهانهم لصياغة التعبير الأمثل من أجل سطر واحد؟ كل هذا بسبب جهم للإنسان، وأنا مؤمنة بأن حياتي بوصفي طبيبة، وكذلك حياتي بوصفي مربية أجيال، لو لم يكن الحب هو القاعدة الأساسية، ما استطعت أن أتعهد بتحقيق نجاح حقيقي.



"لي غيل يو" رئيسة المؤسسة تزور طلاب المدرسة العسكرية في سونغنام

أتم ١٢٠ من فرقة تدريب ضباط الاحتياط (ROTC) التابع لـ "جامعة غاتشون" تدريبهم في المدرسة العسكرية بـ "سونغنام"، وفي كل مرة يكون لديهم حفل تنصيب، أركض إلى المدرسة العسكرية، يقودني قلبي إليهم دون أن أدري. وفي كل مرة أعود إلى الجامعة بعد أن أستقبل الطلاب، أعني بأن قلبي ما هو إلا قلب أم أرسلت أبناءها إلى الجيش؛ فأدعو ضباط المدرسة العسكرية الذين أتموا تدريباتهم إلى المنزل كل عام؛ لتناول العشاء معًا. في ذلك الوقت أيضًا، يخفق قلبي كالأم الفرحة بعودة أبنائها في إجازة، وهي تطعمهم ما لذ وطاب، وبعد مغادرتهم، ينتابني شعور حقيقي بأن طلابي هم الأمل والقيمة بالنسبة لي.

أعتقد أن الملكة إليزابيث أيضًا كانت تذرف الدموع وهي تعانق الجنود الخارجين إلى ساحة المعركة وكأنهم أبناءها؛ لأن اهتمامها الوحيد كان منصبًا على مصلحة بلادها، فهي لم تعتقد أن حياتها كانت مثل غيرها من النبلاء. أحبت بريطانيا، بريطانيا وحسب. وكذلك أنا، أحبت المرضى، وأسرة المستشفى، وجميع طلاب "جامعة غاتشون" وحسب.

السفر إلى لاس فيجاس لنيل الخبرة!

ذهب الراحل "سام والتون"، الرئيس السابق لشركة البيع بالتجزئة الأمريكية العالمية وول مارت - كوريا الجنوبية، إلى شركة كورية لبيع المنتجات الرياضية، وتشاور معها حول المنتجات التي تستوردها الولايات المتحدة. عندما حضر إلى الشركة، شاهد لوهلة العاملين الكوريين يلعبون مباراة كرة قدم بالملعب في الصباح الباكر، وبينون من خلالها روابط الصداقة بينهم؛ ترك ذلك المشهد أثرًا عميقًا في نفسه. ويقال إنه بعد عودته إلى الولايات المتحدة، أقام فعالية رياضية على غرار المباريات الصباحية لشركة التعاقد الكورية التي زارها. كان المبدأ الإداري لديه هو عدم التغاضي عن أي تفصيلة حتى ولو كانت تافهة ما دامت في مصلحة الشركة.

وأنا أطلب دائمًا من الموظفين أن يتخذوا أي مكان وأي شيء يجدونه جيدًا مقياسًا مرجعيًا. كنت أوجههم دائمًا أثناء إدارتي لـ "مستشفى غيل" بالذهاب مباشرةً إلى أي مكان أدخل نظامًا حديثًا أو ابتكر تصميمًا داخليًا جديدًا ورؤيته بأعينهم؛ لمعرفة ما إذا كان هناك أي شيء جديد يمكننا التعلم منه. ولم أقف عند توجيه تعليماتي للموظفين فحسب، بل كنت أقوم بنفسي بالأمر ذاته أيضًا، فعند تشييد "فيجن تاور" في "جامعة غانتشون"، جبت كل الأماكن دون أن أتوقف؛ لأعثر على ضالتي، وأجد المكان الفعلي الذي يمكنه أن يحول الفكرة الموجودة في ذهني إلى واقع.

**

هكذا أنا، أنزل مباشرةً إلى أرض الواقع. كان السبب وراء ذلك بالطبع هو عدم درايتي بمخططات التصاميم أو الأجزاء الهيكلية لها، ولكن الأهم من ذلك، هو أنني أعلم بأن رؤية الواقع بعيني ستمكنني من تكوين صورة أوضح، أستطيع من خلالها إصدار تعليمات أدق، مما يصب في مصلحة طلابي في نهاية المطاف. في الحقيقة؛ لا تتجاوز معرفتي عن الطول أو العرض حجم غرف المرضى في المستشفى وعرض ممراتها.

وعلى كل حال، عند تشييد "فيجن تاور"، وجدت من خلال التصميم أن المسافة من محطة المترو إلى الحرم الجامعي هي ١٨ مترًا، كان ممرًا عاديًا على مسافة ١٨ مترًا غير لافت للنظر يفتقر إلى الجاذبية، ولكن ما أردته هو جامعة تحتفي بالطلاب، بها مساحات فسيحة. جامعة يرغب الطلاب في ارتيادها، لا حاجة لممر ضيق بلا معالم أو أي شيء مميز. انطلاقًا من هذه الرغبة، طلبت من المصمم عند بناء "حرم غانغهو-دو" لـ "جامعة غاتشون" أن يبدع أجمل حرم جامعي في العالم.

عقدت اجتماعًا لمناقشة الممر الصاعد إلى طريق دخول الحرم الجامعي من "فيجن تاور"، وأوضحت خلاله فكرتي ونيتي: "أرجو منك عمل مساحة مفتوحة على مصراعيها يرغب الطلاب في الحضور إليها، ومن أجل ذلك أعتقد أن هذا المكان يجب توسيعه حتى يصير مثل الساحة". ومثلما توقعت كانت هناك الكثير من الأصوات المعارضة، نظرًا لإمكانية حدوث الكثير من المشاكل الهيكلية في حال تمت توسعة هذه المساحة، وقال المسؤول عن البناء إن التوسعة أمر صعب، ولكنه صعب من الناحية الهندسية فقط، أما بالنسبة لي، فقد كان ممكنًا، وقلت لهم بوضوح: "لا يمكن الجزم بعدم إمكانية تحقيق ذلك لمجرد عدم محاولة أي شخص القيام به حتى الآن".

- "ألا يوجد أي مكان هنا له الهيكل الخاص بجامعتنا هذه نفسه؟".
- "نعم، لا يوجد في كوريا".
- "إذًا، أين يوجد مثل هذا المكان؟".
- "إذا كنت ترغبين في توسعة المساحة، أعتقد أنه سيكون أقرب إلى "شيودومي" في العاصمة اليابانية طوكيو".
- "هيا بنا".
- "متى؟".
- "غداً".

وفي اليوم التالي، حلقت مع المسؤولين إلى اليابان. وفي "شيودومي" -المنطقة المعروفة بأنها فضاء للثقافة والفن الياباني- كانت الإجابة لحل المشكلة الهيكلية حول الممر الـ ١٨ مترًا؛ حيث كان هناك ممر يشبه في هيكله نظيره الموجود في كوريا، ولكن طوله ٣٤ مترًا، أي الضعف تقريبًا، ولكننا وجدنا الحل في ذلك المكان. هكذا اتخذنا "شيودومي" مقياسًا مرجعيًا لولادة الساحة التي تحت الأرض الموجودة حاليًا، ووسعنا ممر الحرم الجامعي للحد الأقصى له. هذه هي طريقتي في كل شيء.

في الحرم الطبي لـ"جامعة غاتشون"، كان يجب تصميم الطريق بشكل منحني للوصول إلى المبنى الرئيس من البوابة الأمامية، ولكنني طلبت أن يجعلوا ذلك الطريق بشكل قطري، كنت أرغب في توفير الراحة للطلاب قدر المستطاع. واجهنا العديد من المصاعب، ولكن في نهاية الأمر، اتخذ الطريق شكلًا قطريًا، واستطاع الطلاب الوصول إلى قاعات المحاضرات بسهولة أكثر وراحة أكبر. هكذا ذهبنا إلى اليابان وعدنا إلى كوريا في اليوم نفسه. عندما أتذكر ذلك الأمر بيني وبين نفسي، أشعر بأنه كان مبالغًا فيه، ولكن كل ذلك كان نابغًا من قلب أم تنشئ توفير بيئة أفضل -ولو بقدر قليل- لأبنائها.



الساحة التي تصل بين "فيجن تاور" ومحطة مترو "جامعة غاتشون" تحت الأرض

على أي حال، كان هناك أمر آخر لم يعجبني، ألا وهو الفضاء الذي تحت الأرض الموجود بالممر الصاعد إلى الحرم الجامعي.

- "ماذا عن هذا المكان؟".

- "يجب أن نضع له سقفًا فقط".

في ذلك الوقت، ارتسمت في ذهني صورة "لاس فيجاس"، وسألت المسؤولين الذين أتوا لحضور الاجتماع: "هل ذهب أحدكم من قبل إلى "لاس فيجاس"؟" بدا لي من نظراتهم أن جميعهم سبق لهم زيارتها، ولكن لم يرد أحد، وهو أمر بديهي، فهم لا يعلمون ماذا يدور برأسي وأنا أوجه لهم ذلك السؤال.

- "السقف في "لاس فيجاس" تصمم في الفنادق لإعطاء إحياء بأنها في الهواء الطلق، أريد هذا السقف أيضًا أن يصمم على غرار ذلك النمط".

**

وبعدها حجزت أقرب رحلة ليلية، وطرت مع المسؤولين إلى "لاس فيجاس"، ربما لأننا غادرنا كوريا ليلاً، فكان الصباح قد أشرق عندما وصلنا إلى "لاس فيجاس". بمجرد وصولنا هناك، طلبت من المسؤولين المرافقين أن يتأملوا المشهد حولهم؛ ليعثروا على أي شيء يطابق الفكرة التي تدور في ذهني، الشيء الذي أردت أن أريه للمسؤولين هو الفعالية التي تقام في أحد مراكز التسوق لجذب السائحين؛ تقام تلك الفعالية مرة واحدة كل ٣٠ دقيقة إذا كانت أعداد السائحين كبيرة، وكل ساعة إذا كانت قليلة.

كانت فعالية مميزة، ففي الوقت المحدد، تظلم السماء وما حولها، ويضيئها وميض برق، ويصدر منها صوت رعد، ثم ينهمر منها شيء يشبه شلالات المطر، تستمر الفعالية لمدة دقيقة واحدة، وبعدها إذا ما وقف المطر، وصفت السماء، أشرق كل شيء مرة أخرى. معظم السائحين الذين يقصدون "لاس فيجاس"، يأتون لحضور هذه الفعالية. أردت محاكاة السقف الموجود بتلك الفعالية عند تصميم سقف الساحة تحت الأرضية في "فيجن تاور". تأمل المسؤولون الفعالية أكثر من مرة، ثم مكثنا يوماً واحداً، ورجعنا في اليوم التالي إلى كوريا في الرحلة الليلية، كانت الرحلة ٣ أيام و٤ ليالٍ، لم يكن لدينا الوقت حتى نلتقط أنفاسنا، شعرت بالأسف تجاه المسؤولين الذين كانوا يلهثون بشدة من الركض هنا وهناك، ولكن لم يكن لدي خيار آخر حتى أنتهي اليوم قبل غد من بناء "فيجن تاور" الأفضل في كوريا.

**

يعد "فيجن تاور" المكان الوحيد في كوريا الذي يتخذ سقفه شكل قبة. سألني البعض عن سبب شغفي الشديد به، وكلما وجه إليّ أحد هذا السؤال، لم يسعني الإجابة بأكثر من أن هذا الشغف هو من أجل أبنائي. يفودني لذلك حبي لهم، وعاطفتي نحو الإنسانية. كل ما فعلته كان تعبيراً عن حبي لطلابي: الحافلة الخنفساء، والطريق القطري؛ حيث كان من المستحيل شق طريق مثله في ذلك المكان، وتشبيد أجمل حرم جامعي في العالم بـ"غوانغهو-دو"، وتصميم الساحة

تحت الأرض بـ"فيجن تاور"، حيث فردت أجنحة خيالي اللا محدود.

إذا كان الأمر من أجل التعليم...

يحكى أن الإمبراطور "زاو كوانجين" -مؤسس سلالة سونغ الحاكمة في الصين- كان مولعًا بقراءة الكتب، حتى عند خروجه إلى المعارك، فكان -بخلاف جنرالات الحروب الآخرين- يصطحب معه عربة مليئة بالكتب. ذات مرة، عندما خرج لساحات القتال، وكان آنذاك جنرالًا من أواخر سلالة زو الحاكمة، شحن عربتين بالكتب كعادته، فأراد أحد خدم الإمبراطور الوشاية به، فقال لإمبراطور أواخر سلالة زو الحاكمة إن ما يضعه "زاو كوانجين" في العربتين هو كنز اختلسه، وما إن سمع الإمبراطور ذلك الكلام حتى أمر رجاله بتفتيش العربتين، ولكن ما أخرج من العربتين، لم يكن سوى عدد من الكتب التي لا حصر لها، وعندما سأله الإمبراطور عن الأمر، فأجاب "زاو كوانجين" قائلاً: "يا جلالة الإمبراطور، أنا لا أملك من الحيلة والدهاء ما يمكنني من خدمتك؛ لذلك لم تكن لدي وسيلة سوى قراءة الكتب؛ لأوسع معارفي ومداركي، وأتحدى بالحكمة، هذا هو السبب وراء اصطحابي لهاتين العربتين المحملتين عن آخرهما بالكتب".

بعد انهيار أسرة تانغ، وانتهاء فترة الفوضى التي تخللتها خمس أسر وعشر ممالك، اعتلى "زاو كوانجين" عرش الإمبراطور، وأصبح معروفًا بأنه أحد أفضل أباطرة الصين، وحتى بعد أن أصبح إمبراطورًا، كان دائمًا يوصي خدمه بقراءة الكتب.

وقد أدى تركيزه على العلم وحده -على حساب القوة العسكرية- إلى تدهور قوة بلاده، ولكن لا يزال اسمه محفورًا في التاريخ الصيني بأنه الإمبراطور المحب للقراءة، والأكثر اهتمامًا بالتعليم.

يطلق على التعليم "مشروع الألفية الكبرى"، وهو ما يعني أننا يجب أن نتجه برويتنا إلى المستقبل البعيد، كذلك تقدير التاريخ للإمبراطور "زاو كوانجين"، يرجع إلى كونه ملكًا مستنيرًا ثمن دور العلم والتعليم. كان يعطي الأولوية لموظفي

الخدمة المدنية والمثقفين، ويحث دائمًا المسؤولين الحكوميين على الدراسة؛ لذلك لا يزال الصينيون يثنون عليه بوصفه ملكًا حكيمًا.

منذ نحو ٤ سنوات، زرت هاواي. يعتقد الناس أنني زرت جميع المعالم الشهيرة حول العالم، ولكن بصراحة لم يكن لدي الوقت الكافي لذلك، ولم تتح لي الفرصة، فقد كنت منهمة في عملي لدرجة أنني لم أستطع إلا زيارة بعض من أشهر معالم كوريا نفسها. كان أحد معارفي قد أعد رحلة خاصة للسفر مع مجموعة من الأشخاص المقربين مني، فذهبت معهم إلى هاواي، وكان القاسم المشترك بيني وبين أفراد تلك المجموعة هو انكبابنا لفترة طويلة على مجال تخصصنا فحسب؛ لذلك لم تتمكن تقريبًا من السفر لتذوق متعة الحياة. كانت هذه الرحلة هي الأولى في حياتنا التي نساfer فيها مرتاحي البال. بعد وصولي إلى هاواي مع هذين الشخصين، وبمجرد أن شاهدت جمال هاواي حتى وقعت في غرام جوها وطبيعتها الساحرة. لا تسعفني الكلمات لكي أعبّر عن إحساسي، ولكنني كدت أن أفقد صوابي من فرط جمالها.

**

لم أستطع نسيان جمال المناظر الطبيعية في هاواي، فزرتها مرة أخرى في عطلة العام التالي، كنت أتمشى وحدي كل ليلة على شاطئ واكيكي، أرتب أفكاري، وأرسم خططي لمستقبل الجامعة. بينما أنا أتمشى في إحدى الليالي، شاهدت ما يقرب من ٤٠ طالبًا في حديقة صغيرة يغنون ويلعبون. لمحتهم من بعيد، فعرفت أنهم آسيويون، ولكنهم لا يشبهون اليابانيين. تملكني الفضول لأعرف من أي بلد أتوا، وعندما اقتربت منهم عرفت أنهم صينيون. حينها ومضت في عقلي لوهلة فكرة كالبرق: "كم سيكون رائعًا لو أن طلابي أيضًا فعلوا مثلهم! لا شيء مستحيل. يمكنني تحقيق ذلك!".

ومنذ تلك اللحظة، فردت أجنحة خيالي مرة أخرى: "ماذا يمكنني أن أفعل حتى يستطيع طلابي أن يتعلموا الإنجليزية، وهم مستمتعون بالحرية، ومتناغمون مع الحياة في هاواي مثل هؤلاء الطلبة؟"، وبعد تفكير عميق، توصلت إلى الحل، ألا

وهو بناء حرم جامعي في هاواي، كان هذا هو الحل.

بدأت بعدها أذهب لرؤية المباني والأراضي بغية بناء مركز عالمي. استفسرت هنا وهناك من المختصين العقاريين لأجد مكاناً أو مبنى؛ حيث يمكن لطلابي الحصول على تدريب فيه. بالطبع كانت التكلفة هي المشكلة؛ فالأمر يتطلب عشرات الملايين من الدولارات، وكذلك لم أكن متأكدة بأنني سأستطيع القيام بذلك. لم أدع ركنًا في هاواي كل يوم إلا وذهبت إليه. أنهك موظفي الجامعة الذين رافقوني، ورفعوا أيديهم عن الموضوع، حتى أنا كان الإرهاق قد أصابني، داهمنا الوقت ولم يتبق سوى يوم الغد فقط للعودة إلى كوريا، وحينها جاءتني مكالمة هاتفية أخبرني فيها المتصل بأنه وجد مبنى مناسباً لشروطي. قال المسؤولون المرافقون لي إنهم منهكون للغاية، ولن يستطيعوا الذهاب معي أبداً؛ فذهبت بمفردي في نهاية الأمر.

**

المكان الذي أرشدني إليه سمسار العقارات كان فندقاً قديماً، عندما دخلته، وجدت طلاباً من نيوزيلندا، يقيمون حفلاً، ويستمتعون بالسباحة. بعد أن أصبح المبنى قديماً غير صالح ليكون فندقاً، قسمه صاحبه إلى غرف للإيجار. لما رأيته، شعرت بأنه المكان المناسب، حتى سعره كان أقل مما توقعت. كان المبنى في حالة يرثى لها، وكانت المواسير متآكلة تسرب المياه، والكهرباء تنقطع كثيراً. ونتيجة لذلك، كان معروضاً في السوق بنصف الثمن. أخبرت السمسار في الحال برغبتي في شرائه إن لم تكن عليه أي مشاكل قانونية.

وبعد عودتي إلى كوريا، فتحت موضوع التدريب العالمي مع عمداء الكليات التابعة للجامعة، ولكن رد فعلهم كان فاتراً. شعرت بغصة، ولم تكن أمامي وسيلة أخرى سوى إرسالهم إلى هناك ليشاهدوه على أرض الواقع. وبالفعل، أرسلت أهم العمداء إلى هاواي، وقد أجمعوا -بعد عودتهم- على إعجابهم به.

سألني البعض عن سبب اختياري لهاواي. فكرت ملياً كي أستطيع الإجابة عن هذا السؤال، وبعد تفكير طويل، وصلت للاستنتاج، وهو كالعادة أن الأولوية لطلابي،

لقد وجدت الإجابة عندما نظرت إلى الأمر من وجهة نظر طلابي. إذا بعثت الطلاب إلى ولاية مثل نيويورك، حيث يعيش الكثير من الأميركيان، سيصاب أصحاب المهارة الضعيفة في المحادثة بالإنجليزية بالإحباط. صحيح أن الشعور بالإحباط عند الفشل في التواصل باللغة المحلية للدولة التي تسافر إليها هو أمر طبيعي، والطلاب الذين سيقع عليهم الاختيار للسفر إلى مركز التدريب في الخارج معروفون في كوريا بالذكاء إلى حد كبير. ومع ذلك، يتعرض البعض منهم للتنمر عند السفر إلى الخارج. فلماذا يجب أن يتعرض الطلاب لتثبيط عزيمتهم وهم مسافرون للتدريب لفترة قصيرة في الخارج؟ إذا كانوا سيقومون لمدة ١٠ سنوات، فهذا أمر آخر، ولكن فترة تدريبهم لا تتجاوز شهراً إلى شهرين حتى ٦ أشهر بحد أقصى. فلا يوجد سبب يحرم هؤلاء الطلاب من حقهم في الشعور براحة البال والاستمتاع وتوسيع مداركهم في الوقت نفسه خلال هذه المدة القصيرة، أليس كذلك؟ هذا هو السبب الأكبر وراء قراري بأن تكون هاواي هي مقر مركز التدريب العالمي.



مركز التدريب العالمي التابع لـ"جامعة غانشون" في هاواي

مع أن هاواي هي إحدى الولايات الأمريكية، فالعبق الآسيوي حاضر بشدة في جوها العام، ويعني هذا أن الطلاب سيتمكنون من الدراسة في بيئة مريحة. كنت أعتقد بأنهم سيتكيفون بسهولة حتى ولو لم يكونوا متقنين للإنجليزية. علاوةً على ذلك، لا تتكلف الحياة في هاواي الكثير من نفقات المعيشة، ولو أقاموا هناك لمدة عام كامل؛ فهي مكان يمكنك العيش فيه طالما لديك ملابس مناسبة للسباحة، حتى أسعار الطعام زهيدة أكثر مما توقعت، ولكن يظل أكثر شيء أحببته في هاواي هو الأمان.

**

تعتبر هاواي أفضل معلم سياحي في الولايات المتحدة؛ لذلك تولي الحكومة اهتماماً كبيراً لحماية الأجانب ورعايتهم هناك، ناهيك عن الأمان بفضل انتشار ضباط الشرطة الذين يرتدون الملابس المدنية في كل مكان. شيء آخر لفت نظري عندما كنت أدرس قانون مرور ولاية هاواي للاستعداد لاختبار رخصة القيادة، ألا وهو أن كل شيء معد لإعطاء الأولوية للمشاة؛ فمهما كان الطريق كبيراً، يجب إيقاف السيارة دون قيد أو شرط في حال وجود مشاة، كما أن شاطئ وايكياكي الشهير عالمياً يقع على مقربة خمس دقائق فقط من مركز التدريب العالمي، وهو الأمر الذي كان نقطة جذب كبيرة لي.

يعد مركز التدريب العالمي التابع لـ "جامعة غاتشون" الآن بمثابة الجسر الذي يصل الجامعة بالخارج. أردت أولاً إجراء افتتاح تجريبي للمركز عن طريق قبول الطلاب المتقدمين، وذلك قبل إيفاد نحو ٥٠٠ طالب على الأقل للإقامة لمدة تصل إلى ٦ أشهر بهدف دراسة اللغة الإنجليزية، والاطلاع على الثقافات الأجنبية. كنت أستهدف إيفاد مئات الطلاب كل عام، كما أبرم المركز مذكرة تفاهم مع جامعة هاواي؛ حيث سيتسنى لبعض الطلاب بموجبها الحصول على ساعات معتمدة منها.

لقد بذلت خلال تلك الفترة الكثير من الجهود بهدف تحسين مهارات الطلاب

في اللغة الإنجليزية بشكل كبير، وقد أتت جهودي تلك ثمارها بالفعل؛ حيث بدأ بعض طلابي الملتحقين بالجامعة في العمل مترجمين فوريين للغة الإنجليزية في الفعاليات الحكومية الرسمية التي تقام في الخارج. أو من بأنها ثمرة تدريبات اللغة الإنجليزية المكثفة في حرم "غانغها-دو". قام البروفيسور "كيم تشونغ شيك" -الدكتور بقسم الصحافة والإذاعة، والعضو الدائم في لجنة الاتصالات الكورية- مؤخراً بتمثيل الحكومة الكورية في الوفد الذي زار دولة الإمارات العربية المتحدة للتفاوض حول صفقة لبيع بعض محتويات البث.

وقد ذكر أن أمراً مثيراً صادفه هناك، فمترجمة ذلك الحدث الرسمي المقام في أفخم فنادق دبي كانت طالبة في قسم الاقتصاد بـ"جامعة غاتشون" تدعى "جيون كيونغ مين"، وقد تم اختيارها لفترة تدريب مدتها ٦ أشهر بمنظمة السياحة الكورية، وخلال تلك الفترة طلبت منها الجهة المنظمة للحدث أن تقوم هي بمهمة الترجمة خلاله. قال البروفيسور كيم إنه شعر بالفخر بـ"جامعة غاتشون"، وهو يستمع إلى نطقها الواضح، وتعبيراتها الدقيقة، ويرى هندامها الأنيق، وأضاف أنه أحس باعتزازها لانتمائها لـ"جامعة غاتشون".

أدخلت "جامعة غاتشون" شرط اللغة الإنجليزية لاعتماد شهادة التخرج، بغية تخريج كوادر مثل الطالبة "جيون كيونغ مين". وتخطط "جامعة غاتشون" لتقديم كل سبل الدعم لتأمين التنافسية العالية في اللغة الإنجليزية بقدر أكبر من الوضع الحالي. وفي الوقت نفسه، أبرمت الجامعة اتفاقيات تبادل مع عدد من الجامعات المرموقة في الصين واليابان وغيرها من دول العالم الطامحة إلى تدريب طلابها ليصبحوا كوادر عالمية. لم يتبق الكثير حتى تروا أبناء "جامعة غاتشون"، وهم في دائرة الضوء على المسرح العالمي.

في الحقيقة، لقد عانيت الأمرين لكي أوسس ذلك النظام، نظراً لعدم وجود مقياس مرجعي يمكنني الاعتماد عليه لجامعة في كوريا لديها مركز تدريب عالمي أو حرم جامعي في الخارج، فذلك النظام لم يكن موجوداً حتى في الجامعات العالمية. أتمنى من أعماق قلبي أن يصبح أبنائي كوادر موهوبة ذات مستوى عالمي

في ذلك المكان حيث يجتمع كل الطلاب من الشرق والغرب.

هكذا كانت شرارة البدء لمركز التدريب العالمي لـ"جامعة غاتشون". إن وجود جامعة لها حرم جامعي، ومركز تدريب يتيح للطلاب الحصول على تدريب في الخارج هو أمر نادر سواء في كوريا أو خارجها.

ولكن كما كان الإمبراطور "زاو كوانجين" -مؤسس سلالة سونغ الحاكمة في الصين- يهب حياته لقراءة الكتب، ويحتضن المثقفين، ويظهر شغفه المتقدم للتعليم، فأنا أيضًا أريد أن أهب حياتي حتى يحصل طلابي على أفضل جودة للتعليم والتدريب، وأن أؤثر ومصحتهم ولو على راحتي الشخصية.

ازهدوا دومًا

كان "لاو تزو" -الفيلسوف الصيني في حقبة الممالك المتحاربة- يقول إن لديه ثلاثة كنوز عظيمة: الكنز الأول هو الرحمة التي تجعلني أحب الآخرين، والثاني هو التواضع الذي يمنعني من التعالي على الآخرين، أما الثالث، فهو الزهد.

ومع أنه قال هذه الحكمة قبل ٢٦٠٠ عام، فمعناها ما زال صالحًا لزماننا. منذ ٢٦٠٠ عام، حين توالى المعارك -كبيرة كانت أو صغيرة- في الصين، كان معظم قادة الحروب وذوي النفوذ منكبين على بناء القوة العسكرية، وهجروا الرحمة والتواضع. دفع ذلك "لاو تزو" لقول تلك الحكمة عن كنوزه الثلاثة، متمنيًا للناس في عصره أن يتخذوا الزهد والتدبير -أحد الكنوز الثلاثة- عقيدة لهم في الحياة؛ لأن الإنسان إذا هجر تلك العقيدة، ما تبقى له سوى التبذير والمغالة.

"غيوم غو نغ غوانغ: اجتهد أكثر مما تنفق"

يشير التعبير الاصطلاحي القديم "غيوم غو نغ غوانغ" إلى أن هؤلاء الزاهدين المدبرين لديهم القدرة على العطاء والجود. هذا الكنز الثالث الذي تركه لنا "لاو تزو"، يجب على كل شخص لا سيما في الحقل التعليمي أن يجعله حلقة في أذنه.

**

حتى عند بناء "فيجن تاور" في "جامعة غاتشون"، كان هناك نقاش دائر حول الاستعانة بمهندس معماري أجنبي، ولكنني بعد أن فكرت في عقبات ذلك، رفضت، فالتصميم وحده سيستغرق أكثر من عام، وإذا أردنا تغيير أي شيء سيكون أمرًا مزعجًا، كما سيتطلب الأمر التردد على الخارج لعقد اجتماعات، فبحثت عن أكبر خمسة مكاتب تصميم، واطلعت على سابقة أعمالها، ثم اتخذت قراري النهائي، وهكذا، أسندت مهمة بناء "فيجن تاور" إلى شركة معمارية محلية.

وبعدها قمت بزيارة إلى المكتبة الوطنية الفرنسية التي قامت تلك الشركة الكورية بتصميمها. لقد زرتها بدافع الاطلاع على إنجازات شركتهم بوصفي عميلة. اتجهت إلى باريس، وهناك وجدت أربعة طوابق تحت الأرض مصممة بحيث يكون الجو العام لها مماثلًا للطوابق فوق الأرض.

كان المبنى مدهشًا، والستائر المتدلية من السقف أثارت إعجابي أكثر من أي شيء. أبرز المظهر المهيّب للمبنى كونها مكتبة وطنية بما يكفي، وبعد ١٥ دقيقة فقط، أنهيت الزيارة الميدانية التي كانت مقرر لها ساعتين كاملتين. بدا المبنى رائعًا، ولكن لم يكن هذا ما أتطلع إليه، شعرت بأن تلك الأجواء الفخمة لا تتناسب مع جامعة؛ إذ ذكرني بالقول القائل "لف عقد لؤلؤ حول رقبة فيل". في النهاية، أسندت مهمة التصميم للشركة، ولكنني طلبت بوضوح أن تجعله مناسبًا للحرم الجامعي. الفخامة مهمة، ولكن اعتقدت أن الأهم هو أن أعطي شيئًا آخر إلى طلابي، حتى عندما كنت أتردد في رحلات عمل على لاس فيجاس أو اليابان، كنت أنفق من جيبتي؛ لأنني أولاً كنت مؤمنة بأنني يجب أن أوفر كل دولار من المال العام للجامعة، أما السبب الآخر؛ فيرجع إلى فلسفتي التي ترى أن حياة الزهد والتدبير يجب أن تكون الأساس لحياة كل منا.

**

في ٢٠١٠، خضعت الجامعة لعملية مراجعة لحساباتها من طرف الحكومة.

كانت الجامعات المستهدفة في هذه العملية هي الجامعات التي بها كلية موسيقى، والجامعات التي لم تخضع لمراجعة حساباتها على مدار السنوات العشر السابقة، والجامعات التي قامت بتوسيعات كثيرة في منشآتها. وكانت جامعتنا إحداهما، وبالتالي خضعت لتلك العملية. كان الأمر مرهقاً للغاية، ولكنّ مراجعي الحسابات اندهشوا كثيراً: "هل توجد جامعة أيديها نظيفة هكذا؟ لم نر من قبل جامعة حساباتها ناصعة البياض كجامعتكم". قالوا إن جامعتنا كانت الوحيدة بين كل الجامعات المستهدفة التي لها سجل حسابات لا تشوبه شائبة.

عندما أسير في شوارع مدينة سيئول، غالباً ما ألتقي بعض معارفي صدفةً في وسط البلد، وإذا كان ذلك اللقاء بعد فترة طويلة، يدلونني أحياناً على مطاعم باهظة الثمن، ولكنني عندئذ أهز رأسي في تردد. ليس لأنني لا أحب الطعام الغالي فحسب، بل لأنني أمقت تبذير المال أيضاً. طريقة زهدي في الحياة تجعل الآخرين يشكون مني.

الكنز الثالث لـ"لاو تزو"، هو الفضيلة الأهم لا سيما هذه الأيام في خضم تلك الظروف الاقتصادية، خاصةً عندما تكون في منصب قيادي، ينبغي التحلي بتلك الفضيلة أكثر من الآخرين.

من العدم إلى الوجود

أنا محاطة بالكثير من الشخصيات المهمة في العديد من المجالات، من بينها "سونغ سيوك-غو" الخبير في إدارة الجامعات، الذي عمل مديراً لـ"جامعة دونغوك" لمدة ٨ سنوات (وهو يشغل حالياً منصب رئيس اللجنة الرئاسية للوحدة الاجتماعية على مستوى الوزراء)، و د/ "جو جانغ-هي" الذي يحظى بتقدير عالمي بوصفه عالماً في تصوير الدماغ، و"بارك سانغ تشول" الخبير في علم الشيخوخة، ورئيس "معهد لي غيل يو لأبحاث أمراض السرطان والسكري"، وغيرهم من

الشخصيات المهمة التي تترأس الهيئات داخل مؤسسة "غاتشون غيل"، وكذلك "هان سنغ هيون" و"جيون يون تشول" اللذان ترأسا تدقيق الحسابات، ويتولى كل منهما حالياً منصب أستاذ فخري بـ"جامعة غاتشون"، أما "هان سنغ وون" فهو يساهم بفعالية في العملية التعليمية حتى إنه يحاضر في تخصص القانون، و"غو تشانغ سون"، و"كيم يونغ إيل"، و"لي سيونغ ناك" -المديرون الشرفيون لـ"جامعة غاتشون للطب والعلوم (GUMS)"- الذين قدموا إسهامات عظيمة إلى إدارة "مستشفى غيل" ممزوجة بحب عظيم.

معظم هؤلاء العظماء في العقد السابع من العمر؛ لذا من منهم في الستين من العمر يعتبرون شباباً. ما أريد أن أقوله هو "إن متوسط العمر المتوقع للإنسان سيصل قريباً إلى مئة عام، وبالتالي، فعمر السبعين اليوم يعادل خمسين في الماضي"، أعني بذلك أن الإنسان في عمر السبعين لا يزال بإمكانه الانخراط في أنشطة المجتمع سواء على الصعيد العقلي أو الجسدي، وبالتالي، لا أستطيع أن أتفهم اتجاه إزاحة الناس من وظائفهم فقط بسبب التقدم في العمر؛ لأنني أرى أن العمر لا يعيب صاحبه بل هو دليل على أنه مخضرم.

في ٢٠٠٩، منحت البروفيسور "لي مو سانغ" منصب أستاذ فخري بـ"جامعة غاتشون للطب والعلوم (GUMS)" بعد أن تقاعد من كلية الطب بـ"جامعة يونساي". اضطلع البروفيسور "لي مو سانغ" بدور كبير عام ٢٠١١ عندما كنا نحاول أن نكون ضمن ١٥ جامعة أخرى ستحظى بموافقة الحكومة لإنشاء كلية صيدلة جديدة، وذلك لأنه أفضل خبير في كوريا بالبرامج التعليمية لكليات الطب والصيدلة.

**

قدم لنا مساعدة عظيمة من أجل حصول "جامعة غاتشون للطب والعلوم" و"جامعة يونساي" على الموافقة لافتتاح كلية صيدلة في مدينة "إنتشون". كان حصولنا على الموافقة ثمرة استثمارنا في مجالات العلوم الأساسية من خلال "معهد أبحاث علوم الدماغ" و"معهد أبحاث أمراض السرطان والسكري"، ولكن

الأهم من ذلك الاستراتيجيات التي بناها من أجل الظفر بالموافقة.

في أواخر عام ٢٠١٠، أعلنت الحكومة عن السماح بافتتاح كليات الصيدلة التي أغلقت أبوابها لفترة طويلة، وقبول ٣٩٠ طالبًا إضافيًا. بعد أن استوعب البروفيسور "لي سانغ مو" -الأستاذ الفخري- خطة الحكومة جيدًا، أعد استراتيجية للحصول على الموافقة. كان مشروعًا يجب أن نفوز به؛ حيث إن لدينا كلية للطب العادي بالإضافة إلى كلية للطب التقليدي الكوري داخل الجامعتين. كانت أماننا فرصة ذهبية لإضفاء التآزر على البحوث في المجالات المتخصصة من خلال إضافة كلية صيدلة إلى المستشفى ومعاهد البحوث التابعة لنا. كانت الجامعة التي ستفوز بإنشاء كلية صيدلة بها تتوقع حدوث فوائد ملموسة وتأثيرات ثانوية.

تحظى الصناعات الحيوية حاليًا بالكثير من الاهتمام، ولكن في المستقبل سيسلط عليها الضوء بشكل أكبر، ومجالات الرعاية الصحية، بما فيها الصناعة الدوائية، مهمة لدرجة أنها تحتل ٧٠٪ من إجمالي الصناعات الحيوية. وبالنسبة لكلية الصيدلية، فهي توجد في موقع استراتيجي من تلك الأحداث. تشتهر كليات الصيدلة بإقبال الكوادر المتميزة عليها، ومعدل التوظيف لخريجها يصل إلى ١٠٠٪ تقريبًا. ناهيك عن ضخامة قيمة الدعم المخصص للبحوث العلمية المتعلقة بتطوير العقاقير الجديدة، مما سيساعد في تعزيز أساس مالي متين للجامعة. وترى الجامعة أن افتتاح كلية للصيدلة ضرورة حتمية، حتى تحظى بمكانة مرموقة من خلال نشر الكثير من أبحاث أساتذتها باسم الجامعة. ووسط كل ذلك، لم يكن لدى أساتذتنا سوى ربع مما تمتلكه الجامعات المنافسة، وكانت نقطة الضعف القاتلة لدينا هي القلة النسبية لعدد الأبحاث المنشورة حتى الآن. أما نقطة القوة الوحيدة فكانت تكمن في وجود كلية للطب؛ لذلك كانت النتيجة محسومة لصالح الجامعات المنافسة وفقًا لمعايير تقييم وزارة التعليم والعلوم.

**

وجهت تعليماتي للفريق التنفيذي بإعداد خطة هجومية لدرجة يمكن بها تعويض ذلك العائق. ونتيجة لذلك، تم عمل خطة شاملة احتوت على برنامج استثمار يصل إلى إجمالي ٩,٥٢ ملايين دولار لمدة ٧ سنوات بعد إنشاء كلية الصيدلة، بالإضافة إلى استراتيجية استقطاب الكوادر بتقديم الدعم لهم سواء في صورة منح تعليمية أو منح بحثية غير مسبقة، وخطة لدعم نفقات المعيشة... إلخ. وفوق ذلك، أصبحت لدينا قاعدة صلبة من الداعمين الطوعيين؛ حيث قام ٢,٢٢٥ شخصاً من سكان مدينة "إنتشون" بما في ذلك جزيرة "غانغهاو-دو" بالإضافة إلى جزيرة "بيكريونغ - دو"، و"مؤسسة غاتشون غيل" بتوقيع التماس لدعمنا. كان جوهر ذلك الالتماس هو "إذا كان من المخطط تأسيس كلية للصيدلة في منطقة "إنتشون"، فنتمنى أن تكون في "جامعة غاتشون للطب والعلوم" التي تترأسها الدكتورة "لي غيل يو"، وقال لي المنضمون للتوقيع على الالتماس: "عندما نتذكر ما قدمته "مستشفى غيل" طوال هذه الفترة من أعمال تطوعية لتقديم العلاج الطبي المجاني لسكان "جزيرة مو إي-دو" النائية وإنقاذ أرواح الكثيرين، نشعر بأن واجبنا يحتم علينا أن نقدم شيئاً لندرد لك الجميل".

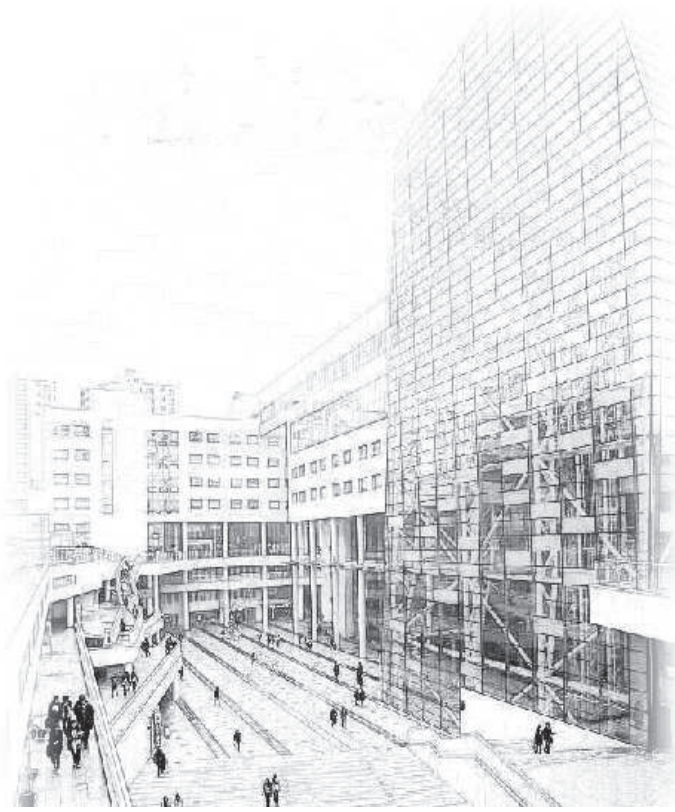
قدمت أول مستشفى في كوريا لا تتطلب إيداع مبلغ تأمين، ناهيك عن إجراء الفحص المبكر للكشف عن سرطان الرحم على مدار ٥٠ عاماً، وتأسيس وإدارة مستشفيات في المناطق المحرومة طبيًا التي تمتد من "يانغ بيونغ" إلى "تشيول وون" و"بيكريونغ - دو"، وتقديم الخدمات الطبية التطوعية في القرى التي تفتقر إلى الأطباء أو المرافق الطبية... إلخ. لذا، قالوا لي إنه في حال إدخال كلية صيدلة إلى "إنتشون"، لا يمكنهم أن يتخيلوا أن يديرها أحد غيري. هكذا بفضل الدعم الحماسي وتشجيع سكان "إنتشون"، وفقت جامعتنا في النهاية في الفوز بإنشاء كلية الصيدلة جنباً إلى جنب مع "جامعة يونسى". هكذا هزمت جامعتنا توقعات المحيطين، وانتصرنا على جامعة منافسة ذات تاريخ يمتد على مدار ٦٠ عاماً. كانت الجامعة المنافسة جامعة شاملة ضخمة، وإحدى أفضل ١٠ جامعات في كوريا. وقد نزل خبر هزيمة جامعة بتلك المكانة على يد "جامعة غاتشون للطب والعلوم" كالصاعقة على الجميع.

في البداية، تقدمت ٤ جامعات في "إنتشون" بطلب لإنشاء كلية للصيدلة. علت الأصوات الراضة بعد فوز "جامعة يونسى" من بين تلك الجامعات الأربع كونها لا تقع في منطقة "إنتشون"، ولكن على الصعيد الآخر، فهي معروفة بالاستعدادات التي تقوم بها منذ زمن طويل لإنشاء كلية للصيدلة بها، وكذلك الدور القيادي الذي اضطلعت به في توسيع كلية الصيدلة.

قمنا بتكوين فريق مهام خاص من أجل الفوز بالمناقصة، وقبل التقييم النهائي بثلاثة أشهر، وضعنا سبورة كبيرة على الحائط. طلبت منهم كتابة جميع المهام على تلك السبورة، وطرق تنفيذها، والمشكلات المتعلقة بها، ومحو كل مشكلة يتم حلها. كان الفريق يعمل حتى خلال العطلات والأعياد، وركز جميع جهوده من أجل الفوز بالمناقصة. وبمرور الوقت، أخذت المشكلات تحل واحدة تلو الأخرى. أما أنا، فكانت أتولى مواد العرض التقديمي بنفسى، وأهتم بأدق التفاصيل حتى الأكواب التي سيحتسي أعضاء اللجنة فيها الشاي وغيرها من التفاصيل من أجل تهيئة أفضل الأجواء لهم.

وقد فعلناها في السادس والعشرين من فبراير من العام ٢٠١٠؛ حيث وقع الاختيار على "جامعة غاتشون للطب والعلوم" لإنشاء كلية الصيدلة. أعتقد أن العاملين الحاسمين في الحصول على ذلك التقييم الجيد كانا: مرافق "مستشفى غيل" التابع لـ "جامعة غاتشون للطب والعلوم" المجهزة على أعلى مستوى داخل البلاد، والبيئة البحثية لـ "معهد لي غيل" لأبحاث أمراض السرطان والسكري". كما أتوقع أن مظهر الوحدة الذي ظهر به فريق "مؤسسة غيل" وكأنه أسرة مترابطة الأواصر قد ترك انطباعاً جيداً أيضاً لدى لجنة التحكيم. كذلك الالتماس الذي تقدم به أهالي "إنتشون" - بما في ذلك جزيرة "غانغهو-دو" بالإضافة إلى جزيرة "بيكريونغ - دو" - لعب دوراً كبيراً. كان حب أهالي "إنتشون" ودعمهم لي بمثابة جيش ضخ من مليون جندي شددت به عضدي.

قال لي الكثيرون: "أنتم محظوظون"؛ لأننا فزنا بمناقصة إدخال كلية الصيدلة، ولكنني أردت أن أقول لهم إن ذلك الفوز لم يكن ضربة حظ، بل كان ثمرة خطة استثمارية قوية، وخطة رئيسة محكمة، وإتقان متناه، وعناية مفرطة. لقد بذلت كل ما في وسعي لكي أخلق شيئاً من العدم. حينها فقط لا أعض أصابع الندم لو لم يحالفنا النجاح. وكما يقول "بنيامين فرانكلين": "عندما تحسن للآخرين، فإنك تحسن إلى نفسك"؛ هذه هي الحقيقة الثمينة للحياة التي قفرت إلى ذهني من جديد.



٢. لا يوجد سقف للأحلام

الفرص تولد من رحم الأزمات

يواجه كل منا أزمات في حياته. ونفهم من هذا المعنى أن الأزمات جزء من الحياة، لكن الشيء المهم هو أن اتجاه حياتك يتغير وفق تعاملك مع الأزمات، وحياة الإنسان أيضاً على المنوال نفسه؛ فالشدائد يمكنها كشف الجوهر الحقيقي للإنسان. فإذا ما استسلمت ويئست، كانت نهايتك. أما هؤلاء الذين يواجهون محنهم بشجاعة، ويتخطونها بحكمة، فهم مختلفون. ذلك لأن الأزمة -على الأحرى- تصبح فرصة لأولئك الذين يتخذون المحاولات والأخطاء كغذاء يساعدهم على النضج.

**

هناك أمر ما قد حدث في أوج بناء "مستشفى غيل" التابع لـ"جامعة غاتشون للطب والعلوم" في سنة ١٩٨٧. فمع أن الشركة المعمارية الشهيرة التي اخترتها كانت واحدة من أفضل ٨ شركات في مجال المقاولات على مستوى كوريا، حدثت مشكلة، حيث أفلس المقاول فجأة. وانتهى بنا الأمر إلى استيعاب ١,٢ مليون دولار من تكاليف البناء الأولية، واضطررنا لإيجاد شركة إنشاءات أخرى بصعوبة، ولكن هذه المرة، أصرت الشركة المعمارية الجديدة بشدة على إعادة حساب تكلفة البناء قبل تشييد المبنى، وغيرها من الأشياء التي عذبتنا. في وقت لاحق، تعرضنا أيضاً لحادث مناف للعقل، حيث غزت مجموعة من العصابات المنظمة العنيفة المستشفى لاختيار شركة للقيام بالأعمال الصحية والتدفئة. بعدما تعرضنا لأحداث فوضوية غير مقصودة، انتشرت شائعات في جميع أنحاء "إنتشون" مفادها أن "مستشفى غيل قد أفلس". والأدهى والأمر من ذلك هو انتشار شائعة موتي كالنار في الهشيم. لأنكر أننا تعرضنا لأزمة سيولة مؤقتة إثر التعطيل المتكرر في عملية البناء. وفي النهاية، بسبب نقص الأموال لدفع العلاوات للموظفين، كان عليّ أن أتحمل آلام بيع الأرض التي اشتريتها لتكون موقعاً لكلية التمريض بثمن بخس.

توالت الأزمات حتى بعد الاستحواذ على "جامعة كيونغ وون". لقد استحوذت

على الجامعة بشرط دفع ٢١ مليون دولار للشراء، وأن أتولى كذلك الديون التي بلغت قيمتها ٦ ملايين دولار. وبعدها بدأت على الفور اتخاذ سلسلة من الإجراءات الإصلاحية للجامعة؛ مثل: تغيير مجلس الإدارة بالكامل، وطلب الموافقة من وزارة التعليم وغيرها، ولكن بعد أن توليت الأمر على أرض الواقع، انهالت على رأسي المشكلات الكامنة، التي كان أخطرها عدم الثقة عميقة الجذور بين المؤسسة السابقة والطلبة؛ فالطلبة الذين كانت لديهم خيبة أمل كبيرة تجاه المؤسسة السابقة، لم تكن لديهم ثقة في المؤسسة الجديدة أيضاً. وفوق كل ذلك، فقد عارض اتحاد العاملين بالجامعة المؤسسة الجديدة بسبب تعيين شخص جديد في منصب رئيس، مع أنني أعتقد أنه أمر حتمي إلى حد ما في عملية التغيير بالمؤسسة وإصلاح هيكل الموارد البشرية.

**

وقد استطعت أن أقنعهم من خلال عرض الخطة الرئيسة التي حضرتها بقلبي ودمي، وأوضحت لهم الرؤية الجديدة لـ"جامعة كيونغ وون". ولكن الطلاب-الذين عانوا الاضطرابات الداخلية بسبب الفساد على مدار ما يقرب من ١٠ سنوات- لم يفتحوا قلوبهم لي بسهولة. فلم يصدقوني مهما عرضت من خطط، ومهما أوضحت من رؤى مستقبلية. خمدت حالة الاحتقان الداخلي، ولكنها بقيت مثل البركان الكامن الذي يهدد بالانفجار مع أول مشكلة. ومع استمرار هذه الحالة، بدا أن حلمي في "بناء واحدة من أكبر ١٠ جامعات في كوريا"، بل وحتى الإصلاح الفوري للجامعة سيصبح من المستحيلات.

فقررت أنه لا مفر من إجراء حوار مباشر مع الطلاب. كنت على يقين بأنني إذا أجريت مع الطلاب حواراً من القلب للقلب، سيشعرون بصدق نيتي: "أعدكم بأنني لن أدخر وسعاً حتى أرفع مكانة "جامعة كيونغ وون" لترتقي إلى مصاف أفضل ١٠ جامعات خاصة على مستوى كوريا. وقد أعددت بالفعل خطاً استثمارية لبلوغ هذا الهدف، ولكن إذا وقفتم ضدي، ستذهب كل هذه الخطط هباءً متشوراً. إذا

لم تقفوا معي على قلب رجل واحد، لن تتجاوز تلك المجهودات حد صب الماء في جرة دون قعر. لا يمكن أن ننجح ونحن متفرقون. أرجوكم ثقوا في حبي للجامعة، وفي رؤيتي لتحويلها إلى جامعة تفتخرون بها لا تقل عن أي جامعة مرموقة في سيئول.

كما وعدتهم أيضاً في تلك الجلسة بأنني سأسمح لجميع الطلاب -الذين تم فصلهم خلال أحداث النضال الديمقراطي للجامعة- بمواصلة دراستهم. حتى وعدي بإعطائهم منحاً دراسية، لم تكن حيلة مني لكي أخطب ودهم، بل كان اعتقاداً في نفسي بأن الصواب هو تعويض هؤلاء -الذين ضحوا بشبابهم لا من أجل أهواء شخصية، بل من أجل مصلحة المجتمع- بأي شكل من الأشكال.



"معهد غاتشون لأبحاث تكنولوجيا النانو الحيوية"

وأزيدكم من الشعر بيتاً، فقد تعهدت إليهم ببناء وتوسيع المرافق التي تفتقر إليها الجامعة على الفور؛ مثل: قاعات المحاضرات، والملعب، ومبنى المدينة الجامعية، وغيرها.

ربما لمس الطلاب صدق نيتي؛ حيث لم تندلع أي احتجاجات بعدها. أما أنا، فقد استثمرت بسخاء من أجل تطوير "جامعة كيونغ وون". أنشأت ملعباً كبيراً في الجامعة بعد أن كانت خالية من أي ساحات للعب، ومبانٍ ضخمة، مثل: "مركز سايروم" في ٢٠٠١، ومركز اللغات الدولي في ٢٠٠٣... إلخ. وفي عام ٢٠٠٨، أسست أول كلية لتكنولوجيا النانو الحيوية في كوريا، واستطعت أن أدعو إليها ٢١ من الكوادر البحثية، وعلى رأسهم الدكتور "إيفار ييفر" الحائز على جائزة نوبل للفيزياء.

**

وفي ٢٠٠٩، أبرمت اتفاقية لإجراء بحوث مشتركة مع "معهد بيل" بالولايات المتحدة الأمريكية، وافتتحت "مركز غاتشون لأبحاث الطاقة" لإرساء حجر الأساس من أجل أخذ زمام المبادرة في بناء شبكة ذكية في المنطقة. وزيادةً على ذلك، فقد افتتحت كذلك "معهد غاتشون المتقدم لأبحاث تكنولوجيا النانو الحيوية" في حرم "جامعة غاتشون" الذي يترأسه المدير الفخري الدكتور "ستيفن تشو" الحائز على جائزة نوبل ووزير الطاقة السابق في إدارة أوباما.

منذ أن توليت منصب مديرة "جامعة كيونغ وون"، لم يمر علي يوم واحد دون أن أواجه أزمة مختلفة صغيرة كانت أو كبيرة. كانت متعتي طوال حياتي في خوض التحديات التي يطلق عليها البعض "أفعالاً جنونية" فقط. دائماً أحاول أن أنسى فكرة "صعب" عند مواجهة الصعاب. عندما تلم بي أزمة، أركز فقط في أنه يجب التغلب عليها، فالشكوى وإلقاء اللوم على المتسبب في الأزمة والغضب كلها أمور لا تساعد أبداً على حل الأزمات.

الشيء الذي يجب أن تضعه في الاعتبار عند المرور بأزمة هو عدم الاستسلام مهما كلفك الأمر؛ فلا توجد أزمة دون حل، بل إن الأزمات تولد معنا وتظل ملازمةً لنا في حياتنا. وبالتالي يمكننا بالطبع إيجاد حلول لها. إذا كنت تعتقد حقاً أنه لا يوجد حل لها، فحاول أن تنظر إلى الوضع من زاوية إيجابية. فإذا فعلت كل ما

يمكنك فعله، ومع ذلك لم يتحقق مرادك، فحاول أن تقبل النتيجة وابحث عن الدرس المستفاد من مصابك. فلا يمكنك إعادة الماضي مهما تشبثت وندمت وجلدت ذاتك على الأخطاء السابقة.

هؤلاء الذين اعتادوا على التحديات والمغامرات هم من يقدرّون على الاستمتاع بالمصاعب. فمواجهة المصاعب تشحن إرادة البعض في الحياة، وتجعل قلوبهم تتسارع من تزايد الرغبة المتوهجة بداخلهم في الانتصار عليها. كم هو أمر مدهش أن تحول طريقة تفكيرك وتقول للأزمة: "اهجمي عليّ. واجهيني".

**

اخترت المروحة الورقية لتكون رمز "مؤسسة غاتشون". ففي طفولتي، كنت كثيرًا ما أَلعب بالمروحة الورقية. أصعد تلة شاسعة ممسكةً بإحدى يديّ المروحة الورقية بعد أن أثبتها في القش، ثم أقوم بلفها. كنت أركض بكل طاقتي مهما كنت متعبة ولا أستطيع التقاط أنفاسي رغبةً مني في أن أرى المروحة الورقية وهي تدور أسرع. تدور المروحة الورقية بقوة أكبر فقط عندما تكون هناك مقاومة للرياح المعاكسة. كلما اشتدت قوة الرياح المعاكسة، دارت المروحة الورقية أسرع وبمرح أكبر، مثلي تمامًا حين أصبح أقوى وتنبثق مني روح التحدي عند مواجهة الأزمات.

من أجل الأفضل

إن تغيير شيء موجود بالفعل للاتجاه الذي تريده لهو أمر أصعب بكثير من خلق شيء جديد، لا سيما تغيير تقاليد أو ثقافة أو عادة راسخة. كانت أكبر معضلة تواجهني بعد الاستحواذ على "جامعة كيونغ وون" هي "كيف يمكن أن أغير هذه الجامعة التي أنهكتها الخلافات الداخلية على مدار ١٠ سنوات؟" بالنسبة لبناء المباني والملعب، فهو أمر في المتناول بمجرد توفر المال والإرادة، ولكن المشكلة

الحقيقية كانت تكمن في تغيير الثقافة الداخلية وإصلاح العقول. بعبارة أخرى: "كيف يمكنني تغيير برمجة العقول؟" هذه هي المعضلة التي كانت تثقل صدري. كان الأمر الأصعب من بين ذلك هو تغيير مجتمع أعضاء هيئة التدريس؛ فهو يعتبر من الناحية التقليدية متحفظاً للغاية في قبول التغيير والتطور. نظراً لأنه مجتمع مستقل ومغلق مقارنةً بأي مجتمع آخر، بجانب شدة صلابة الإطار غير المرئي له القائم على الكبرياء. في صميم ذلك المجتمع، يوجد نظام يمكننا أن نطلق عليه نظام التوصية والتوظيف الذي تحكمه "الشلية الأكاديمية" ومبدأ الأقدمية.

**

المنظمات التي تفشل في التكيف بمرونة مع التغيير، لا تكون قادرة على المنافسة. والأهم من ذلك، أن التنافسية العالمية أصبحت شرطاً ضرورياً اليوم للبقاء، فالجامعات العاجزة عن تخريج كوادر عالمية متميزة لا داعي لوجودها، بل إنها لن تستطيع حتى البقاء. وأعضاء هيئة التدريس هم الركيزة التي يجب أن تضمن تلك التنافسية؛ لذلك إذا لم تكن عند أعضاء هيئة التدريس تلك الحساسية نحو التغيير ولم يستوعبوه، لن يكون هناك مستقبل للطلبة الذين يبنون شخصياتهم، ولا للجامعة التي تحتويهم.

كنت أناشدهم بقلب يقطر دماً: "السادة الأساتذة الكرام! ألا يغلي الدم في عروقكم عندما تسمعون أن طلابنا يقفون في ذيل صفوف التوظيف، وأنهم يتمنون لو أن الأرض تنشق وتبلعهم خشية أن يعرف من حولهم أنهم خريجو "جامعة كيونغ وون"؟ لو كانوا أبناءكم، كنتم ستعلمونهم وتتركونهم يخرجون للمجتمع بهذه القدرات؟ هذا أمر غير مقبول. يجب أن نعلمهم ونبني قدراتهم التنافسية، كما ينبغي قبل أن يخرجوا إلى سوق العمل. يجب ألا نستمر في جامعة آثمة هكذا. فلنبذل أقصى ما في وسعنا من أجل ذلك".

وبعدها قابلت كل أستاذ على حدة، وأصغيت إلى جميع المشكلات التي يشعرون

بها فيما يتعلق بالجامعة بما في ذلك المحاضرات، والمناهج، ورعاية الطلاب. كما دوت جميع مقترحاتهم بدقة، ووعدهم بأن أعكس بإيجابية آرائهم المنطقية. نتيجة لذلك، استطعت بحق أن أضع يدي على مشكلات المؤسسة التي تحتاج إلى حلول عاجلة. فتحت نافذة للحوار المستمر بين الأساتذة والمؤسسة، ووعدت بتقديم الاستثمار والدعم الكاملين لتحقيق الهدف المشترك المتمثل في تطوير الجامعة. وفي المقابل، طلبت منهم تحسين قدراتهم البحثية.

**

وفي ٢٠٠٧، قدمت لأساتذة "جامعة كيونغ وون" عرضاً غير مسبوق: "من الآن فصاعداً، سأقدم مكافأة مالية تصل إلى نصف مليون دولار للباحث الذي سينشر بحثه على غلاف واحدة من الدوريات العلمية الثلاثة الرائدة في العالم: نيتشر (Nature) أو ساينس (Science) أو سل (Cell). ومكافأة مالية تصل إلى ١٢٠ ألف دولار للباحث الذي ينشر بحثه داخل إحدى المجالات الثلاث، وليس الغلاف، بالإضافة إلى ترقية خاصة. ولن يقتصر الأمر فقط على الأبحاث، فالباحث الذي سينشر كتاباً ويتم استخدامه فيما لا يقل عن خمس جامعات كبرى، سيحصل على مكافأة تشجيعية بقيمة ١٠٠ ألف دولار، وسيكون لذلك مردود أيضاً عند تقييمه".

منذ زمن طويل، والجامعات الكورية تطبق نظام مكافآت النشر -بشكل تنافسي- بهدف تشجيع الأبحاث العلمية لأساتذة الجامعات، ولكن في تلك الفترة، كانت المكافآت التي عرضتها هي الأضخم. فحتى ذلك الوقت، كان الحد الأقصى للمكافآت كالتالي: "جامعة كيونغبوك الوطنية" ١٠٠ ألف دولار، وبعدها "جامعة كوريا" و"جامعة يونسي" ٢٠ ألف دولار فقط .

هناك طريقة أخرى اخترتها لرفع الكفاءة البحثية لأساتذة الجامعة؛ وهي إدخال "نظام التوظيف بدوام كامل عند الحاجة". يفتح ذلك النظام الباب على مصراعيه لتعيين الكفاءات العلمية الكبيرة -في أي وقت- في منصب أستاذ جامعي. قبل

ذلك، كان النظام السائد هو نشر إعلان التوظيف في وقت محدد، ويقوم كل قسم بفحص طلبات المتقدمين، واختيار الأستاذ الجامعي. ولكن المشكلة في ذلك النظام هي الظاهرة التي يطلق عليها "الشللية الأكاديمية والدوائر الشخصية". وبالتالي تتدخل شبكة العلاقات الشخصية في عملية التعيين بغض النظر عن الإنجازات البحثية أو قدرات وكفاءة الأساتذة. أما " نظام التوظيف بدوام كامل عند الحاجة"، فهو يقطع الطريق أمام تلك الاعتبارات من البداية؛ حيث يسمح للجامعة بتعيين أي أستاذ -كلما دعت الضرورة إلى ذلك- عبر الفصول الدراسية على مستوى الجامعة. أعلم ما إذا كانت الجامعات الأخرى تحاول الحد من احتياجاتها وأهدافها، ولكن ما أعلمه جيداً هو أن ذلك النظام لم يتم تنفيذه في أي جامعة بكوريا من قبل.

**

ما طمحت إليه هو استراتيجية هادفة إلى إحداث "تغير إيجابي". كنت أعتقد بأنه إذا انضم إلى جامعتنا ١٠٠ أستاذ يتمتعون بالكفاءة والعقلية الإصلاحية بالإضافة إلى الشغف، سأستطيع تغيير تلك الثقافة العقيمة. وإذا انضم من ٥٠ إلى ١٠٠ أستاذ متفرغين للبحث العلمي فقط، أعتقد أن شغف الدراسة المتقدم الذي ينبعث منهم بإمكانه تحريك المياه الراكدة للنظام القديم. مفاهيم مثل: "إعادة الهيكلة" أو "الابتكار" تركز على القضاء على العناصر السلبية؛ لذلك ارتأيت أنه من الأفضل أن أركز جهودي على تعزيز العناصر الإيجابية. إذا تعجلت للتخلص من نقاط الضعف، فمن السهل أن يحدث تفتيت تنازلي. على الجانب الآخر، إذا عززت نقاط القوة وأبرزتها بشكل أكبر، يمكنك تحقيق توحيد تصاعدي شامل. كنت أعرف أن تعزيز نقاط القوة حتى ولو صحب ذلك عدم المساس بالجوانب السلبية الموجود، من شأنه إحداث حافز بدلاً من الفتنة، وخلق حلقة فاضلة بدلاً من الحلقة المفرغة؛ لذلك أقدمت على تنفيذ ذلك بجرأة.

يمكنني تلخيص استراتيجية التغير الإيجابي في معادلة "N³+G²". "جامعة غاتشون" جامعة "عملاقة" يصل عدد الطلاب الملتحقين بها إلى أكثر من ٤ آلاف

طالب، وهي ثالث أكبر جامعة في ضواحي العاصمة سيئول بالنسبة لعدد الطلاب المقبولين بها. المعادلة "N³+G²" هي الاستراتيجية التي سميتها "الاختيار والتركيز". يجب أن ترتقي جميع أقسام الجامعة سلم التصنيفات لتصبح من أجل أن تصبح الجامعة ضمن أفضل ١٠ جامعات خاصة على مستوى كوريا.

**

من أجل الوصول إلى هذه الغاية، نحتاج إلى أقسام تتولى زمام القيادة لتكون بمثابة الخط الأمامي لنا. المعادلة "N³+G²" هي تنمية مركزة لقدرات قسمين، حتى تكون لهما تنافسية عالمية، و٣ أقسام لتصبح الأكثر تنافسية محلياً. إذا أخذت بيد هذه الأقسام الخمسة للقفز إلى مصاف الأفضل محلياً، والأفضل عالمياً، سأتمكن أيضاً من قيادة باقي الأقسام والطلاب إلى أعلى مستوى.

يعني "مبدأ باريتو" أن ٨٠٪ من النتائج مسؤول عنها ٢٠٪ من الأسباب في جميع مجالات المجتمع البشري. من هذا المنطلق، يسمى أيضاً "مبدأ ٨٠:٢٠". ولكنني أومن بمبدأ أعنف وهو "مبدأ ٩٠:١٠"، أي إن ٩٠٪ من النتائج يقودها ١٠٪ من الأسباب. وجزء من استراتيجية الـ ١٠٪ هو اختيار ٦٠ طالباً كل عام وإعطائه دورة مكثفة في اللغة الإنجليزية بحرم "غانغهاو-دو". هكذا يمكن للطلاب الذين نموا مهاراتهم في اللغة الإنجليزية عند عودتهم إلى الحرم الجامعي مرة أخرى أن يساهموا في رفع مستوى اللغة عند باقي الطلاب أو أن يحدثوا على الأقل "طفرة للاهتمام بدراسة اللغة الإنجليزية".

منذ عدة أعوام، وأنا أوجه نظري إلى الصين، فأوفد سنوياً ١٠٠ طالب في منح دراسية هناك لمدة عام كامل. عندما يعود هؤلاء الطلبة بعد إتمام عامهم من الحياة الدراسية هناك، يشاركون خبراتهم مع الطلاب الآخرين حول الصين -أضخم سوق ناشئة على وجه البسيطة- ويلفتون انتباههم نحو إمكاناتها غير المحدودة.

أؤمن بأن نملة واحدة قادرة على أن تجعل قلعة تنهار، والعكس صحيح؛ فتلك

النملة يمكنها أن تحول دون انهيار قلعة برمتها. والقوة الإيجابية هي الوسيلة التي من شأنها أن تربي "تلك النملة".

متحدون نقف!

"مدينة سونغو الدولية" -التي تمتد على مساحات شاسعة- قيد التقدم حاليًا. في ذلك المكان، يوجد حلم آخر لي يكبر مع الوقت، إنه مجمع البحوث الحيوية ينمو خطوة بخطوة ليصبح قبة تطوير العقاقير الجديدة والصناعات الحيوية.

مجمع البحوث الحيوية (Bio-Research Complex; BRC)؛ هو شركة أسستها "مؤسسة غاتشون غيل" في "مدينة سونغو الدولية" بـ"إنتشون" بهدف تأسيس مجمع ضخم للبحوث الحيوية. من المزمع إنشاؤه على مساحة ٢٠٤ آلاف متر مربع. ومن المخطط انتقال شركات التكنولوجيا الحيوية المحلية والعالمية الرائدة، وشركات الأدوية، ومعاهد البحوث إليه. بعد انتقالها، ستجري تلك المعاهد مشاريع بحثية مشتركة مع "مستشفى غيل التابع لكلية الطب بجامعة غاتشون"، و"معهد لي غيل يو لأمراض السرطان والسكري"، و"معهد غاتشون لأبحاث علوم الدماغ"، و"معهد غاتشون لأبحاث تكنولوجيا النانو الحيوية". ومع أنه الآن مجرد حقل مهجور تم إنشاؤه عن طريق ردم البحر، فسيتحول قريبًا إلى مجمع أبحاث ضخم لتطوير العقاقير الجديدة. ما أحاول تحقيقه من خلال هذا المشروع هو تطوير مجموعة طبية ضخمة تجمع الطب والتعليم والبحاث. يبدو أنني قد اقتربت خطوة واحدة من هذا الحلم؛ حيث استطعت أن أضم كلية الصيدلة أيضًا.

الآن، أصبحت "جامعة غاتشون" ثالث أكبر جامعة على مستوى ضواحي سيئول في عدد الطلبة المقبولين سنويًا. كما سيتم تجهيزها بإمكانات بحثية على مستوى عالمي قادر على تطوير عقاقير مواد جديدة من خلال ربط كلية الطب، وكلية الطب التقليدي الكوري، وكلية الصيدلة، وكلية النانو الحيوية. يجري "معهد غاتشون

لأبحاث علوم الدماغ" و"معهد لي غيل يو لأبحاث أمراض السرطان والسكري" حاليًا أفضل الأبحاث في العالم. إذا تم الجمع بين هذه الإنجازات البحثية مع معاهد الأبحاث الدولية من خلال BRC، فإن حلم المجموعة الطبية سيكون عندئذ قادرًا على أن يؤتي ثمارًا ملموسة.



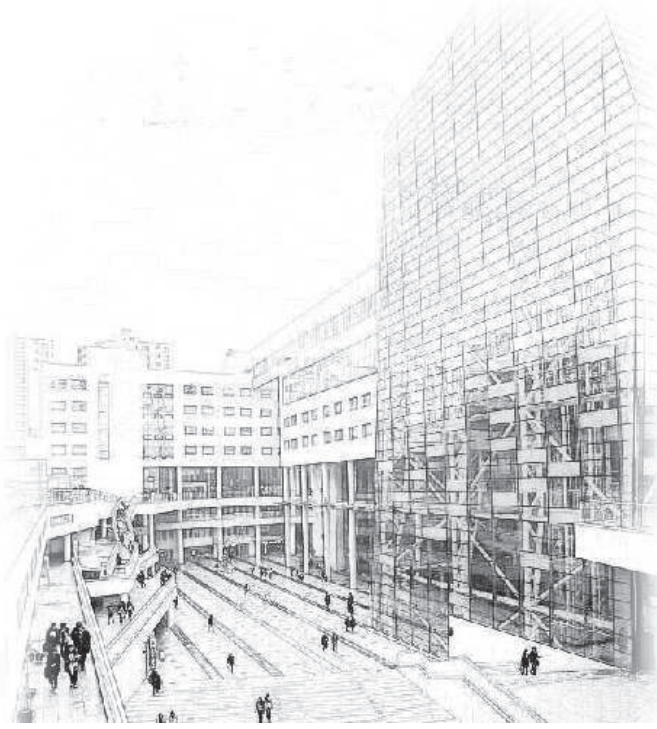
مجمع البحوث الحيوية المزمع إنشاؤه في "مدينة سونغدو الدولية"

في هذه المعاهد البحثية، يمكن تطوير عقاقير جديدة لقهر السرطان والسكري، وقد تولد "عشبة الشباب الأبدي للقرن الحادي والعشرين" التي تمنع شيخوخة البشر.

طريق أحلامي ليس له نهاية. فكلما نصحني أحد بأخذ قسط من الراحة، يحفزني أكثر لأتقدم إلى الأمام، شأني شأن دوارة الرياح التي تدفعاها الرياح المعاكسة، فتشدد قوة دورانها. حلمي متصل بمستقبل كوريا، بل ومستقبل البشرية أيضًا. لذلك فأنا اليوم مستمرة في الماضي قدمًا بعين على المستقبل، وأقصد بالمستقبل ١٠٠ أو ٢٠٠ عام قادمين، وليس فقط السنوات أو العقود الباقية لي في حياتي.

**

من المقولات القديمة: "إن الخير الذي تقدمه اليوم للآخرين، تعود بركته على الأجيال القادمة". تعني هذه المقولة ألا نفعل الخير ومنتظر الجزاء من البشر، بجانب أن فعل الخير لا يذهب سدى بل إنه حتمًا سيرد إليك يومًا ما. ولكنني أختلف معها؛ فاللحظة التي يعطي فيها الإنسان، هي اللحظة التي ينال فيها أضعاف ما أعطى ويشعر فيها بأضعاف قيمة ما قدمه. هذا لأن السعادة والفرح، والقيمة هي أفضل المعاني والهبات التي لا بديل لها.



٣. اركض ٢٥ ساعة في اليوم

أنا أستمتع بعملِي

يقال إن توماس أديسون -ملك الاختراعات- كان يعمل ١٦ ساعة يوميًا، وينام ٤ ساعات فقط. وقال إن الناس يضيعون ساعات كثيرة في النوم. كان أحيانًا يقضي ٢٠ ساعة يوميًا منكبًا على بحث. ومن أقواله الشهيرة إن "العبقريّة ١٪ منها إلهام و٩٩٪ جهد وعرق". يبدو أن أديسون كان مدمن عمل بالفطرة. يعتني البعض أيضًا بأنني مدمنة عمل، ولكن إذا صححنا ذلك الوصف ليكون أكثر دقة، فأنا أستمتع بعملِي فقط ولست مدمنة للعمل.

**

لا أتذكر أنه مرت بي ولو لحظة واحدة إلا وأنا أفعل شيئًا ما. مهما بدت المهمة التي علي أن أقوم بها مستحيلة، ومهما كان العمل كثيرًا، أستشف أولاً طبيعة هذه المهمة، ثم أقسم الهدف إلى أجزاء صغيرة، وأقوم بكل جزء واحدًا تلو الآخر. يطلق علي البعض "المرأة التي تعيش ٤٨ ساعة يوميًا"، ويسألني البعض الآخر عن شفرتي السرية التي أستطيع بها إنجاز كل تلك الأعمال -على كثرتها- بمفردي.

نعم، لدي شفرة سرية. إذا نمت ٤ ساعات فقط يوميًا، لن يستحيل عليك إنجاز أي شيء. لا أقصد بهذا الكلام العدد الفعلي "٤ ساعات". ولكنني أعني أنه لا يوجد شيء لا يمكنك فعله إذا عازمت بإصرار على ألا تتعدى ساعات نومك ٤ ساعات فقط في اليوم. أقول قولي هذا أيضًا لمن يشتكون من ضغوطات العمل، أو من يهابون الإقدام على تنفيذ هدف جديد.

كنت دائمًا غارقةً في مشاغلي. فخلال الجامعة كانت الدراسة تشغل وقتي، وبعد أن أصبحت طبيبة صارت رعاية المرضى شغلي الشاغل، ومنذ أن بدأت عمل المؤسسة، كان حل مشكلات الجامعة وتنسيقها يأخذ جل وقتي. كانت أفضل طريقة

لأجد الوقت الذي يستوعب كل هذه المهام هي تقليص ساعات نومي. هذه الأيام أيضاً أدرس مختلف الملفات المتراكمة على مكتبي مثل التلال وأوقع عليها، وكذلك أحضر للفعاليات المتنوعة، لدرجة أنني لو نسخت نفسي ١٠ نسخ لكان قليلاً على إنجاز كل تلك المهام. حتى في زخم تشبثي اللامتناهي بعلمي واستمتاعي به، أفكر دون كلل في الاتجاه المستقبلي للمؤسسة، وأكرس طاقتي لرسم مستقبلها الجديد. منذ بضع سنوات قليلة، قررت أنه يجب أن أهتم بصحتي، فزدت ساعات نومي اليومية بالكاد إلى ٦ ساعات. ولكن قبل ذلك الوقت، كنت أعتبر النوم لمدة ٤ ساعات إسرافاً.

**

قرأت ذات مرة مقالاً لطبيب نفسي يدعى "هادفيلد"، كان قد أجرى تجربة على تأثير السلوك العقلي على قوة العضلات، وقسم الخاضعين للتجربة إلى مجموعتين، مفترضاً أن تفكير الناس يؤثر على أجسادهم. وقبل بدء التجربة أجرى فحصاً للقوة العضلية لكلا المجموعتين عند قبض اليد على الأشياء؛ أي قوة قبضة اليد، والنتيجة أنهم حملوا ما متوسط وزنه ٤٥ كجم.

كرر الدكتور "هادفيلد" عبارة "أنتم ضعفاء جداً، ولا يمكنكم رفع هذه الأشياء" على المجموعة الأولى، وهم في حالة تنويم مغناطيسي، وبعد ذلك فحص قوة قبضة اليد مرة أخرى. فكان الوزن الذي حملته المجموعة الأولى ١٣ كجم تقريباً. والأدهى من ذلك أن أحد المشاركين في تلك المجموعة حاصل على بطولة في فنون الدفاع عن النفس. على الجانب الآخر، كان الدكتور "هادفيلد" يكرر على أفراد المجموعة الثانية الخاضعين للتجربة عبارة "أنتم أقوياء جداً، ويمكنكم رفع أي شيء". ثم فحص قوة قبضة اليد مرة أخرى كما فعل مع المجموعة الأولى، ولكن هذه المرة كانت النتيجة مفاجئة، فقد تمكنوا بشكل مذهل من رفع متوسط وزن ٦٤ كجم.

هناك الكثير من الأمثلة التي توضح التأثير الكبير للتفكير على جسم الإنسان

وسلوكه بالإضافة إلى تلك التجربة. فقد أعلن أستاذ الطب الرياضي "آرثر إستينهاوس" عن نتائج تجربة مشابهة للتي قام بها "هادفيلد"، وقد أوضحت تلك النتائج أن السلوك العقلي من شأنه زيادة القوة العضلية للإنسان بنسبة تصل إلى ٣٠٪. تلك الأمثلة تثبت أن التفكير يمكنه أن يسيطر على قدرة الإنسان.

قالت "كيم يون آه"، التي تربعت على عرش رياضة التزلج الفني على الجليد، وحققت الميدالية الذهبية في دورة الألعاب الأولمبية الشتوية بمدينة فانكوفر بأداء قارب المثالية، إنها تتدرب على اللف "قفزة لوتز" ٣٠٠ مرة في اليوم، وفي المرة الواحدة تقوم بثلاث لفات، أي ٩٠٠ لفة في اليوم. لو فرضنا أنها تتدرب ٣٠٠ يومًا في العام، فهذا يعني أنها تقوم بـ ٣٠٠ ألف لفة في السنة، أي قد يتخطى مجموع تلك اللفات منذ أن بدأت رياضة التزلج إلى الآن نحو ٣ ملايين لفة.

**

إن تمكن "كيم يون آه" في هذه السن الصغيرة من الهيمنة على الساحة العالمية ما هو إلا ثمرة التدريب على القفز لأكثر من ٣ ملايين مرة في صالة التزلج الباردة على الجليد، وسقوطها مرارًا وتكرارًا على مؤخرتها أثناء التدريب بالإضافة إلى حرمان نفسها مما تشتتهي من طعام وكبح جماح رغباتها. ومع ذلك، يحسد الناس "كيم يون آه" على الأضواء المسلطة عليها فحسب، مغلقين أعينهم عن التضحيات والجهد وراء تلك الإنجازات.

ينبغي على الإنسان بذل مجهود يزيد على ١٠ آلاف ساعة من أجل الوصول إلى مستوى خاص يميزه عن الآخرين. هذا ما يطلق عليه "قاعدة العشرة آلاف ساعة". يقال إن الملحنين، ولاعبي البيسبول، والروائيين، ولاعبي التزلج، وعازفي البيانو، ولاعبي الشطرنج وغيرهم -الذين خلدوا أسماءهم في سجل التاريخ في مجالاتهم- قد بذلوا مجهودًا غير معتاد يتجاوز المستويات النمطية للبشر العاديين. استطاع عالم الأعصاب "دانيال ليفيتين" تقدير عدد ساعات المجهود الخاص تلك بأكثر من

١٠ آلاف ساعة بشكل إحصائي. "١٠ آلاف ساعة" تعني إجمالي ساعات المجهود الخارق الذي يجب أن يبذل على مدار ١٠ سنوات بمعدل ٣ ساعات يوميًا و٢٠ ساعة أسبوعيًا. ذلك المعنى مرتبط بشكل وثيق مع مقولة "يتحقق المجد ببذل مجهود مضمّن في مجال واحد لمدة ١٠ سنوات متواصلة". ما أود إضافته في هذا السياق هو أن مجهودي وفلسفتي لم تكن منارةً لشخصي، بل كانت نبراس الهداية لأسرتي ومجتمعي ووطني والعالم، بل والبشرية جمعاء.

قاتل بكل جوارحك

في قديم الزمان، كان هناك عجوز تسعيني يدعى "يو غونغ" يعيش في أرض ضيقة واقعة بين "جبل تيانغ" و"جبل وانغوو" بالصين. ولكن كان هناك جبلان كبيران، بارتفاع ٧٠٠ ري -وهو ما يعادل ٢٨٠ كم- يمتدان على مسافة ٢,٠٠٠ ميل، يحجبان الرؤية عن الجزء الأمامي والخلفي من المنزل الذي يعيش فيه؛ لذلك كان يصعب عليه الانتقال إلى المناطق المجاورة والالتقاء بالناس. وفي يوم من الأيام، أخذ يحدق بالجبلين طوال اليوم، ثم جمع عائلته وقال لهم:

- "أريد أن أزيل الجبلين لأمهّد طريقًا مباشرًا يمتد حتى الجنوب في منطقتي "بيجو" و"هان سو"، فما رأيكم؟".

وافقت العائلة باستثناء زوجته التي قالت:

- "كيف لعجوز مثلك أن يزيل جبلين كبيرين هكذا؟ وأين ستلقي نواتج تكسير الجبل؟".

- "سأحملها وألقيها في "بحر بوهاي"".

وفي صباح اليوم التالي -الذي حسم فيه أمره- اصطحب "يو غونغ" أبناءه الثلاثة وأحفاده إلى هناك، وبدؤوا في تكسير الأحجار، وحفر الأرض، وذهبوا لإلقاء نواتج التكسير في "بحر بوهاي". وبالرغم من بعد المسافة حتى "بحر بوهاي"؛ إذ يستغرق طريق الذهاب والعودة عامًا كاملًا، إلا أن ذلك لم يفتر عزيمته. أحد

العلماء يدعى "جي سو" شاهد ما فعله الرجل فقال له:

- "يبدو أنها تخاريف عجوز يحوم الموت فوق رأسه".

فرد "يوغونغ" عليه بهدوء قائلاً:

- "حتى إذا رحلت، فسيستمر أبنائي في العمل، وإذا لحقني أبنائي، فسيكمل أحفادي ما بدأنا، وسيلد الأحفاد أبناء آخرين حتى يقتلعوا تلك الجبال من هنا... هكذا إذا تواصل عمل أحفادي، سيأتي اليوم الذي تتحول فيه تلك الجبال إلى أراضٍ منبسطة".

لم يندهش العالم وحده عند سماع رد "يو غونغ"، بل والإلهان الحارسان للجبلين. اعتقد الإلهان أن زوال الجبلين سيكون طامة كبرى؛ لذلك ذهبوا إلى "الإمبراطور جايد" -حاكم الجنة في الثقافة الصينية- وشكا له الأمر. ولكن تأثر "الإمبراطور جايد" بإصرار "يو غونغ"، وأمر ابنه واثنين من الخدم بأن ينقلا الجبلين: "جبل تيانغ" إلى منطقة "ساك دونغ"، و"جبل وانغوو" إلى منطقة "أونغ نام". وبفضل قرار الإمبراطور اختفى حتى التل الصغير الذي كان موجوداً في الناحية الجنوبية من "غي جو" و"هان سو" حيث كان الجبلان.

وردت تلك الأسطورة القديمة في الكلاسيكية الصينية: "أسئلة تانغ"، التي كتبها "لي يوكو". وجاءت بها المقولة القديمة "يو غونغ الذي حرك الجبال" من المعنى الذي انطوت عليه بأن الجبال نفسها يمكننا إزالتها إذا قهرناها بالصبر والإخلاص. بالتأكيد تنال الغايات بالجهد الذي لا ينقطع.

منذ أن كنت أدير "مركز لي غيل يو الطبي للنساء والتوليد" الخاص بي، ودائماً ما كانت تراودني فكرة إنشاء مؤسسة لتعليم الطب توفر تعليماً طبيّاً مميّزاً لتنشئة كوادر طبية عالية الكفاءة. لم يكن هذا الأمر عبارة عن طموحات مبهمّة، حتى حيرتني الشديدة التي توصلت من خلالها بأن نبدأ بتحمدي إنشاء كلية للتمريض أولاً -لو كان إنشاء كلية للطب أمراً شاقاً- لم يكن إلا نتاج خطة ملموسة على أرض

الواقع. فقد كان ألمي من إنشاء كلية للتمريض هو إرسال خريجات تلك الكلية إلى القرى الخالية من عيادات أمراض النساء والتوليد للقيام ولو بدور القابلات؛ بغية إيقاف المأساة العنيفة للوفيات المفاجئة للأمهات بعد أن يضعن حملهن. بعد عودتي من الدراسة في اليابان أضحى حلمي بتنشئة طواقم طبية أمراً ملحاً. وبالطبع لم يكن تحقيق ذلك بالأمر اليسير.

**

انطلقت أولى خطوات تحقيق مشروع التعليمي من الاستحواذ على "كلية كيونغين للتمريض" التي كانت تعاني من مشاكل إدارية كبيرة في عام ١٩٩٤، و"مدرسة شين ميونغ الثانوية للبنات". كان واحداً من الأسباب الرئيسة وراء قراري بالاستحواذ على "مؤسسة شين ميونغ التعليمية" هو كلية التمريض. كانت مدرسة التمريض العريقة التي يرجع تاريخ تأسيسها لعام ١٩٣٩ هي أصل "كلية كيونغين للتمريض". بعد استحواذي على "مؤسسة شين ميونغ التعليمية"، سرعان ما أعدتها إلى وضعها الطبيعي، بعدما كانت تعاني من مشاكل إدارية طاحنة، ونذرت نفسي لبناء كوادر تمريضية ذات كفاءة عالية. وفي عام ١٩٩٦، وقع في يدي إعلان للحكومة عن إمكانية إنشاء كلية للطب في ضواحي العاصمة سيئول. كان فحوى ذلك الإعلان أن الحكومة ستسمح بإنشاء كليات الطب بعدما ظل الأمر متوقفاً طيلة ٤٠ عاماً. كان قراراً سياسياً لتلبية الاحتياجات الطبية المتزايدة، ولكنه بالنسبة لي كان بمثابة فرصة ذهبية لخوض تحدي إنشاء كلية الطب التي حلمت بها على مدار ٥٠ عاماً. بالرغم من ذلك، كنت تائهة بعض الشيء. وذلك لأنه لم يكن حولي أي متخصصين لديهم خبرة في إنشاء الكليات، ولكن ذلك لم يثني عن خوض التحدي. وأخذت أفكر في كيفية اصطاد تلك الفرصة -التي جاءني بعد عناء- بأي طريقة من أجل تحقيق حلم حياتي.

على الفور، اشتريت قطعة أرض في "جبل غيل سانغ سان" بـ"مقاطعة غانغهو-دو" لبناء جامعة تبلغ مساحتها ١٠٠ ألف متر مربع لتلبية المعايير التي وضعتها وزارة التعليم. بالتأكيد كان هناك سبب لاختيار مقاطعة "غانغهو-دو"،

وهو أن الحكومة تعطي الموافقة على إنشاء كليات الطب فقط داخل "منطقة إدارة النمو" -مثل: "غانغها-دو"، "بوتشون"... إلخ- لكونها مناطق منخفضة الكثافة السكانية -حتى ولو كانت من ضواحي العاصمة- نظرًا لأن الجامعات من أهم عوامل تركيز السكان في المناطق. لذلك كان قراري متوافقًا مع خطة الحكومة. بدأت أعمال البناء في مارس ١٩٩٧. كان الموعد المقرر لزيارة التفتيش الميداني لوزارة التعليم في شهر نوفمبر من ذلك العام، ولكن لم يكن الوقت في صالحنا، مع أن أعمال الحفر تجري على قدم وساق ليلاً ونهاراً وكذلك بناء المباني. فقد كانت المستندات المطلوبة لإنشاء كلية الطب كثيرة ومعقدة بجانب عمليات إنشاء الحرم الجامعي. كانت حياتي في تلك الفترة سلسلة من الأيام المتشابهة، أهرول هنا وهناك بمفردي لا يغمض لي جفن سوى ساعتين أو ثلاث في اليوم.

**

وبينما كنت غارقة في إجراءات الحصول على تراخيص البناء، سمعت خبراً نزل علي كالصاعقة، وهو أن وزارة التعليم قد قدمت موعد زيارة التفتيش إلى شهر أغسطس. بالنسبة للآخرين المتقدمين بطلبات أو المنافسين فهم يستطيعون التعامل مع تلك الأزمة بما يكفي بمجرد إعطاء القليل من الاهتمام إلى بعض الأبنية القائمة بالفعل واستخدامها بوصفها مباني لكلية الطب. لكن ذلك الخبر لم يكن أمراً منصفاً تماماً بالنسبة لي، فقد كان يتوجب علي أن أبدأ من الصفر، بدايةً من شراء الأرض ودق المسامير ورفع الأعمدة حتى يكتمل بناء مبنى من العدم. فذهبت إلى السلطات المعنية، وشرحت لهم وضعي، وقدمت اعتراضاً على ذلك القرار، ولكن جاءتني الإجابة بأن الزيارة ستتم في الموعد المحدد لها في أغسطس. وجاءت نتيجة الزيارة كما كان متوقعًا. لجنة التفتيش خفضت درجاتنا بسبب انخفاض معدل تنفيذ البناء.

وفي المقابلة الشخصية -آخر مراحل التفتيش- تم إبلاغنا بوضعنا على قائمة الانتظار. وأن الكليات الثلاث الأخرى، التي تقدمت معنا بطلبات لإنشاء تلك الكلية، قد حصلت على جميع التصاريح اللازمة. ركلت المكتب وانتفضت من مكاني وقلت

- "لدي ثقة أكبر من أي شخص على الإطلاق في قدرتي على إنشاء كلية طب عظيمة. وأنا حاليًا أقوم بإجراء كل الاستعدادات بخطوات متأنية. لو قامت اللجنة بزيارتها في شهر نوفمبر كما كان مخططًا، حينها كنت سأقدم لكم أجمل حرم جامعي في كوريا، وقد قمت بالفعل بإسناد مهام تصميم الجامعة إلى أفضل المعماريين في دولتنا. اذكروا لي ولو سببًا واحدًا يثبت عدم قدرتنا على إدارة كلية للطب. إذا لم أسمع سببًا مقنعًا، لن أترشح من هنا ولو خطوة واحدة".

أندهش الآن حين أفكر من أين حلت علي تلك الشجاعة. لقد كان هذا الأمر هو حلمي الذي كرس كل حياتي من أجله. شعرت بالظلم البين أن ينهار ذلك الحلم -الذي اعتبره أغلى ما قمت به حتى تلك اللحظة- بتلك الطريقة المجحفة ودون سابق إنذار. على أي حال، منحتني اللجنة فرصة أخرى. لا أدري، أكان ذلك قبولًا لاحتجاجي أم أنه تعاطف السماء معي؟!

**

قررت اللجنة إجراء التفتيش الميداني مرة أخرى في نوفمبر، وفي ديسمبر ١٩٩٧ حصلت على موافقة تأسيس "جامعة غاتشون للطب والعلوم" التي طالما رسمتها في خيالي.

نتعرض لكثير من تلك الأزمات في حياتنا؛ حيث يتحتم علينا عبور غابة من الأدغال أمام أعيننا مهما تكلف الأمر... وبينما نحن تائهون في دهاليز ذلك المأزق، نقضي لياالي لا تذوق فيها أعيننا طعم النوم، فإذا بمعجزة تفتح لنا الطريق فجأة أشبه بالنور الذي يشق عتمة الليل. ومثل مقولة "جين إين سا داي تشيون ميونغ"، التي تعني أنه يجب على الإنسان أن ينتظر إرادة السماء بعدما يقوم بكل ما يجب عليه فعله. إذا تأملنا هذا المعنى، ألا يمكننا أن نستنتج أن إخلاص الانسان هو الذي يحرك إرادة السماء؟ ألا تمنحنا السماء عطاياها فقط بعدما نخلص الجهد، ونصدق

النية؟ أليس هذا هو المعنى الحقيقي لـ "تتحرك إرادة السماء بإخلاص البشر في عملهم"؟!

رحلة الألف ميل يمكن اجتيازها ولو بخطوات بقرة

كان علي دائماً أن أدرس كثيراً سواءً في المدرسة الثانوية، أو عند الاستعداد لدراسة الطب والدراسة بالخارج، وحتى عندما حصلت على فرصة تدريب في الولايات المتحدة. كان لساني ينعقد، وأنظر إلى الكتب والمراجع المكدسة أمامي -التي يجب عليّ تذكرها- نظرة شاردة. وبمجرد أن يتسلل إليّ شعور "متى يمكنني أن أنهى كل هذا؟"، يتملكني الوهن. كنت أجلس على مكثبي والكتب مفتوحة أمامي، ولكن عندما أتذكر أكوام المذاكرة الباقية لي، يتشتت تركيزي.

وكلما كان يتكرر هذا الأمر كنت أستخدم طريقتي الخاصة. فكنت أقوم بحساب الكمية التي يجب أن أذاكرها والوقت المتبقي، وأحدد الكمية التي أستطيع أن أذاكرها في اليوم الواحد. فعلى سبيل المثال لو كان يجب علي حفظ كتاب من ألف صفحة، ويتبقى على الامتحان أسبوعان، فإن عدد الصفحات التي يجب أن أقرأها في اليوم ١٥٠ صفحة تقريباً. أطبق تلك الطريقة في كل الأمور. قد يكون العمل كثيراً إذا راكمته وقمت به مرة واحدة، ولكن لا يكون الأمر كذلك إذا قسمته.

إعلانات شركات التأمين أيضاً تلعب على عقلية المستهلك مستغلةً تلك الطريقة بشكل رائع، "بدولار واحد في اليوم، كن مستعداً لحوادث الحريق". دولار واحد في اليوم يعني ٣٦٠ دولاراً في العام. ولكنهم إذا قالوا "بـ ٣٦٠ دولاراً سنوياً، كن مستعداً لحوادث الحريق"، فلن يقبل أحد على شركات التأمين بسهولة. لكن "دولار واحد في اليوم" قد تجعلك تفكر في الاستعداد للخطر بتقليل كوب قهوة

واحد من الذي تشتريه من ماكينة البيع الآلي، أي تغيير تام في سلوكك العقلي.

هل لديك هدف يبدو صعب التحقيق؟ حسنًا لنقسم هذا الهدف إلى أهداف صغيرة. قسمه إلى أهداف أصغر حسب ما تستطيع تحقيقه منها في المرة الواحدة. في الحقيقة هذه إحدى تقنيات الإدارة التي يتم تطبيقها كثيرًا في عالم الأعمال. عند القيام بأهداف استراتيجية محددة في هيئة مشروع، فإن أساس رفع كفاءة العمل هو تحديد مهام كل مرحلة من مراحل المشروع، وإدارتها كل على حدة. هناك نصيحة أخرى مهمة في هذا الإطار، وهي تحديد معلم (milestone) لكل مرحلة من مراحل التنفيذ. فكلما كان الهدف صعبًا، استغرق وقتًا أطول، ومن السهل الشعور بالتعب في منتصف الطريق. لكن إذا حددت العديد من المعالم، ستتمكن من إعادة شحن رغبتك والشعور بالإنجاز بين الحين والآخر، حتى قبل تحقيق هدفك النهائي.

**

من الجيد إقامة احتفال صغير عند تحقيق هدف من أهداف المدى المتوسط. كما هو شائع بين شباب اليوم "أهادي نفسي". كان حلمي منذ المدرسة الابتدائية وحتى الثانوية، هو أن أصبح طبيبة وأرتدي المعطف الأبيض. وفي المدرسة الثانوية كان هدفي الأسمى أن ألتحق بكلية الطب بجامعة سيئول الوطنية. وبعد التحاقني بها، أصبح حلمي بأن أكون أشهر طبيبة نساء وتوليد في كوريا أكثر تحديدًا. لذلك ذهبت -في سن متأخرة في نظر البعض- للدراسة في الولايات المتحدة بدلًا من المكوث في وظيفة مستقرة بوطني. وبعد عودتي، أنشأت أكبر مستشفى عام بمدينة "إنتشون". وأصبحت الآن مسؤولة عن مستشفى عام مصنف في المركز العاشر على مستوى كوريا، ومديرة جامعة شاملة تضم مراكز بحثية على أعلى مستوى، إلى جانب العديد من الكليات.

لو لم أؤسس "مركز لي غيل يو الطبي للنساء والتوليد"، لما كان لـ "مستشفى غيل" وجود، ولولا "مستشفى غيل" لما جاءت "جامعة غاتشون" ولا جامعة

"جامعة غاتشون للطب والعلوم" إلى الدنيا. في كل مرحلة من مراحل حياتي، كنت أحلم بأن أكون الأفضل، وبذلت أقصى جهدي لأجعل تلك الأحلام واقعًا ملموسًا. قد يختلف الناس في حجم أحلامهم، ولكن جميعهم يتشابهون في السعي وراء تلك الأحلام وتسلقها تدريجيًا خطوة بخطوة. ومع ذلك، يتحدد شكل بيت الحياة الذي تبنيه وفق كيفية بناء لبناته، أي أيامه وساعاته التي تمنح للجميع.

**

قال "جريج إس ريد" مؤسس شركة إعلانات شهيرة بدأ حياته بائعًا متجولًا: "ما حلمكم؟ اكتبوا ذلك الحلم. ثم اكتبوا طريقة تحقيقه بالتفصيل وتواريخ محددة بعد عام أو عامين أو عشرة أعوام، وتخليلوا حتى الشكل التفصيلي له. لو كتبتم ذلك الحلم مصحوبًا بالتاريخ المتوقع فيه إنجازه، سيصبح هدفًا. وإذا قسمتم ذلك الهدف إلى أهداف أصغر، سيصبح خطة. وإذا هممتم لتنفيذ تلك الخطة، ستكونون حينها قد حققتم حلمكم".

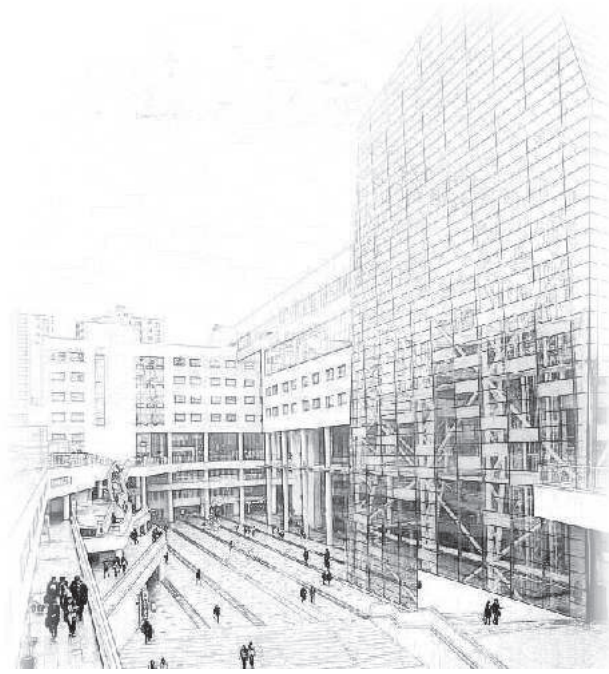
يقول الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما -الذي لم يكن لديه أصدقاء تقريبًا بسبب خجله أثناء طفولته- إنه بدأ خطوات رحلته تجاه حلمه أثناء فترة المراهقة المعروفة بأنها مثل الرياح العاصفة في حياة البعض. بعد تخرجه في المدرسة الثانوية، التحق بكلية "أوكسيدنتال" في لوس أنجلوس، ثم انتقل بعد ذلك إلى جامعة كولومبيا. والتحق بعدها بكلية هارفارد للحقوق، وأثناء دراسته بها تولى رئاسة تحرير مجلة الجامعة للحقوق "Harvard Law Review". جذب أنظار وسائل الإعلام في جميع أنحاء الولايات المتحدة بسبب لقب أول رئيس تحرير أسود في تاريخ الجامعة بعد مرور ١٠٤ سنوات. وبعد إتمام دراسته بكلية الحقوق، حقق حلمه في مساندة الفقراء، فعمل محاميًا حقوقيًا، وانخرط في حركات دعم الفقراء في شيكاغو. وبعدها أضحى أستاذًا في "كلية شيكاغو للحقوق"، ثم عضوًا في مجلس الشيوخ عن الولاية ذاتها، وفي النهاية وصل إلى سدة الحكم في البيت الأبيض "حكومة العالم".

ومع صغر سنه، فخطوات حياته -حتى وصل إلى المكتب البيضاوي في

الأربعينيات من عمره- توضح المراحل المتتالية التفصيلية التي مر بها. التحق بالجامعة التي يريدها، وأصبح ناشطاً مدنياً وعمل من أجل الفقراء، ثم صار محامياً.

وفي نهاية المطاف، اقتحم عالم السياسة، وبذل كل ما بوسعه في كل خطوة يخطوها. وكان في خضم ذلك يحظى بتقدير وثقة الجميع، إلى أن اعتلى عرش البيت الأبيض. وحقق في النهاية إنجازاً أسطورياً.

هناك تعبير شهير لحكمة صينية تقول: "أوبوتشول ري"، يعني "رحلة الألف ميل يمكن اجتيازها ولو بخطوات بقرة"، أي خطوات صغيرة. والمغزى من ذلك هو أنه إذا كان لديك هدف واضح تخطو نحوه بخطوات ثابتة ولو بسيطة، ستأتي اللحظة التي تجد فيها حلمك قد تحقق.



٤. ابحث عن الأكثر تقدمًا

اتجه نحو الأفضل

وصل عدد أفراد أسرة "مؤسسة غاتشون غيل" حاليًا إلى ٥ آلاف فرد. عندما فتحت المؤسسة أبوابها منذ ٥٣ عامًا مضت، كانت مجرد مستشفى صغير لا يتجاوز عدد العاملين به سوى ممرضتين. من حينها، وأنا أركض إلى الأمام دون أن ألتفت خلفي ولو لوهلة واحدة، وعندما أفكر في الأمر الآن، أشعر بالتغيرات التي طرأت على ذلك الزمن الذي مضى. كان المستشفى بالتأكيد هو مركز ثقل "مؤسسة غاتشون غيل". قال قائل "لقد تعلمت كل ما أعرفه الآن في الروضة". تلك الروضة كانت بالنسبة لي هي المستشفى.

**



"مركز لي غيل يو الطبي للنساء والتوليد" وقت الافتتاح الأول في عام ١٩٥٨

بعد تدشين المستشفى في عام ١٩٥٨، تعلمت فيه كيفية التعامل مع المرضى بوصفي طبيبة، وطريقة الحياة، ومهارات الإدارة المستدامة، وغيرها. وفي عام ١٩٦٨، حين عدت إلى الوطن بعد رحلة دراستي بالولايات المتحدة وأنا في الثانية والثلاثين من عمري، افتتحت مستشفى آخر في "إنتشون". تم ذلك بسرعة البرق حيث كنت أجهز لافتتاحه خطوة بخطوة وأنا في الولايات المتحدة، بما في ذلك شراء موقع قريب وبناء المبنى. عندما شارف المبنى على الانتهاء -يتكون من ٩ طوابق فوق الأرض وطابق واحد تحتها- سألني مدير الموقع:

- "ما الاسم الذي ستطلقينه على المستشفى؟".

- "مركز لي غيل يو الطبي للنساء والتوليد".

اتسعت عينا مدير الموقع:

- "ماذا؟ هل تريدان حقاً أن تضعي اسمك على المستشفى؟ هل هذا أمر عادي؟".

لقد كان من النادر في ذلك الوقت أن يحمل مستشفى اسم طبيب. وحتى لو وضع الطبيب اسمه، فلا يضع إلا لقبه فقط مثل: "مستشفى كيم لطب العيون" أو "مستشفى كواك للجراحة". ولكنني كنت قد عقدت النية مسبقاً على حتمية إطلاق اسمي على المستشفى الجديد الذي أشيده. فقد عدت إلى كوريا حاملاً بداخلي طموح إنشاء نموذج مستشفى يحتذى به -حسب الأصول والقواعد- يحمل اسمي فوق أرض بلادي.

تم تشييد مبنى "مركز لي غيل يو الطبي للنساء والتوليد" الذي تكون من ٩ طوابق، و٣٩ سريراً. يضم الطابق الأول غرف الكشف والانتظار، أما الطابق الثاني فيضم غرف العمليات. وتوجد غرف المرضى من الطابق الثالث حتى الطابق الثامن. أما في الطابق الأخير، فقد جهزت مسكناً لأقيم فيه مع أمي، وبجانبه مطعم للموظفين. أدخلت بالمستشفى العديد من الأجهزة الطبية الأكثر تطوراً واحداً تلو الآخر، لم تكن موجودة حتى في المستشفى الأكبر حينها الذي تديره

مقاطعة "إنتشيون"، كما كان مشفاهى هو الأول فى "إنتشون" المجهز بمصعد كهربائى. فى ذلك الوقت، لم يكن هناك مبنى فى "إنتشون" به مصعد كهربائى سوى فندق "أولمبيوس" و"مستشفى لى غيل يو". أضحى المصعد الكهربائى بالمستشفى بمثابة المعلم السياحى، لدرجة أنه كان يتوجب علينا تنظيم الأطفال المتجمعين لرؤيته حتى يتمكن الموظفون من استخدامه لمرة واحدة. لم يتوقف الأمر فى ذلك الوقت على إدخال الحضانات وجهاز فحص قناة فالوب، بل أدخلت أيضاً جهاز الموجات فوق الصوتية لقياس نبضات قلب الجنين، الذى لم يكن يوجد منه سوى ٤ أجهزة فقط على مستوى كوريا. بالتأكد لم تستطع الأم أو العائلة أن يخفوا سعادتهم بعدما تمكنوا من سماع صوت قلب الجنين داخل بطن الأم بفضل جهاز الموجات فوق الصوتية. بل امتدت تلك الفرحة إلى المرضى المنتظرين بين الممرات الذين كانوا يصفقون، ويهللون عند سماع صوت دق قلب الجنين. فى عام ١٩٧٣، أصبحنا أول مستشفى خاص يجرى عمليات منظار البطن بعدما أدخلت الأجهزة الخاصة لتلك العملية.

**

المرافق المتطورة أمر مهم، ولكن القدرات وتكريس الجهود أكثر أهمية. وقد كنت على ثقة تامة بأننى أمتلك كليهما. فأثناء دراستى فى الولايات المتحدة قلت من ساعات نومي، وتعرفت على التقنيات الطبية المتقدمة، ومفهوم "الخدمات الطبية الدقيقة". فى ذلك الوقت، كان من الممكن علاج غالبية الأمراض إذا تلقى المريض العلاج الصحيح فى التوقيت المناسب؛ حيث لم يكن هناك الكثير من الأمراض المعضلة حينها، على عكس ما نحن عليه الآن. كذلك لم يكن الكثير من المرضى يذهبون إلى المستشفيات، وحتى من يحضر منهم إلى المستشفى، بمجرد تناوله جرعة مضاد حيوى على الأكثر كان يشفى من معظم الأمراض.

كان المرضى يتبارون ليقول بعضهم لبعض: "هذه هى طبيبة النساء والتوليد العائدة من الولايات المتحدة". بالتأكد أسهمت الأجهزة المتقدمة والمصعد

الكهربائي في تعزيز ثقة المرضى بالمستشفى. ولكن يمكنني القول بأن النقطة التي ميزت مشفانا عن غيره من المستشفيات هي مفهوم "الخدمات الطبية الدقيقة". وقد كان للأطباء حينها نفوذ كبير ربما قد تضائل الآن.

كان المستشفى يضج بالمرضى. حتى في عز الشتاء، لم يكن بإمكاننا إغلاق مدخل المستشفى بسبب طوابير المرضى الطويلة الممتدة إلى الخارج. في تلك الفترة، أصبح اندفاع المرضى إلى غرفتي في الدور التاسع والاستحواذ عليها أمراً معتاداً، بالرغم من إخبارهم من عدم وجود أسرة خالية بالمستشفى. لم أكن أستطيع أن أفكر حتى في أخذ إجازة، فقد كان لزاماً علي أن أركض بين غرف العمليات والكشف وغرف المرضى -دون أن ألتقط أنفاسي- حتى أقلل من وقت انتظار المرضى. ووصل بي الأمر إلى أنني لم يكن لدي وقت حتى لانتظار المصعد الكهربائي، مفخرة المستشفى.

**

في ذلك الوقت، كان هناك الكثير من الأطباء الكوريين الذي يسافرون إلى الولايات المتحدة بغرض الدراسة، ولكن لا يعود أحد منهم تقريباً مرة أخرى. فالأطباء المقيمون في أمريكا كانوا يستطيعون تأمين مستقبل مزدهر لهم، أفضل عشرات المرات مقارنةً بأقرانهم في كوريا، التي لم يكن بمقدور الطبيب فيها أن يؤمن سوى حياة مريحة إلى حد ما لنفسه. لم يكن الأطباء وحدهم من يفكرون بتلك الطريقة، بل كان هناك العديد من الكوريين الذين سعوا إلى العيش في أمريكا متحمليين عواقب الإقامة غير الشرعية هناك لهثاً وراء ما يسمى بـ"الحلم الأمريكي". كان الناس يتحدثون عن الطبيعة التي سافرت لدراسة الطب في الولايات المتحدة، فكان المستشفى في تلك الفترة مكتظاً دائماً بالمرضى دون قيامي بأي حملات دعائية. لم يمضِ وقت طويل حتى أصبح "مركز لي غيل يو الطبي للنساء والتوليد" هو الأشهر في مجاله على مستوى "إنتشون".

أثناء دراستي في الولايات المتحدة، نهلت من المعارف عن أحدث معدات التشخيص والأدوات الجراحية، وطرق الإجراءات العلاجية المتطورة التي لم يخطر وجودها على بالي حتى عندما كنت في كوريا. وكلما ازدادت معرفتي بالتقنيات الجديدة، ازدادت رغبتني في عدم العودة إلى الأنظمة التي أكل عليها الدهر وشرب. كانت لدي رغبة جامحة في توفير خدمات طبية لعائلتي ومرضاي مثل تلك التي يتمتع بها المرضى في الولايات المتحدة بوصفها مزايا طبية بديهية. كنت مندهشة من الأجهزة والتقنيات الأمريكية بالطبع، لكن دهشتي الأكبر كانت من نظام الكشف والتشخيص وسلوك الأطقم الطبية في التعامل مع المرضى. أثناء فترة عملي بوصفي متدربة في قسم الباطنة، قابلت مريضاً أمريكياً كان دائماً يريد أن يفهم بدقة الفيروس الذي تسبب في مرضه، وجرعة الحقن التي يحقن بها ومدى فاعليتها في علاجه، والأعراض الجانبية المحتملة... إلخ. وهي تساؤلات يستحيل معرفتها إلا إذا شرحها الطبيب بالتفصيل.

**

يرجع ذلك إلى ما يطلق عليه "حق المريض في المعرفة". كانت توجه أصابع النقد إلى المستشفيات الكبيرة في كوريا "ساعة كاملة انتظار مقابل خمس دقائق فقط في غرفة الكشف!" نتيجة تشابك مجموعة من العوامل المركبة، مثل: فقر المعرفة لدى الأطقم الطبية، وانخفاض رسوم العلاج حتى الآن وغيره. لكن تم حل تلك المشكلة التي تعاني منها كوريا حتى الآن بنظام كان مستقرًا في الولايات المتحدة منذ عام ١٩٥٠. كان المرضى يعاملون في المستشفيات الأمريكية كأنهم زبائن بطريقة جلية، وكما نعرف جميعاً فإن "الزبون هو الملك". من هذا المنظور تتعامل الأطقم الطبية مع المرضى بلطف؛ لأن إرضاء العميل على رأس أولوياتهم. في ذلك الحين، كانت الولايات المتحدة متقدمة عن كوريا بفارق ٣٠ عامًا في كل المجالات تقريباً. وفي خضم تلك الظروف، تمكن "مركز لي غيل يو الطبي للنساء والتوليد" من تطبيق العديد من الأنظمة المتقدمة.

عندما أفكر في أمر المصعد الكهربائي، أجد أنه كان مضحكًا للغاية، ولكنه كان حقًا رمزًا لـ"مركز لي غيل يو الطبي للنساء والتوليد"، أما قارئ البطاقات فقد كان رمز "مستشفى غيل" التابع لـ"جامعة غاتشون للطب والعلوم" والواقع في حي "غو وول-دونغ" بمدينة "إنتشون". مثلما فعلنا لتنظيم أطفال الحي-الذين كانوا يتجمعون من أجل تجربة المصعد الكهربائي- تكرر الأمر نفسه بعد تركيب قارئ البطاقات بـ"مستشفى غيل"؛ إذ كان يتزاحم الناس أحيانًا دون أي سبب لمشاهدة ذلك الجهاز معبرين عن دهشتهم. كان قارئ البطاقات عبارة عن جهاز طرفي للنظام الحاسوبي للمستشفى يقوم بميكنة كل الإجراءات الورقية الضرورية لتسجيل بيانات المرضى وتاريخهم العلاجي. قررت إدخال "نظام استدعاء الطبيب:(DOS" منذ بداية تخطيطي لإنشاء مستشفى رقمي متطور. كنا أول من أدخل "نظام بطاقة الكشف" في كوريا الذي كان يختلف قليلًا عن شكله هذه الأيام. لم يكن مصطلح "النظام الحاسوبي" في تلك الفترة مألوفًا في الشركات العادية وكذلك في المستشفيات.

**

كان يتوجب على المرضى عند ذهابهم إلى المستشفيات أن يملؤوا استمارة الدخول الورقية، ثم يقوم موظف قسم شؤون المرضى باستلام استماراتهم تلك المقسمة إلى: مرضى عاديين، ومصابي الحوادث الصناعية، ومن لديهم تأمين صحي، ثم مقارنتها مع السجل الطبي للمريض، وإرساله مرة أخرى إلى القسم العلاجي المختص. كانت عملية شاقة تستهلك طاقات بشرية كبيرة، بالإضافة إلى كونه أمرًا مزعجًا يستغرق الكثير من الوقت. لكن كل تلك الأمور تم حلها ببطاقة كشف ممغنطة في ظل نظام حاسوبي أدخل حديثًا إلى "مستشفى غيل". فبمجرد وضع البطاقة في القارئ، يتم تحديد موعد الكشف بالتنسيق مع القسم المختص، أما سجل المرضى فقد كان نظامًا مبتكرًا ينقل السجل الطبي إلى القسم المختص باستخدام تقنية 'Air shooter' أثناء توجه المريض إلى غرفة الكشف. كانت

المشكلة أنه لم يكن هناك ولو شخص واحد بإمكانه تشغيل وتطوير ذلك النظام الحاسوبي داخل كوريا. وفي عام ١٩٨٤، اشترت حاسوب 'MV-١٠٠٠' في حجم الثلاجة بتكلفة ٤٠ ألف دولار. كان باهظ الثمن، ومع ذلك كان أقل جدوى من الثلاجة، فضلاً عن عدم وجود من يستطيع التعامل معه حقاً، وبالتالي لم يكن سوى مصدر للإزعاج فحسب. أدركت وقتها تماماً أن من يرغب في خوض تحدٍّ للقيام بشيء غير مسبوق، عليه تحمل مثل تلك المخاطرة وما يتعلق بها من تكاليف. أنشأت مركزاً للحاسوب يتكون من ١٥ فرداً، واخترت شخصاً أو اثنين بالتساوي من الأطباء والصيدلة والممرضين وإخصائبي التغذية وإخصائبي العلاج الطبيعي وإخصائبي الأشعة وموظفي الحسابات وشؤون المرضى. ثم بعثت هؤلاء الموظفين للخارج ليتعلموا مبادئ الحوسبة. هكذا تطلب إنشاء نظام DOS والتطبيق الفعلي له في المستشفى ٣ سنوات.

انقلب حال المستشفى رأساً على عقب ليصبح مكاناً جديداً تماماً ببدء تطبيق ذلك النظام. لم يكن المرضى وحدهم، بل والأطعم الطبية أيضاً مندهشين من إجراء أمور كانت معقدة بطريقة سهلة بفضل بطاقة صغيرة.

تقلص وقت انتظار المرضى بشكل كبير، وقفز مستوى الكشف عدة درجات، مع تسجيل التاريخ الطبي للمرضى وجميع مراحل العلاج عن طريق الحاسوب. بدأت الشركات والمستشفيات الرائدة في كوريا تزور المستشفى من أجل تعلم النظام الحاسوبي لمشافنا. وكنت أبذل قصارى جهدي من أجل تقديم أفضل خدمة طبية بتوفير أحدث الأجهزة. لا أقدم على فعل شيء ما لم أكن أعلم أنني أستطيع إتمامه للنهائية. وبما أنني عقدت العزم أولاً على القيام بذلك الأمر، فكان اعتقادي الدائم هو حتمية أن أكون الأفضل. فاقت "العاطفة" خيالي، وهو رد إيجابي يحدث في أعماق قلبي عندما أواجه أمراً لم أكن أتوقعه. علاوةً على الدعاية الضخمة التي يقوم بها المرضى الذين تعاملوا مع نظام الكشف الآلي عند زياتهم للمستشفى وإعجابهم بتلك الخدمة المريحة.

عندما تمس العاطفة قلبك، فإنها تبقى في ذاكرتك لزمن طويل. مثل عبارة مؤثرة من سيناريو أحد الأفلام تظل محفورة في ذاكرتك مهما كنت قد شاهدته منذ زمن طويل. لا معنى لهدية مهما كانت ثمينة ما لم تترك أثرًا في قلب متلقيها. في السابق كان شعار جميع الشركات "إرضاء العميل"، لكن الآن تنادي جميع الشركات بـ "إثارة عاطفة العميل". ليس سهلاً أن يختارك المستهلك إذا كنت تعمل على إرضائه فقط في ظل سوق تتشابه فيها المنتجات والخدمات بشكل كبير. البقاء الآن لمن يستطيع أن يأسر قلب العميل وليس من يستطيع إرضاءه فحسب.

لا يوجد مرض عضال يستحيل قهره

في ١١ أكتوبر ٢٠١١، افتتحت مركزًا لعلاج السرطان في "مستشفى غيل" التابع لـ "جامعة غاتشون للطب والعلوم". كان المركز تحديًا جديدًا يظهر إرادة المستشفى في محاربة الأمراض المستعصية. وقد كان أيضًا تحديًا شخصيًا لنفسي من أجل فتح آفاق جديدة لعلاج السرطان. لذلك استقدمت أمهر الأطباء وأدخلت أحدث الأجهزة الطبية من أجل التوصل إلى أفضل طرق العلاج المناسبة.

ومع ذلك، لم يكن مركز السرطان وحده كافيًا لإحداث فعالية في علاج الأمراض المستعصية. كان ذلك ممكنًا بفضل المؤسسات البحثية التي تعاونت لتعظيم فعالية علاج السرطان، التي شملت ثلاثة معاهد بحثية تابعة لمؤسسة "غاتشون غيل"؛ وهي: "معهد غاتشون لأبحاث علوم الدماغ" - الذي صنفته وزارة التعليم والعلوم والتكنولوجيا باعتباره (مركز أبحاث جامعي على مستوى عالمي)، والذي أخذ زمام المبادرة في تطوير وقيادة البحوث حول نظام التصوير المدمج 'PET+MRI' - و"معهد لي غيل يو لأبحاث أمراض السرطان والسكري" الذي ضم أول مركز في آسيا متخصص في دراسة النمط الظاهري الأيضي للفئران، و"معهد غاتشون لأبحاث تكنولوجيا النانو الحيوية" الذي كثف جهوده البحثية بهدف الجمع بين الهندسة العلمية والعلوم الطبية والصيدلية.

**

صنف مركز السرطان التابع لـ "مستشفى غيل" بأنه أول مركز إقليمي للسرطان في كوريا يتبع مستشفى جامعياً خاصاً، كما حصل على اعتراف بكفاءة البنية التحتية البحثية له، والعلاج المنهجي لمرض السرطان. أسست شبكةً لمرضى السرطان بمدينة "إنتشون" لتلقي العلاج بطريقة مريحة؛ حيث وضعت نظاماً منهجياً يربط مراحل العلاج بعضها ببعض، بدايةً من اكتشاف المرض ووصولاً إلى التسجيل والعلاج. من ناحية أخرى، فقد فتح ذلك النظام أيضاً صفحة جديدة لتعظيم درجة التقارب بين مرضى السرطان في المنطقة. هذا لا يعني أن الأمر سيتوقف عند مركز السرطان الإقليمي فحسب.



مركز سرطان "مستشفى غيل" المجهز بأحدث الأنظمة المتقدمة

لقد اتبعنا إدارة شاملة تتمحور حول المريض لناخذ بيده كي يحتل مرتبة الصدارة متجاوزاً مستوى مدينة "إنتشون" إلى كوريا بشكل عام. وقد سطع نجم ذلك المركز بوصفه مؤسسة جوهرية لعلاج السرطان في البلاد من خلال أحدث

أنظمة العلاج المتقدمة الموجودة به. كما تحولت إدارة النظام من نظام يتيح للأطقم الطبية فقط التحكم في المعلومات الطبية الخاصة بالمريض، إلى نظام يخول لعائلة المريض أو المريض نفسه إدارة سجله الطبي. وبذلك يستطيع المرضى التحقق من السجل الصحي لهم باستخدام ذاكرة USB أو الحاسوب أو الأجهزة الذكية وغيرها، ويتمكنون كذلك من الحصول على المعلومات الضرورية لعلاج السرطان. فهو نظام يمكن إدارته من خلال اتصال ثنائي الاتجاه مع الطاقم الطبي عبر الأجهزة الذكية. كما أسعى إلى تنفيذ "مستشفى ذكي" من شأنه تقديم أفضل الخدمات الطبية للمرضى باستخدام الخواص العديدة للهواتف الذكية والحاسوب اللوحي. ومن بينها: خدمة متكاملة للاتصالات السلكية واللاسلكية، وبناء شبكة محلية لاسلكية مفتوحة من أجل خدمة المرضى الذين يزورون المستشفى لتمكين الأطقم الطبية من التعرف على حالة المريض بشكل فعلي.

**

لو توقفنا عند هذا الحد، لأصبح معنى أننا "الأفضل" و"الأكثر تقدمًا" ناقصًا؛ لذلك قام المركز بتوفير كتيبات تساعد المرضى على فهم مرض السرطان بالإضافة إلى عرض مقاطع الفيديو ذات الصلة، كما يقوم المتطوعون وأطقم التمريض المقيمون بتقديم خدمات لتمكين المرضى من العثور على مختلف المعلومات حول مرض السرطان. كما نضطلع بدور ريادي في تقديم خدمات تعليمية متكاملة حول مرض السرطان من خلال إدارة فصول تعليمية تستهدف مرضى السرطان وأسراهم والأشخاص العاديين.

إن الغاية القصوى من الطب لا تكمن في علاج الأمراض، بل في وقاية الناس منها؛ ليمكنوا من العيش لفترة طويلة. في القرن الخامس عشر، أصيب الكثير من بحاري أوروبا بداء "الإسقربوط". وبالتأكيد، فإن جنود القوات البحرية -الذين كانوا يمثلون جزءًا كبيرًا من قوتها الوطنية- لم يكونوا استثناءً. وقعت المملكة المتحدة -التي كانت تمتلك قوات بحرية قوية- في أزمة بإصابة مجموعات من جنود البحرية بالداء نفسه. حينها وصف الطبيب الاسكتلندي الأصل "جيمس لند"

فاكهة اليوسفي للبحارة، وأجبرهم على تناولها. نظرًا لأن داء "الإسقربوط" يحدث نتيجة نقص في فيتامين سي. تحسنت حالة الجنود كثيرًا بفضل وصفة "جيمس لند" وبدؤوا في استعادة عافيتهم. لذا لا نبالغ إذا قلنا إن القوة القتالية للبحرية البريطانية قد تطورت بفضل اليوسفي. على غرار ذلك، فإن الطب الوقائي مجال مهم يتحكم في الأفراد والقوة الوطنية على حد سواء؛ لذلك اتخذ مركز السرطان التابع لـ "مستشفى غيل" كامل استعداداته في مجال الطب الوقائي أيضًا.

**

فهدف مشفانا هو عدم التقاعس عن أي جهد من شأنه تهيئة الفرصة للقضاء على المرض في مرحلة مبكرة، بتوفير برامج فحص مخصصة حسب طلب العميل -كالفحوصات الفردية وغيرها- من أجل الوقاية المبكرة وتوفير الرعاية الصحية مدى الحياة. كما وضعنا نظامًا علاجيًا طبيًا سريعًا ودقيقًا من خلال الاستشارات وقت الإصابة فعليًا بالمرض، حيث وزعنا ٢٠ منسقة مخصصة في مرض السرطان -وهو العدد الأكبر من نوعه داخل كوريا- في الصفوف الأمامية. يعمل هذا النظام -الذي يمكن المنسقات من المشاركة في علاج المرضى بشكل متواصل- على أن يحصل كل مريض على العلاج المناسب لحالته والذي يختلف عن المرضى الآخرين. وبفضل ذلك النظام، أصبح استمرار تقديم الرعاية أمرًا ممكنًا. لا ندخر جهدًا كذلك من أجل الرد على استفسارات المرضى في أي وقت، بالإضافة إلى تقديم التقارير حول حالتهم من خلال الاستشارات الفردية والاستشارات التي نقدمها على مدار الساعة. كما نبذل ما في وسعنا لتهيئة بيئة مناسبة تتيح للمريض تلقي خدمات فائقة الجودة، وتساعد في توفير الراحة للمرضى من خلال تقديم الرعاية المتكاملة لهم، والتي تشمل التثقيف الغذائي للمريض وعائلته والعناية بحياته اليومية. نمتلك نظامًا آخر يتيح تنسيق مواعيد الفحوصات حتى يتسنى للمريض إجراء الفحص بالمنظار والأشعة المقطعية في اليوم نفسه، ويقدم استشارات مستمرة حول التثقيف بالأعراض الجانبية للأدوية المضادة للسرطان، والنظام الغذائي بعد

العلاج، وطرق علاج السرطان المختلفة؛ مثل: العلاج الإشعاعي، والعلاج الكيميائي، والتدخل الجراحي، وجراحات المنظار.

تقدم الكوادر الطبية المتخصصة في مختلف المجالات أفضل الخدمات العلاجية المناسبة لحالة المريض من خلال التعاون الوثيق والتكامل فيما بينها، والتي تركز على إيجاد طرق الفحص والعلاج السريع والدقيق؛ حيث يجتمع الخبراء الأفضل في كل قسم من أجل إجراء فحص دقيق وتشخيص سليم اعتماداً على حالة كل مريض، كما توجد ممرضات متخصصات في الأورام على أهبة الاستعداد بشكل دائم بهدف الإدارة المستمرة للخدمات الطبية، وهو نظام نابع من منطلق فلسفتي في إعطاء الأولوية للمرضى.



Novalis TX: جهاز العلاج الإشعاعي للسرطان الأعلى دقة في العالم

كنت أول من أدخل جهاز Novalis TX إلى قارة آسيا، وهو جهاز العلاج الإشعاعي للسرطان الذي يتميز بأعلى درجات الدقة في العالم، ويعالج كل أعضاء الجسم؛ مثل: المخ والعمود الفقري والرئة والكبد... إلخ. كما أدخلت جهاز فيبروسكان المتطور الذي يعمل بشكل منهجي على حل مشاكل فحص نسيج الكبد، بحيث يقيس بدقة مستوى تطور أمراض الكبد. إن تأسيس مثل تلك البنية التحتية الطبية العالمية بإدخال الأجهزة الدقيقة المصممة من أجل راحة المرضى هو في النهاية إعلاء لروح المنفعة العامة وتجسيد لحبي تجاه المرضى.

"كونغ جا تشيون جو"

"كونغ جا تشيون جو"؛ هو أحد التعبيرات الاصطلاحية رباعية المقطع التي تلخص حكمة قديمة في اللغة الصينية؛ وهو يعني أنه لا ينال العلم مستح ولا مستكبر، فمهما كنت حكيماً أو فيلسوفاً لا مثيل لك، لا تتردد في التعلم من الآخرين. هناك قصة عن كونفوشيوس تحكي أنه وجد ذات يوم خرزةً ثمينة. وقد رغب في الاحتفاظ بتلك الخرزة بأن يمرر خيطاً من خلالها، ولكن لم تخطر بباله أي طريقة تمكنه من تمرير الخيط في الخرزة مطلقاً. وبعدما فكر في هذه الحيلة وتلك، ذهب إلى أمهر سيدة تجيد الحياكة في المنطقة طلباً للمساعدة، فأجابته السيدة بعدم اعتناء بعدما سمعت حيرته قائلةً: "ألا تعرف كيف تقوم بهذا الأمر البسيط؟ اربط خيطاً على خصر نملة، وعلى الجانب الآخر ضع عسلاً على فتحة الخرزة. حينها ستعبر النملة إلى الجهة الأخرى وستخرج من الفتحة". ضرب كونفوشيوس على ركبته، وكأنه وجد ضالته فيما سمعه منها، واستطاع تمرير الخيط بالطريقة التي علمته إياها!

تتفق فلسفتي مع فلسفة كونفوشيوس؛ حيث أوّمن بأنني أو موظفي مشفائي على حد سواء علينا أن نتعلم ما نجهله من أي إنسان، كائنًا من كان. مثلما قدم كونفوشيوس تعاليمه إلى العالم، فإن فلسفتي هي استقاء المعرفة من أي أحد دون غضاضة طالما أن هذا الأمر سيمكنني أنا وموظفي المستشفى من عمل نموذج جديد للمنفعة العامة.

في عام ١٩٩٢، عندما افتتح مستشفى كبير -أكبر بكثير من "مستشفى غيل"- في سيئول، وجهت رئيس قسم التمريض بأن يذهب إلى هناك ويجري مقارنة مرجعية بين المستشفيين قائلة: "يقال إن مستشفى كبيراً افتتح حديثاً في سيئول، اذهب وتعرف على نظام التمريض هناك".

فقد كنت عندما يصل إلى مسامعي خبر حول افتتاح مستشفى جديد في أي مكان، لا يهدأ لي بال إلا بعد زيارة ذلك المستشفى ومعاينته. وإذ لم تكن الظروف مواتية، أرسل مسؤولاً بدلاً مني؛ ليتفحص بدقة المرافق، وما إذا كانت هناك أنظمة حديثة قد أدخلت به. فتلك الخبرات المسموعة والمرئية تعد جزءاً من التدريب لكل الموظفين.

**

لا تقتصر المقارنة المرجعية على المستشفيات فحسب، فقد وجهت أيضاً رئيس قسم إدارة المرافق عند افتتاح مطار "إنتشون" بالذهاب إليه ومعاينته قائلة:

- "سمعت أن مطار إنتشون الدولي قد افتتح، اذهب إلى هناك وألق نظرة متفحصة على الوضع هناك".

- "ماذا؟".

- "ذلك المطار شيد وفق أحدث تكنولوجيا، لذلك اذهب إليه ربما تجد ما يمكن تطبيقه هنا في المستشفى. يجب أن تدخل الحمامات هناك أيضاً. إذا شاهدت كل شيء بأم عينيك، سيكون هناك ولو شيء واحد يمكننا تعلمه".

لم أكتفِ بالمباني الجديدة فقط، بل كنت أوجه موظفي قسم إدارة المرافق لزيارة معارض العمارة التي تقام أيضاً. الفكرة هي أن ترى بنفسك أي شيء وتتعلم منه، وتجسد الأشياء الجيدة وترقيها. بتلك الطريقة، وضعت النظام الحالي لـ"مستشفى غيل"، وسأمضي قدماً على المنوال نفسه في المستقبل، ولأنني أعلم

أن البقاء لمن لا يكف عن التطور، فالشركات والمستشفيات أيضاً كالكائنات الحية البسيطة التي ألقى بها في مصير المنافسة.

ظهرت في سبعينيات القرن الماضي عبارة "برج عظام البقر" التي تصف الجامعات بنوع من السخرية؛ حيث كان على أهالي القرى الفقراء بيع أبقارهم -التي تعد أكبر ثروتهم وأداتهم الإنتاجية- إن أرادوا إلحاق أبنائهم بالجامعات.

**

وكوني بنت القرية، فقد تمكنت بالكاد من إتمام دراستي للطب بفضل أمي التي كانت تبيع حقلاً من حقول الأرز كل فصل دراسي، من أجل سداد الرسوم الدراسية. ولكن إذا تأملنا عبارة "برج عظام البقر" من زاوية أخرى، لربما وجدناها ترمز أيضاً إلى حمى التعليم في كوريا التي لا تضاهيها بلد في العالم في هذا الصدد. لو لم تكن تلك الحماسة للتعلم في عصر والدي، لما كانت كوريا الجنوبية على ما هي عليه الآن. الشيء نفسه ينطبق على حالتي اليوم. فماذا لو ظلت أمي حبيسة الأفكار الريفية التي عفا عليها الزمن مثل "ما فائدة أن تكمل الفتاة تعليمها حتى الجامعة؟" أو "مصير أي فتاة هو الزواج". وما إلى ذلك، وتخلت عن فكرة التحاقى بمدرسة "إي ري الثانوية للبنات (نظام ٦ سنوات)"، وماذا لو لم تبع أمي ما تبقى من أملاك العائلة لتدفع رسوم دراستي الجامعية بعد أن وهنت قوانا بوفاة والدي؟

أؤمن بأهمية تعليم وتثقيف الأطباء والممرضات، وزد على ذلك تعليم المرضى أيضاً، فهو أمر مهم للغاية. في الفترة التي كنت أعالج فيها المرضى بنفسي، حصلت على لقب "الطبيبة التي تجيد الرسم". لعل الكثير من المرضى الآن لديهم معرفة طيبة تضاهي الأطباء، ولكن في ذلك الوقت كان المرضى يجهلون أجسامهم بشكل خطير. كان الكثيرون يثقون في العلاج الشعبي -الذي لا يوجد له أي أساس علمي- أكثر من صفات الأطباء؛ لذلك تكررت كثيراً حالات تفاقم المرض بعد عودة المرضى إلى منازلهم، مع أن الأطباء كانوا قد عرفوهم بالتحذيرات التي يجب أن يتوخوها. لذلك كنت -قدر المستطاع- أشرح مراراً وتكراراً إلى المريض والوصي عليه أو المسؤول من أهله عن متابعة حالته، وطريقة العلاج، والتحذيرات وغيره

حتى أتأكد من استيعابهم للأمر. في ذلك الوقت، كانت أكثر الطرق فاعلية هي الشرح بالرسم. على سبيل المثال، بعد أن أرسم تشريح جسم المرأة -من الرحم حتى الجهاز التناسلي- وأشير بإصبعي إلى المناطق المصابة وكيفية إصابتها، كان المرضى -حتى الذين لا يعلمون أي شيء عن الطب، أو لم يتلقوا تعليمًا كافيًا منهم- يفهمون ما يعانون منه.

**

بعدما أتأكد من أن المرضى قد فهموا المشكلة التي يعانون منها، أشرح إليهم النتائج المأمولة من العلاج المحدد الذي سيخضعون له فيما بعد. كما أخبرهم تفصيلًا بالعواقب التي قد تحدث إذا لم يخضعوا للعلاج كما ينبغي أو لم يراعوا التحذيرات قائلة: "الألم الذي تشعرين به حاليًا سيدتي هو نتيجة حدوث التهاب بالرحم. ألا تعلمين أن إصبعك يلتهب إذا أصبت بقطع فيه وتركت الجرح دون علاج؟ الأمر نفسه صار معك وأصبت بالتهاب في الرحم. إذًا، ماذا سيحدث إن لم نعالج هذا الالتهاب؟ سينتشر في مكان آخر. وسيصبح أمرًا خطيرًا، أليس كذلك؟".

وعندما يهز المريض رأسه معبرًا عن أنه قد فهم الأمر، أتحمس أكثر وأقدم له المزيد من الشرح. كان بديهيًا أن تتطور قدراتي في الرسم يومًا بعد يوم بفعل تكرار هذا الأمر باستمرار. بالطبع، حلت العديد من أجهزة الأشعة محل قدراتي في الرسم في وقت لاحق، ولكن في الوقت الذي اشتريت فيه جهاز فحص عنق الرحم وغيره، كان الغرض من إدخال تلك الأجهزة التشخيصية المتقدمة باهظة الثمن -قبل أي مستشفى آخر- هو إيضاح المنطقة المصابة مباشرةً إلى المرضى.

حتى الأطقم الطبية قد تتساءل ما نوع التثقيف الذي قد يحتاج إليه المرضى. لكن هناك فرقًا شاسعًا بين أن تعالج المريض بعد أن تشرح له وتثقفه، وعلاجه دون ذلك. إذ إن المريض يزداد اهتمامه أكثر بحالته الصحية كلما عرف أكثر عن مرضه وعن جسده. وكلما ازداد وعي المريض، تزداد فعالية العلاج؛ لأنه بذلك يكون قد تقبل بالفعل العلاج بشكل أكثر إيجابية. هذه هي قوة التعليم. تقدم هذه الأيام كل مستشفى العديد من الفرص التعليمية، مثل: "المؤتمرات العلمية حول مرض

السكري"، و"المحاضرات حول ضرورة الإقلاع عن التدخين"، و"المحاضرات حول صحة المفاصل"... إلخ. وتبذل جهداً كبيراً في توفير الكثير من المعلومات الطبية للمرضى، مما يساهم في نهاية الأمر بشكل إيجابي في العلاج، وكذلك يساعد في تيسير التواصل بين الطبيب والمريض.

**

عرفت بين المرضى بـ"الطبيبة التي تجيد الرسم"، بينما كان لقبى بين الممرضات هو "الطبيبة التي تحمل الطباشير". كنت كلما سنحت الفرصة، أجمع الممرضات أمام السبورة حاملةً الطباشير وأشرح لهن قائلةً: "إن الدور الأساسي للأطعم الطبية هو ألا يشعر المريض بالألم. سأشرح لكم لماذا يجب عليكم تكريس أنفسكم للمرضى بشكل أكبر، وما التغيير الذي يحدث في جسم المريض عند حصوله على رعاية طبية من القلب".

بتلك الطريقة شرحت للممرضات نظرية الألم. مهما كان الأمر، نستطيع أن نقدم رعاية أفضل للمرضى، إذا كانت الممرضات على دراية -من الناحية النفسية- حول مدى تألم المرضى، وكيفية تخفيف آلامهم، وبقدر ذلك الفهم سيتمكن من تقديم رعاية تميزية مفعمة بالاهتمام والعاطفة. جميع الممرضات كن متخصصات؛ حيث تخرجن في قسم التمريض، لكننا لا نستطيع أن نقول إنهن تلقين تعليمًا كافيًا لمجرد أنهن سمعن وحفظن وفهمن ما شرح لهن في الجامعة. سيصبح التعليم مثاليًا فقط إذا نقشت المعرفة في أعماق عظامهن لدرجة تمكنهن من تطبيق ما تعلمنه تلقائيًا حتى ولو كن فاقدرات للوعي. أما الأطباء، فكنت أرسلهم إلى الخارج في برامج تدريبية بهمة ونشاط. كنت أرغب في أن يتزود أطباء المستشفى بالعلم في الخارج مثلما صار معي؛ لأنني أعلم جيدًا -أكثر من أي شخص آخر- كم الطاقة العظيمة التي يحدثها التعليم الميداني الذي يجمع بين الصدمة والإثارة.

**

بدأت في إيفاد الأطباء لبعثات تدريبية في الخارج -على نطاق واسع- منذ افتتاح "مستشفى غيل" في مدينة "إنتشون" عام ١٩٧٨. لا أعرف، لكن ربما كنا أول مستشفى خاص يقوم بهذا الأمر. وكان لاتفاقيات الشراكة والتوأمة مع أفضل الجامعات في الداخل والخارج فعالية كبرى، بدايةً من اتفاقية الدعم الطبي التي أبرمتها مع "مستشفى جامعة سيئول الوطنية" عام ١٩٨٤. وعلى الصعيد العالمي، تعد اتفاقيات التوأمة منذ عام ١٩٨٤ مع "كلية شيكاغو للطب" و"كلية توماس جيفرسون للطب" وغيرهما من أبرز أمثلة التعاون في هذا الصدد. وبفضل تلك الجهود، استطعنا جذب الكثير من الأطقم الطبية المتميزة، وبالتالي التغلب على فكرة كوننا "مستشفى محلياً".

استطاعت كوريا تحقيق "معجزة نهر هان" في سبعينيات القرن الماضي بفضل استراتيجية اللحاق بالركب والمقارنة المرجعية. فقد تعلم الجيل الأول للشركات الكورية طرق صناعة السيارات أثناء إعادة تجميع المركبات العسكرية الأمريكية، والتقط المعرفة التكنولوجية أثناء إنتاج الإلكترونيات اليابانية بعقود من الباطن. ونتيجة لهذا، أصبحت كوريا الجنوبية الآن دولة عظمى على قمة الدول في مجالي صناعة السيارات وتكنولوجيا المعلومات. يعود الفضل أيضاً في الاعتراف بـ "مركز لي غيل يو الطبي للنساء والتوليد" بأنه الأفضل في مدينة "إنتشون" فور افتتاحه إلى المقارنة المرجعية مع الخدمات الطبية -المتمحورة حول العميل- والتقنيات المتقدمة للولايات المتحدة.

في هذه الأيام التي تعزز التنافسية والعالمية في جميع المجالات، تتحمس المستشفيات الصغيرة والمتوسطة إلى المقارنة المرجعية من خلال دفع برامج التدريب في الخارج. ولكن حتى السبعينيات من القرن الماضي، كان فتح مستشفى أمراً مضمون النجاح بدرجة ما، ولم يكن من الضروري تحمل مخاطرة ضخ أموال ضخمة من أجل ترقية الخدمات والتكنولوجيا. وفي ذلك الجانب، أفتخر بكوني أول من أدخل أسلوب المقارنة المرجعية في القطاع الطبي الكوري منذ ستينيات القرن الماضي.

**

لكننا لن نتمكن فيما بعد من جذب أعين المستهلكين إن اكتفينا بالمنتجات والخدمات التي تعلمناها، وقلدناها تقليدًا أعمى، واتبعناها دون تفكير. نحن الآن في عصر يفيض بالمنتجات الجديدة المبتكرة والإبداعية التي تلبى الرغبات الخفية في نفسية المستهلكين، التي ربما لم يكونوا هم أنفسهم على دراية بها. فقد ولى عصر نقص ضروريات الحياة، حين كان أي شيء يصنع لا بد أن يبتاعه الناس. فالمنتجات تغرق الأسواق، وأداؤها أصبح يقوم على التوحيد التصاعدي، وذوق المستهلك يتعقد مع الوقت أكثر فأكثر. لذا ما نحتاج إليه الآن بوصفنا أفرادًا ومؤسسات وشركات وبلدًا (كوريا الجنوبية)، هو القدرة التنافسية الجديدة كليًا، الخاصة بنا فقط والتي تميزنا عن الآخرين.

ينطبق الأمر نفسه على مجال الخدمات الطبية أيضًا. فقد انقضى عصر بقاء مشفاك قائمًا بطريقة أو بأخرى باتباعك ومحاكاتك لما حققه الأطباء الذين يفوقونك سنًا وخبرة. حيث أصبحت الخدمات الطبية أيضًا "سلعة" تخضع لقواعد السوق القاسية. إذا كان الأمر كذلك، فمن المؤكد بما لا يدع مجالًا للشك أن النجاة ستكتب فقط للأطباء والمستشفيات التي تتمتع بقدرات تجعلها متفردة عن غيرها، والتي تعمل باستمرار على تحسين قدرتها التنافسية الخاصة. كما أن هناك توجهًا لتطور وعي المريض نحو المطالبة بحقوقه بثقة بوصفه "مستهلكًا".

إذا ألقينا نظرةً على المستقبل، سنجد أن ما أعدته "مؤسسة غاتشون غيل"، هو حرفيًا "مستوى جديد كليًا من الخدمات الطبية". ففي عام ٢٠١٠، افتتحنا "مركز غاتشون لصحة الدماغ" في "معهد أبحاث علوم الدماغ" التابع لـ "مستشفى غيل" في "جامعة غاتشون للطب والعلوم".



"مركز غاتشون لصحة الدماغ" المجهز بمرافق في مستوى فنادق الخمس نجوم

إذا كان "معهد أبحاث علوم الدماغ" مكاناً مختصاً بإجراء الأبحاث المتعلقة بالدماغ، فإن "مركز غاتشون لصحة الدماغ" يقوم بفحص أمراض الدماغ -على نطاق واسع- بناءً على النتائج البحثية المتراكمة. في هذا المركز، تستطيع مشاهدة ما بداخل الدماغ كخطوط اليد بواسطة نظام التصوير المدمج فائق الوضوح (PET-MRI Hybrid System) و (Tesla-V) MRI) الفريد من نوعه في قارة آسيا. لا سيما نظام التصوير المدمج الذي يعد من أحدث المعدات الطبية التي طورناها بسواعدنا. جهزنا المركز بمرافق مريحة ترقى إلى مستوى فنادق الخمس نجوم على مساحة أكثر من ١,٠٠٠ متر مربع.

بلغت نسبة كبار السن الذين تتجاوز أعمارهم ٦٥ عاماً في كوريا ١١٪ من إجمالي عدد السكان. تعد كوريا الأقل في معدل المواليد، والأسرع في معدل الشيخوخة من بين دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD).

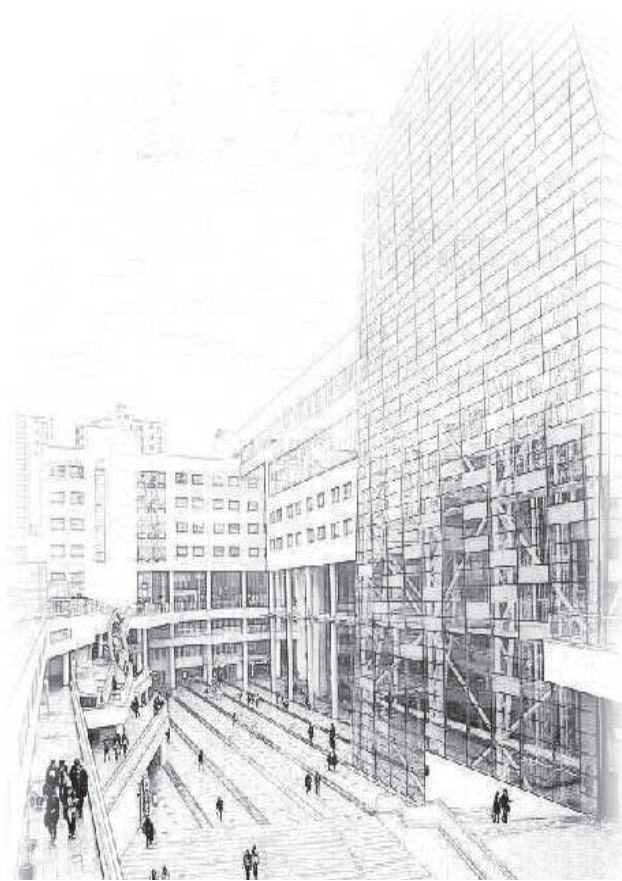
وستبرز مكافحة الأمراض الانتكاسية في المجتمعات الشائخة باعتبارها تحدياً بارزاً لكل من القطاع الطبي وكذلك المجتمع بجميع مستوياته. يعد السكري والسرطان وأمراض الدماغ كالخرف من الأمراض الانتكاسية الرئيسة؛ حيث يقدر أعداد المصابين بمرض السكري في جميع أنحاء العالم في وقتنا الحالي بـ ٢٤٦ مليون شخص، وهناك توقعات تشير إلى زيادة الأعداد إلى ٣٣٠ مليون شخص بحلول عام ٢٠٢٥. وإذا جمعنا تلك الأعداد مع أعداد مصابي السرطان، ستكون النتيجة أن نحو ١٠٪ من سكان العالم يعانون من أمراض انتكاسية مستعصية. ونستطيع القول بأن "معهد أبحاث أمراض السرطان والسكري" هو أحد محركات النمو الذي تم إعداده مبكراً تلبيةً لمتطلبات العصر.

وبقدر ما ستصبح كوريا مجتمعاً معمرًا يقترب متوسط أعمار أفرادها من ١٠٠ سنة، ستركز الخدمات الطبية بشكل أكبر على الوقاية وليس العلاج. ومع تطور التقنيات الطبية، يتسع نطاق التشخيص، وبالقدر نفسه يتسع نطاق الوقاية. وناقلة القول إن الخدمة الطبية الأمثل هي الوقاية من المرض قبل علاجه أو التعرض له من البداية. إن الكوادر الطبية والبحثة التي نفخر بكونها الأفضل في العالم، والمرافق والأجهزة الأحدث عالمياً الموجودة في "معهد أبحاث علوم الدماغ" و"معهد أبحاث أمراض السرطان والسكري" هي الثمرة التي تعكس التوجه الأحدث في القطاع الطبي "الوقاية خير من العلاج"، وستكون المحور الرئيس الذي سيقود هذا التوجه مستقبلاً.

ومن أجل البقاء في ظل عصر التغييرات المفاجئة والسريعة الذي نعيشه، عليك أن تكون سريعاً بدرجة مخيفة. فإلى الآن عندما أسافر للخارج، أذهب حتماً إلى المستشفيات الواقعة في تلك المنطقة التي أحل بها، وأتفقد لها لكي أتعلم، فالتعليم هو الشيء الأهم الذي لا أبالغ مهما أكدت على أهميته مراراً وتكراراً. ولكنني أرى الغاية القصوى التي يجب أن يبلغها العلم هي المنفعة العامة.

فلو كان كل ذلك من أجل التنمية الشخصية لي أو لأطباء مشفائي، لما كان لإيفاد الأطباء للتدريب بالخارج ضرورة. ولكن كان أمامي هدف واضح، ولدي اعتقاد

راسخ بأن هذا هو الاتجاه الذي يجب أن تسلكه كل المؤسسات في المستقبل، لذلك لم أتردد في إيفاد موظفي مشفائي إلى أي مكان من أجل التدريب؛ لأننا في النهاية لا بد أن نكون سنندًا بعضنا لبعض.



٥. الكوادر البشرية هي الثروة

من الآن فصاعدًا، اعملوا من أجل كوريا

لا نبالغ مهما أكدنا على أهمية الكوادر البشرية في أي مؤسسة، ولكن في المستشفيات والمدارس بالتحديد "الكوادر البشرية هي الثروة". فالعامل الرئيس الذي يقود أي مستشفى أو جامعة هو الطبيب والمعلم. لذلك فالدور المطلوب منهم كبير بقدر كونهم من المتخصصين الذين يحظون بأعلى درجات التقدير والاحترام في المجتمع الكوري. لا سيما أن نجاح أو فشل أي مستشفى أو جامعة يتحدد وفقًا لكم الكوادر البشرية الموهوبة التي يمتلكونها، ومدى ملاءمتها لما تقوم به. ولكن الجامعات والمستشفيات الواقعة خارج "سيئول" تعاني من عقبات مزدوجة على صعيد امتلاك تلك الكوادر البشرية.

**

فمقر "مستشفى غيل" التابع لكلية "غاتشون للطب والعلوم" هو مدينة "إنتشون"، وتقع "جامعة غاتشون" في مدينة "سيونغنام". وعلى الرغم من وجودهما في مناطق قريبة من مدينة "سيئول"، فإنه ما زال تصنيف "سيئول" و"خارج سيئول" قائمًا، وهو الأمر الذي ربما كان نتاجًا لاتجاه سياسات الحكومة المتمحورة حول العاصمة على مر السنين. ولو لم يكن الأمر بهذا السوء، ما ظهرت مقولة "كوريا منقسمة إلى: سيئول وما سواها".

حتى سبعينيات القرن الماضي، لم تكن هناك وسيلة مواصلات تربط بين "إنتشون" و"سيئول" سوى حافلة "سام هوا إكسبريس". في تلك الفترة، كانت البيئة التعليمية والثقافية والسكانية في مدينة "إنتشون" لا تقارن بمدينة "سيئول". ومن هذا المنطلق، لم يكن سهلًا على الإطلاق أن يعمل الأطباء والأساتذة الجامعيون -الذين يشعرون بالفخر بمهنتهم أكثر من أقرانهم في المهن الأخرى- في مستشفى أو جامعة بمدينة "إنتشون". ولكنني -متجاوزة طمع الآخرين- عقدت العزم بكل جوارحي على استقدام الكوادر البشرية الموهوبة حتى ولو كانت في أقصى بقاع الأرض.

أثناء ترأسي "رابطة خريجي كلية الطب بجامعة سيئول الوطنية" على مدار ١٠ سنوات، لم أفوت مطلقاً حضور الاجتماع السنوي للخريجين في الولايات المتحدة. كان هدفي الأول بالتأكيد هو توسيع علاقات الرابطة عالمياً، ولكن كان لي هدف آخر وهو التنقيب عن الموهوبين من خلال رابطة الخريجين في الولايات المتحدة. كنت أرغب في اصطحاب الكفاءات المتميزة التي تعمل في الولايات المتحدة -الدولة المتقدمة في مجال الطب- إلى كوريا للعمل سوياً. لذلك كنت كلما أذهب إلى الولايات المتحدة وألتقي أبرز شخصيات المجال الطبي هناك، أستغل تلك الفرصة لاستكشاف العقول المستنيرة. وعندما يعجبني أحدهم، أتعرف على مؤهلاته وخلفيته، ولا أكل ولا أمل من المحاولة لاستقطابه للعمل معي.

كان دكتور "جو جانغ هي" -المدير الحالي لـ"معهد أبحاث علوم الدماغ"- أستاذاً في جامعة كاليفورنيا إرفاين حتى عام ٢٠٠٤. وهو يعد -مما لا يدع مجالاً للشك- الشخصية الأفضل عالمياً في مجال تصوير الدماغ؛ حيث إنه أول من طور جهاز PET (جهاز التصوير المقطعي بالإصدار البوزيتروني) في العالم عام ١٩٧٥، والذي يشيع استخدامه في المستشفيات هذه الأيام. كما صنف كأحد أقرب الشخصيات الكورية المرشحة للحصول على جائزة نوبل. تخرج في كلية الهندسة بجامعة سيئول الوطنية، وعمل باحثاً في الفيزياء النووية في جامعة أوبسالا السويدية. ومنذ السبعينيات، وهو مستمر في الإعلان عن نتائج أبحاثه المتتالية -المذهلة بحق- التي أجراها في بيئة بحثية متقدمة بالخارج.

في عام ٢٠٠٤، ذهبت إلى كاليفورنيا لمقابلة دكتور "جو جانغ هي"، وهناك تحدثنا:

- "أعتقد أن مجال التصوير المتطور الذي تبحث فيه سيؤدي إلى تطوير جذري في أبحاث أمراض الدماغ مستقبلاً. سيعتمد تطور الطب في القرن الحادي والعشرين على هذا العلم المتطور. يجب أن تجري أبحاث هذا العلم المتطور في كوريا أيضاً. ألا ترغب في القيام بهذا الأمر في كوريا؟"
- "حسناً، إن مجال بحثي يحتاج إلى تكلفة عالية. لا أدري إذا كانت هناك بيئة في كوريا مواتية للقيام بمثل تلك الأبحاث".

لم يكن مخطئاً في كلامه. ففي ذلك الوقت، لم يكن قد تشكل الإدراك -بشكل سليم- حول أمراض الدماغ أو مجالات التصوير الخاصة. وقد رددت قائلة:

- "أتفهم تماماً ما أنت قلق حياله، لكنني على استعداد أن أستثمر كل ما أملك من أجل الأخذ بيد العلم في كوريا والوصول به إلى مستوى عالمي. سأقدم لك الدعم الكامل في كل احتياجات بحثك، فقط إن اتخذت قرارك".

ومع كل الصدق الذي تحدثت به إلى دكتور "جو جانغ هي"، فقد ظل صامتاً لفترة طويلة، ثم قال:

- "لأنني عشت في الخارج فترة طويلة... لا أعرف جيداً طبيعة الأوضاع في كوريا. أتفهم نيتك جيداً، ولكن مجال بحثي هو مجال العلوم الأساسية الذي لا يمكن أن تعولي عليه من أجل الحصول على فائدة فورية. أنت تقولين ذلك الآن، ولكن لا يمكنك ضخ الاستثمار فقط -دون جني عائد- لمدة طويلة. أنا آسف حقاً".



"معهد غاتشون لأبحاث علوم الدماغ": أيقونة بحوث أمراض الدماغ

في النهاية كان عليّ أن أسلك طريق العودة إلى كوريا دون أن أحصل منه على إجابة. ولكنني لم أقدر على الاستسلام. فعلى أي حال، لم أكن أظن أنني سأتمكن من إقناعه من محاولة واحدة. أن تجمع أفضل الكوادر البشرية في العالم وتقنعها بالعمل معك ليس أمرًا سيرًا على الإطلاق، لكن الشيء الذي كنت ماهرة فيه - أكثر من أي شخص آخر - هو امتلاك قلوب الناس بأن أبذل ما في وسعي بأقصى درجات الصدق.

بعد عودتي إلى كوريا، استمررت في محاولات إقناعه بالاتصال به هاتفياً، وإرسال الرسائل له عبر البريد الإلكتروني كلما سمح الوقت.

- "دكتور "جو"، ألم يحن الوقت لتعمل من أجل بلدنا؟ سأوفر لك البيئة التي تحتاج إليها،
ثق بي وخذ قرارك أرجوك".

- "لا أحاول أن أكون بطلاً وطنياً أو ما شابه ذلك".

- "إذا لم يكن ما فعلته طيلة الـ ٤٠ عامًا الماضية وطنياً، فماذا تكون الوطنية إذاً؟ لقد
حققت بوصفك مواطناً كوريًا إنجازات لم يحققها أحد سواك في العالم. كما رفعت اسم
كوريا الجنوبية عالياً!".

لم يستطع دكتور "جو" أن يحسم أمره بسهولة، لكنني لم أستسلم، وفي يوم ما، بادرنى
دكتور "جو" باتصال:

- "دكتورة "لي"، هل أنت واثقة من أنك تستطيعين تنفيذ وعدك لي؟ هل يمكنني أن أثق
بك؟".

- "بالطبع، من الآن فصاعدًا اعمل من أجل كوريا يا دكتور "جو"، سأقدم لك كل الدعم
الذي ستطلبه".

في نهاية الأمر، انضم دكتور "جو" إلى جامعة "غاتشون". أسست "معهد أبحاث علوم
الدماغ" على أعلى مستوى عالمي باستثمارات ضخمة بلغت نحو ١٠٠ مليون دولار في ذلك
الوقت؛ من أجل تهيئة البيئة البحثية التي يرغبها دكتور "جو".

"ما إن عينت شخصاً، لا تشك فيه"

لا تظهر للحبيبين في ذروة حبهما سوى المميزات. في ذلك الوقت، قلما يتشاجران أيضاً. لكن بعد الزواج وبمرور الوقت تبدأ العيوب فقط في الظهور وتطغى على المميزات. عندما يبدأ الطرفان في الإشارة إلى عيوب بعضهما، يحدث شرخ في حبهما، ويهتز السلام بينهما، وتنهار تلك العلاقة في نهاية الأمر. وقع زوجان في مثل تلك المشكلة وذهبا إلى استشاري علاقات زوجية والذي قدم لهما النصيحة التالية:

- "فليكتب كل طرف منكما ١٠ مميزات و١٠ عيوب عن الطرف الآخر في هذه الورقة".

بعد الاطلاع على إجابات الطرفين، وجدنا أن العيوب قد تخطت الصفحة في مقابل ما لا يزيد على خمس مميزات. ألا يملك هذان الزوجان غير العيوب؟ الأمر ليس كذلك. فكل ما في الأمر هو أن العين أصبحت لا ترى سوى العيوب. فكانت الوصفة التي قدمها الاستشاري بعد فحص ورقة الإجابة "اكتبوا مميزات بقدر عيوب الطرف الآخر التي كتبتموها". وبعد قيام الزوجين بالأمر الذي طلبه الاستشاري، رحلا سوياً وهما ممسكان يد بعضهما بعضاً بكل الحب. إن عملية اكتشاف مميزات الطرف الآخر كانت في الواقع عملية شفاء.

حصل النجم العالمي "بارك جي سيونغ" على لقب "البطل الصامت" وهو يلعب حالياً لنادي "مانشستر يونايتد"، أكبر أندية كرة القدم في العالم، كما لقب في كأس العالم ٢٠٠٢ بـ "أسطوانة الأكسجين". كان بارك لاعب كرة قدم مجهول الهوية لا يحظى بأي اهتمام حتى تخرجه في المدرسة الثانوية. كان يركض بجد أكثر من أي لاعب آخر، ولكنه لم يحظ بفرصة لإظهار نشاطه البارز بسبب بنيته الجسدية الضعيفة. كانت احتمالية تحاقه بالجامعة حتى غير مضمونة بالنسبة له، حتى ظهور شخص واحد وهو المدرب "هيدنيك". ذلك المدرب الذي ضم بارك إلى المنتخب الوطني الكوري لكرة القدم؛ لما شاهده فيه من سرعة، وقوة عقلية لا تنهار تحت أي ظرف.

"جوناثان بول إيف" - الذي يشغل حاليًا منصب نائب رئيس التصميم الصناعي في شركة آبل- هو المصمم لغالبية منتجات شركة "آبل" مثل "آيفون" و"آيباد"، وغيرهما والذي اجتمع العالم على حب تصميماته العبقريّة. قبل التحاقه بشركة "آبل" كان مجرد مصمم مغمور لأحواض استحمام. عندما حاول "ستيف جوبز" المدير التنفيذي لشركة "آبل" -الذي رحل عن عالمنا منذ فترة- تعيينه في الشركة، واجه موجة اعتراضات من الجميع. كيف لمصمم أحواض استحمام أن يصير مصمم منتجات إلكترونية على أحدث طراز. علاوةً على ذلك، فقد لاقت أحواض الاستحمام التي يصممها أيضًا الكثير من الانتقادات اللاذعة لشدة غرابتها. لكن "ستيف جوبز" تحمل تلك الاعتراضات، وعين "جوناثان إيف"؛ لأنه أعجب بخياله وإبداعه اللذين مكناه من تصميم أحواض استحمام خارج الصندوق. قال "ستيف جوبز": "لن أتخلى عن جوناثان إيف ولو أعطوني ١٠ ملايين دولار". بالطبع، سيبدل "جوناثان إيف" أفضل ما لديه حتى يثبت جدارته بثقة القائد الذي اختاره بتلك الطريقة، وعض نظره عن عيوبه ليرى مميزاته فقط. وقد أصبح "جوناثان إيف" و"بارك جي سيونغ" نجمين ساطعين بفضل الاعتراف بمميزاتها دون عيوبهما، وأصبح "ستيف جوبز" و"غوس هيدنيك" -اللذان اكتشفا هذين النجمين أولاً- قائدين عظيمين.

في كتاب "ميونغ شيم بوغام" -الذي يحتوي على مجموعة من الأمثال والاقتراسات من الكلاسيكيات الصينية وأعمال أخرى- ذكرت عبارة تقول "لا تعين شخصًا لا تثق به، وما إن عينته فلا تشك فيه". مهما حفرت تلك العبارة في عقول الجميع ستظل دائمًا حكمة جديدة. أريد أن استخدم هذه العبارة في وصف نظريتي في الكوادر البشرية الموهوبة: "لا تعين شخصًا لا يمكنك دعمه، وما إن عينته فادعمه بكل ما أوتيت من قوة".

بعدما أصبح الدكتور "جو جانغ هي" مديرًا لـ"معهد أبحاث أمراض الدماغ"، انهالت اعتراضات الموظفين علي لفترة من الوقت. لقد كان دكتور "جو" لا يهتم

بأي شيء حوله عدا الأبحاث، ولا يلقي بالألّا للآخرين من حوله. كان كثير الصدام مع الآخرين ربما بسبب شخصيته التي لا تعرف التهاون مطلقاً عندما يتعلق الأمر بالبحث العلمي. لا خلاف على كونه أفضل باحث في العالم، ولكن الكثيرين كانت لديهم مخاوف ما إذا كانت رئاسته إحدى المؤسسات أمراً مستساغاً. لكنني بددت مخاوفهم قائلة:

- "الباحث الذي يمتلك قدرات تنافسية عالمية هو أحد الكوادر البشرية الضرورية لنا الآن. يجب علي أن أغض الطرف عن تلك المشكلات إذا كانت قدراته البحثية فائقة. وعندما تحدث أي مشكلة إجرائية أو على مستوى العلاقات، احضروا إلي وسأحلها لكم".

لو كنت أريد تعقيد الأمور، لكان من السهل إلقاء اللوم عليه بسبب شخصيته صعبة المراس، ولكنه سيكون أمراً غير مجدٍ. على الجانب الآخر، فإن الاعتراف بقدراته البحثية الفائقة والمميزة ودعمها هو أمر مثمر للغاية. إن شخصيته غير السياسية يمكنها -على الأحرى- أن تعد نقاءً لا يشوبه أي كذب. ألا نثق بشخص لا يختلف جوهره عن مظهره الذي نراه مطلقاً؟



"معهد لي غيل يو لأبحاث أمراض السرطان والسكري"
الذي يجري أبحاث طب إطالة العمر

الثقة بالنفس هي محور القدرة على القيادة. فإذا لم تكن لديك ثقة بنفسك وبقرارتك، لن تتكون لديك طاقة دفع ولا قدرة على القيادة. إذا لم تكن تثق بنفسك، فمن سيثق بك ويسير على خطاك؟ فلولا الدكتور "جو جانغ هي"، لما كان "معهد أبحاث علوم الدماغ" قائماً الآن. لقد كان استقدامه بمثابة القطرة التي سبقت نزول الغيث؛ حيث استطعت بعدها استقدام العديد من القدرات البشرية التي كانت تعمل في الخارج لأسباب مختلفة، بعدما غادروا كوريا من أجل الدراسة بالخارج في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين. إن الإنجاز الذي تحقق خلف الكواليس لتوالي عودة العقول الذاهرة بالعلم -التي كانت تعمل في الخارج- إلى كوريا وبداية الإدراك الجديد للأوساط العلمية الأجنبية ذات الصلة بمجالات العلماء

العائدين للبيئة البحثية في كوريا، كان حصاد نظريتي.

تولى الدكتور "بارك سانغ تشول" -العالم الجليل الذي يعد علمًا من أعلام أبحاث طب إطالة العمر عالميًا- مسؤولية "معهد لي غيل يو لأبحاث أمراض السرطان والسكري" مصدر فخرنا جنبًا إلى جنب مع "مؤسسة غاتشون غيل" و"معهد أبحاث علوم الدماغ". يعد الدكتور بارك -صاحب الباع الطويلة في إجراء البحوث في مجال طب إطالة العمر ومكافحة الشيخوخة بكلية الطب في جامعة سيئول الوطنية- نابغة أكاديمية ذاع صيته في الخارج أكثر من كوريا. التقيته عدة مرات على مدار خمس سنوات، وتبادلت معه أطراف الحديث حول مستقبل طب إطالة العمر من أجل اجتذابه للعمل معي. سلطت وسائل الإعلام المحلية في ذلك الوقت الضوء حول خبر انضمام الدكتور بارك إلى "جامعة غاتشون" في ٢٠١١ قبل ٣ سنوات من سن تقاعده في كلية الطب بجامعة سيئول الوطنية. عندما أنجح مجددًا في استقدام أحد الكوادر البشرية، فإن ذلك يعزى إلى ثمرة طريقة توظيف المواهب الخاصة بي، التي ما إن كلفتها بعمل أعطت كامل ثقتها حتى النهاية.

"البشر هم الثروة"

هيا نوحده إرادتنا

كان "غو تشانغ سون" أول رئيس لـ"جامعة غاتشون للطب والعلوم"، وقد عمل مديرًا لمستشفى جامعة سيئول الوطنية وطبيبًا لأسرة الرئيس السابق "كيم يونغ سام". أما على المستوى الشخصي، فهو شخصية معجزة؛ حيث تمكن من هزيمة مرض السرطان الذي أصابه أكثر من ثلاث مرات. عندما ذهبت له لأطلب منه تولي رئاسة الجامعة، كان فاقدًا نحو ١٦ كيلوجرامًا من وزنه جراء صراعه مع المرض. لم يكن شيئًا من المفترض علي ترشيحه من الناحية الإنسانية على الإطلاق، لكنني اعتقدت أنه الشخص الوحيد الذي يمكنه قيادة كلية الطب التي كنت أتوق إليها طيلة ٥٠ عامًا والآن أصبحت حقيقة واقعة. فقلت له:

"أعتقد أن معاناتك خافية علي؟ أعني تمامًا أنك لست في وضع يسمح لي بأن أطلب منك طلبًا كهذا. لكنني أتمنى حقًا أنك تتولى رئاسة الجامعة. يمكنك أن تأتي مرة أو مرتين في الأسبوع. وفي الوقت المتبقي تلقى العلاج واستعد عافيتك. كل ما أريده منك هو روحك وخبراتك ومعارفك. أرجو منك أن تغرس فكرك في جامعتنا".

**

الأشخاص الذين تجمعهم علاقة تفاهم يفترون في اللحظة التي تنهار فيها تلك العلاقة. والأشخاص الذين لا تربطهم سوى علاقة عمل يفترون في اللحظة التي ينتهي فيها ذلك العمل. ولكن الأشخاص الذين يمتلكون الإرادة نفسها، يصبحون رفقاء وأصدقاء لا يفترون أبدًا طالما لم تتغير تلك الإرادة التي جمعتهم. عندما كنت أحاول إقناع أحدهم من أجل العمل معي كنت لا أقول لهم "هيا نعمل سوياً"، بل أقول لهم فقط "هيا نوحّد إرادتنا".

ما زال يعمل معي أشخاص لمدة تجاوزت العشرين عامًا منذ افتتاح "مستشفى غيل" التابع لـ"جامعة غاتشون" في عام ١٩٨٧ إلى الآن. أحد هؤلاء الأشخاص هو الدكتور "شين إيك كيون" عميد "كلية الدراسات العليا للطب" التابعة لـ"جامعة غاتشون"، والذي كان ولا يزال رئيس قسم أمراض القلب في "مستشفى غيل" عام ١٩٨٨. عندما قابلته لأول مرة لإقناعه بالعمل معي، سألته عما يريد، فأجابني قائلاً:

- "المقابل المادي ليس مهمًا. فخلال حصولي على تدريب في قسم أمراض القلب بالولايات المتحدة، أدركت أن الفجوة في الوضع الطبي بين أمريكا وكوريا شديدة للغاية. أريد أن أضع نظامًا متقدمًا في كوريا يضاها نظيره بالولايات المتحدة. سأعمل معك إذا قمت بتوفير بيئة مناسبة لي بوصفي طبيبًا متخصصًا في أمراض القلب تمكيني من الدراسة والتقدم".

في ذلك الوقت، كان واقعًا في حيرة شديدة لاختيار المستشفى الذي يجب أن ينضم إليه بعد عودته إلى كوريا، عقب اجتياز تدريبه الطبي الذي استغرق عامين

في الولايات المتحدة. كانت بواكير جراحة القلب، وكان الوضع بكوريا رديئاً حينها لدرجة يستحيل فيها المقارنة مع الولايات المتحدة، ليس من ناحية المعدات فحسب، بل لندرة المتخصصين في أمراض القلب أيضاً. عندما سمعت كلامه، دارت بخلدي فترة دراستي في الولايات المتحدة. كنت متفهمة ما يدور في خاطره تمامًا. حينها شعرت أن صدري يحترق مرة أخرى. وقطعت له وعدًا بأن أدعمه بكل ما أوتيت من قوة: "ضع يدك في يدي، وسنصنع إنجازًا عظيمًا من العدم".

علاقة تفاهم عظيمة ربطت بيني وبين الدكتور "شين" بغية تحسين مستوى طب أمراض القلب في كوريا. بدأ بإجراء الكشوفات الطبية والعمليات في حماس شديد. لم يخذل أي مريض مهما كانت صعوبة حالته، لدرجة أنه كان يذهب مع المريض لمستشفى كبير في سيئول من أجل العلاج في حال عدم توافر الأجهزة اللازمة لدينا. أما أنا، فكنت أعمل كذلك باستمرار على إضافة الكوادر البشرية المتميزة الضرورية لقسم أمراض القلب، وتقديم الدعم قدر المستطاع بإرسال الأطباء للتدريب بالخارج أكثر من مرة في العام الواحد. لم أبخل بأي دعم لتكاليف البحوث إيمانًا مني بأننا نستطيع تقديم خدمات علاجية عالية المستوى في حال كانت قاعدتها هي القدرات البحثية في مجال الطب الإكلينيكي. بدأت تحدث طفرة كبيرة في أعداد المرضى -الذين يزورون قسم أمراض القلب في "مستشفى غيل"- بفضل مهارة دكتور "شين" وحماسه، ودعوتي الكامل له. وذات يوم، طلب الدكتور "شين" -رئيس القسم- الحديث معي بشكل جاد.

- "يا دكتورة، أعتقد أنه يجب أن نؤسس معهدًا للقلب الآن".

- "لأن أعداد المرضى في ازدياد هذه الأيام، أليس كذلك؟".

- "صحيح أن أعداد المرضى قد ازداد، ولكن الكثير من حالات الطوارئ تموت أثناء نقلها

إلى "سيئول". هل يجب أن يفقد المرضى أرواحهم لعدم وجود مركز مناسب لأمراض

القلب في مدينة "إنتشون"؟".



مركز أمراض القلب بمستشفى غيل، مهد علاج أمراض القلب بكوريا الجنوبية

لا شك أن أمراض القلب من الأمراض التي كثيراً ما يتصارع فيها المرضى مع الثواني؛ لذلك إذا أنشأنا مركزاً لأمراض القلب، فإنه سيحدث تأثيراً تآزرياً مثل الحد من نقل المرضى بين الأقسام، نظراً لأننا سنجمع جميع الأقسام المساعدة لقسم أمراض القلب في مكان واحد. ولكن حتى ذلك الوقت، لم يكن هناك مركز واحد لأمراض القلب في كوريا. حتى مستشفى "سيفيرنس" التابع لـ "جامعة يونساي" كان قد بدأ لتوه في بناء أول مركز لأمراض القلب في كوريا. لذلك لم يكن هناك نموذج يقتدى به، أو مركز نجري عليه مقارنة مرجعية لأتوقع كم سيدر لي من مكاسب.

تصادف طلب دكتور "شين" في ذلك الوقت مع وضع الخطط واختيار الموقع من أجل بناء مركز لأمراض الكبد، فلم يكن لدي أي طاقة باقية لأمر آخر، لكنني كنت

أذكر بوضوح الوعد الذي قطعه له في لقائنا الأول بأن النهوض بمستوى علاج أمراض القلب في كوريا سيكون بأيدينا: "حسنًا، فلتبدأ بإجراء دراسة للمشروع أولاً، ثم نتخذ قرارنا بعد حساب تكاليف بناء المركز، وتحديد آلية الإدارة، وعدد القوى العاملة التي نحتاج إليها، وما إلى ذلك".

افتتح "مستشفى غيل" ثاني مركز لعلاج أمراض القلب في كوريا عام ١٩٩٥ أي بعد ٣ أعوام فقط منذ دخول أول حفار إلى موقع البناء في عام ١٩٩٢. تكلف المركز نحو ٢٠ مليون دولار أمريكي، ولكن لا يمكن مقارنة نتائجه وفائده بذلك المبلغ. نجح مركز أمراض القلب التابع لـ "مستشفى غيل" في أن يكون الأول على مستوى كوريا في كل من عمليات زراعة القلب والرئة المتزامنة، وعمليات استئصال الشريان التاجي، وجراحات إعادة هيكلة البطين الأيسر. وزيادةً على ذلك، فقد أصبح أفضل مركز في كوريا اسمًا وعملاً؛ حيث حققنا سجلات تاريخية في العديد من "الجراحات الأولى من نوعها في كوريا" في العمليات ذات الصلة. أما القدرات البحثية فأصبحت تضاهي التجارب السريرية، كما تولى مركز أمراض القلب زمام الريادة كأكثر المراكز بكوريا نشرًا للأبحاث العلمية المدرجة في مؤشر الاقتباس العلمي (SCI).

كل ذلك أصبح ممكنًا بفضل اتحاد إرادتي مع إرادة الدكتور "شين" عميد "كلية الدراسات العليا للطب". لو كان الدكتور "شين" متكالبًا على المال، لما بذل الدم والعرق من أجل تطوير قطاع أمراض القلب في كوريا، الذي كان أشبه بالأرض الفاحلة. ولو كانت إدارتي همها الوحيد هو تحقيق المكاسب فحسب، لما وضعت دعمي الكامل تحت تصرفه هكذا. يمنح توحيد الإرادة قيمًا جديدة. فمن خلال اتحاد الإرادة، يمكن أن نحصل على قيمة المنفعة العامة التي تسمو فوق المصالح الشخصية، كما أن تلك القيمة في النهاية تزيد من تعزيز الروابط بين هؤلاء الذين توحدت إرادتهم وترسخها.

لا يمكنني أن أغفل دور شخص آخر، وهي رئيسة الممرضات "كيم بيونغ يون" في "مستشفى غيل" منذ افتتاحها عام ١٩٨٧. كانت واحدة من الممرضات اللاتي أرسلتهن الحكومة الكورية إلى ألمانيا في ستينيات القرن الماضي، وقد عاشرت خلال فترة إقامتها في ألمانيا التجربة نفسها التي مررت بها أثناء دراستي في الولايات المتحدة: "لماذا بلدنا فقير إلى هذا الحد؟ لماذا لا يستطيع الكوريون التمتع بالمزايا الطبية نفسها التي يتمتع بها المواطنون الألمان؟".

قسم التمريض إلى جانب الطاقم الطبي، يعدان أهم محورين لقيادة المستشفى. بالنظر فقط إلى عدد كل منهما، سنجد أن قسم التمريض يحتل النسبة الأكبر من بين أقسام المستشفى. تمكنت رئيسة الممرضات "كيم بيونغ يون" من وضع نظام يعمل على التحسين المستمر للقدرات التمريضية للمستشفى، كما عملت على تنشئة عدد كبير من الممرضات على مدار الـ ٢٠ سنة الماضية. ومع أنني عشت حياتي كلها دون زوج، فإن فكرة أنني وحيدة لم تخطر لي على بال أبدًا؛ ذلك لأن أعضاء "مؤسسة غاتشون غيل" هم عائلتي وأحبتي. بفضل وجود أناس مشتركين معي في الإرادة، أستطيع دائمًا أن أتطلع نحو المستقبل، نحو حب جميع البشر في العالم على قدم المساواة.

لا يوجد شيء تافه

في عام ١٩٨٧، أسست "مستشفى غيل" التابع لـ "جامعة غاتشيون". كان مستشفى ضخمًا؛ حيث صمم ليستوعب ٥٠٠ سرير، مما جعله يحتل المركز الثالث من حيث عدد الأسرة بين المستشفيات العامة في كوريا حينها. أردت أن يلائم مستوى حدائته ضخامة حجمه. فخططت من أجل إدخال نظام الحاسب الآلي بالمستشفى لأول مرة في كوريا، وأن تكون كذلك الأجهزة الطبية الواردة إليه هي الأحدث من نوعها. فيما يخص تصميم المبني -الذي سيكون العمود الفقري للمستشفى- طلبت من البداية أن يكون محوره هو راحة المريض. ولكن في نهاية الأمر عندما خرج التصميم إلى النور، كان هناك شيء لم يعجبني أبدًا:

- "مع كل أسف يجب أن تعيد التصميم مرة أخرى".

- "ماذا؟ ما المشكلة في التصميم؟".

- "دورات المياه ضيقة للغاية".

بالطبع، لم تكن ضيقة على الإطلاق، إذا نظرنا إلى الأمر بالمعايير التقليدية، ولكن دورات مياه المستشفى التي كانت في رأسي كانت مساحتها يجب أن تكون أكثر راحة وأوسع من تلك المعايير التقليدية. قد يكون ما أقوله بديهيًا، ولكن الكثير من المرضى يواجهون صعوبات في حركة أجسادهم. وفي الكثير من الحالات، يتوجب عليهم استخدام أدوات لا يستخدمها الأصحاء؛ مثل: العكاكيز وحوامل المحاليل... إلخ. وفي بعض الحالات، يكون على الأوصياء أن يدخلوا مع المرضى إلى دورات المياه؛ لذلك فهم بحاجة إلى مساحات أوسع بكثير من تلك المخصصة للأصحاء. إذا وضعنا كل ما سبق في عين الاعتبار، فإن دورات المياه الموجودة في التصميم كانت ضيقة بشكل غير منطقي.

يطلق الناطقون بالإنجليزية على دورات المياه 'restroom' أي غرفة الراحة. فعندما نذهب إلى دورات مياه الفنادق أو المطارات في الخارج، ندرك أنها حقًا اسم على مسمى؛ حيث تشعر وكأنها أماكن للاستراحة بقدر ما هي واسعة ومريحة. توفر الدول المتقدمة دورات مياه واسعة ومريحة كتلك للأشخاص الأصحاء الذين لا يعانون من أي مرض، أما نحن فنقدم للمرضى الذين لديهم مشاكل في الحركة حمامات ضيقة وغير مريحة.

في النهاية، دخل التصميم حيز التعديل وفقًا لطلبي. لم يكن هناك مفر من حتمية تغيير توزيع المساحات الأخرى من أجل توسيع مساحات دورات المياه التي كانت قد وضعت وفقًا للتصميم القديم. بسبب ذلك، استغرق الأمر الكثير من الوقت، وتكلف الكثير من المال أيضًا. ودورات مياه "مستشفى غيل" التي صممت وفقًا لرؤيتي واسعة بقدر كافٍ إذا نظرنا لها حتى بمعايير هذه الأيام. أبدى الكثير من الناس دهشتهم من فكري الذي جاء بمثل ذلك التصميم وقالوا لي إنه كان يصعب عليهم أن يصدقوا أن ذلك المستشفى قد أنشئ قبل نحو ٢٠ عامًا.

قد يجادلني البعض بأن أهم مساحات المستشفى هي: غرف العمليات والكشف وغرف المرضى، وليست دورات المياه. ولكن دورات مياه المستشفى التي صممت وفقاً لرؤيتي تضاهي في أهميتها غرف العمليات وغرف المرضى. عند دخولي أحياناً إلى دورات المياه في الوقت الحالي أيضاً، أفكر في طرق لتحسينها من وجهة نظر المريض: "ألن يكون الأمر أكثر سهولة إذا حركنا شماعة الحقائب إلى هذا الاتجاه؟"، "يجب أن نضع حامل محاليل هنا!" أقوم هذه الأيام أيضاً -مرة واحدة في الأسبوع تقريباً- بالتفتيش على نظافة دورات المياه واحدة تلو الأخرى أثناء مروري بين الطوابق. وبالتأكيد إذا وجدت حمماً غير نظيف أو معطلاً، أوجه تحذيراً شديداً للجهة إلى المسؤولين عنه.

إذا انكسر الشباك الزجاجي لمدخل أحد الأبنية، فإن صاحب المبنى سيتركه كما هو؛ لأنه لا يريد أن يزعج نفسه ويشغل باله بخسارته على الفور. ولكن سيعتقد المارة أمام المبنى إذا رأوا الزجاج المكسور أن المبنى قد هجره صاحبه أو ربما المستأجرون. والأدهى من ذلك أن البعض قد يشعر أن المبنى، وحتى المنطقة المحيطة به، قد أصبحت خطراً. يقول خبير التسويق "مايكل ليفين": "في عالم الأعمال، تصور العميل هو أهم عنصر لتحديد نجاح أو فشل الشركة. إذ إن خطأ واحداً فقط لو حدث، أو موظفاً واحداً فقط تعامل مع عميل بطريقة غير لائقة، أو تجربة واحدة فقط غير سارة، سيدير بعدها العميل ظهره عن شركتك".

تلك العبارة تشبه المعنى القائل "يدين العميل بالولاء المطلق لشركة لتجربة واحدة مؤثرة، أو للطف موظف واحد، أو لتجربة واحدة سارة"، وهو ما يطلق عليه "نظرية الشباك المكسور". يرمز اللون "الوردي الهندي" إلى "مستشفى غيل". أصبح ذلك اللون منذ تحديده عند بداية تشييد المستشفى وحتى يومنا هذا العلامة التجارية له. حتى ذلك الوقت كان اللونان اللذان يمثلان المستشفيات هما الأبيض أو الرمادي فقط. لكنني كنت أرغب في أن يمتلك المستشفى لوناً فريداً يستطيع المريض تذكره بسهولة إذا ذكر أمامه "مستشفى غيل"، كما كنت أريد أن يشعر المريض بالراحة أثناء وجوده في المستشفى كما لو كان في منزله. فجربت عدة ألوان لطلاء جدران المستشفى منها الأزرق والأحمر والأخضر وغيرها لعدة أيام،

وكان اللون الذي ارتضيته في النهاية هو الوردي الهندي. لاقى اللون استحسان المرضى والطاقم الطبي؛ حيث أشعرهم بدفء يشبه حنان الأم. لون المستشفى الذي لم يشغل بال الآخرين بشكل كبير، أصبح ذلك الاختلاف التافه -في نظر البعض- أداة تضيء تجربة إيجابية للأطعم الطبية والمرضى، وغيرت من صورة مشفانا.

المعيار الذي يميز بين "المنتج الأصلي" و"المنتج المقلد" هو الأشياء البسيطة أكثر من المنتج نفسه، مثل جودة الخياطة والسحاب، والزخرفة على المقبض، وزد على ذلك الرائحة التي تنبعث من المنتج. كمالية تلك الأشياء البسيطة هي التي تصنع المنتج الأصلي. لهذا السبب، أحب عبارة "ديه دام ساي شيم". هذه العبارة تعني التحلي بالشجاعة عند اتخاذ القرار ودفع الأمور في القضايا الكبرى، وكذلك الحرص الشديد في تناول الأمور الصغرى وإتمامها على أكمل وجه. ستضيع فرص كثيرة إذا كنت شجاعاً فحسب أو كنت دقيقاً فحسب، ولكن إذا امتلكت الصفتين، ستستطيع إنجاز الأمور الكبرى والصغرى على حد سواء، وبإتقان تام.

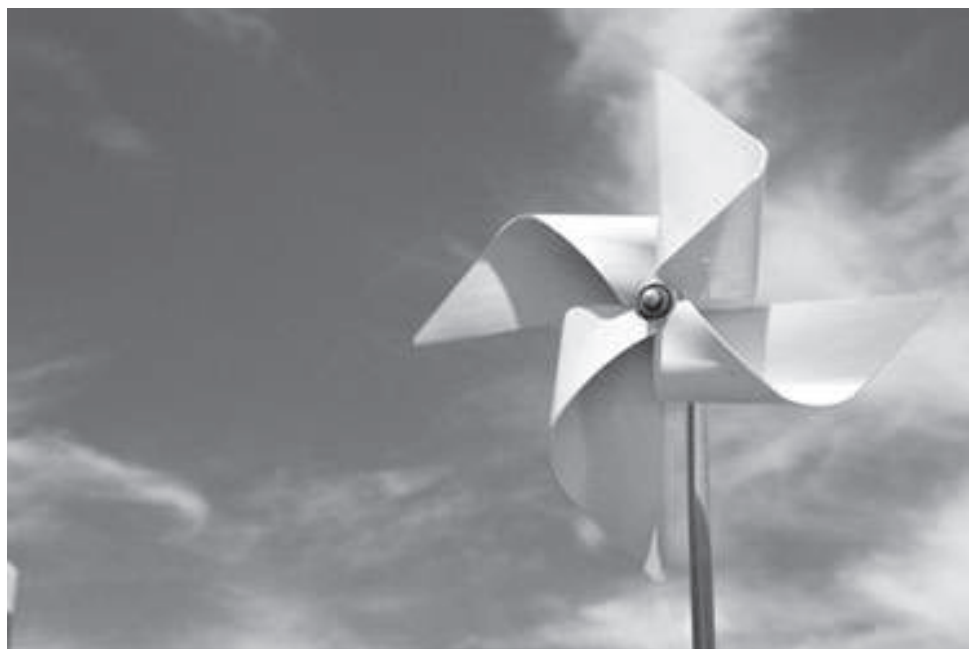
في عام ٢٠١٠، اندلعت حرب بين الجامعات الكورية من أجل افتتاح كلية للصيدلة بها. كنت قد أنهيت الفحص الأخير في صباح اليوم الذي ستقوم فيه لجنة الفحص بإجراء التفتيش الميداني. أجرينا عدة بروفات على محتوى الملف الذي سنعرضه، وأكملنا الأجزاء الناقصة به. أتممنا الاستعداد تماماً قبلها بعدة أيام؛ من أجل عرض مرافق "كلية الطب بجامعة غاتشون" و"معهد أبحاث أمراض السرطان والسكري" وهي في أفضل حالاتها. حضرنا كل شيء بعناية فائقة حتى فناجين الشاي التي ستقدم لأعضاء اللجنة والأطباق التي ستوضع عليها، وعابنت المكان الذي ستعقد فيه جلسة عرض الملف مرة أخيرة، ولكن لم تعجبني أدوات الكتابة المجهزة لأعضاء لجنة الفحص: "استبدل هذه الأقلام بسرعة. هذه الأقلام العادية يمكن استخدامها في أي مكان". ركض المسؤول بسرعة لشراء أقلام جديدة، ولكنها لم تعجبني أيضاً. فوجهته بالذهاب لشراء أقلام أخرى. وبعدها

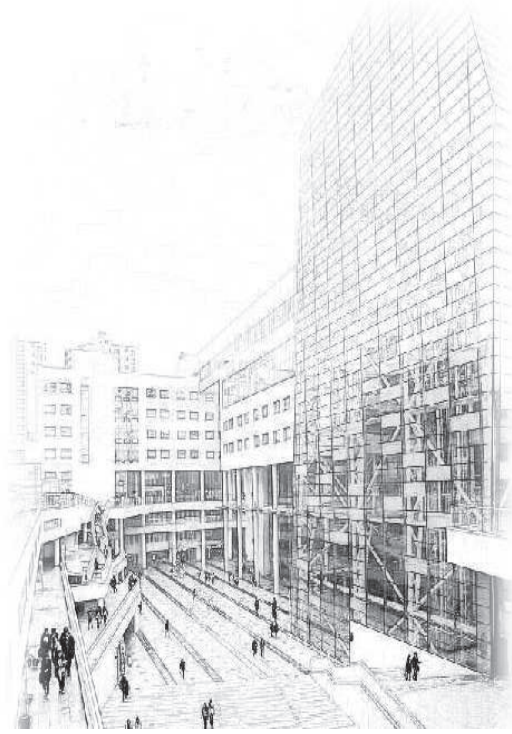
ذهب لمتجر الأدوات المكتبية أكثر من مرتين، أحضر في النهاية أقلامًا أعجبتني. ما أردته هو أقلام تشعر اللجنة بالفخامة لدرجة تجعلهم يرغبون في امتلاكها. أُن يشعر أعضاء اللجنة بالرضا -ولو في عقلهم الباطن- عندما يجلسون في مقاعدهم ويشعرون بأننا لم تفتنا فائدة إلا وحضرنا لها بكل دقة، حتى الأقلام لم تقع من حساباتنا؟ كما أن ذلك الانطباع الأول لا يمكن أن يجلب نتائج مخالفة له مطلقًا.

مهما بدا الشيء ضخماً، فهو في الحقيقة نتاج دمج أشياء بسيطة. فمياه القطرات الصغيرة تكون الأنهار، وتلك الأنهار تتجمع لتكون المحيطات. لو لم تكن تلك القطرات، لما تكونت تلك المحيطات. إذاً، إذا لم تبذل أفضل ما عندك في الأمور الصغيرة، فلا تأمل في الحصول على أفضل النتائج في الأمور الكبيرة.

الجزء الثاني

الاختيار





٦. جوهر إدارة المصلحة العامة

النجاح في امتلاك طائرة مروحية خاصة للخدمات الطبية الطارئة

عندما كنت طبيبة شابة، اضطررت إلى أخذ قارب يعمل بمحرك لزيارة الجزر المنعزلة في بحر الغرب بهدف تقديم خدمات طبية مجانية لسكانها. وكلما قمت بذلك النوع من الرحلات، كنت أقول في نفسي: "كم هو رائع إذا كان لدينا سفينة طبية خاصة...". لكنني لم أكن قادرة على الحصول على سفينة طبية آنذاك عندما كنت طبيبة شابة. وبالاستفادة من تلك التجربة المتعبة خلال الفترة الأولى من حياتي، قمت بتركيب نظام للتشخيص عبر الفيديو عندما فتحت "مستشفى غيل"، وهو يعتبر الأول من نوعه في كوريا. وبفضل هذا النظام للتشخيص، تمكنت من تشخيص حالة المرضى في جزيرة "بيكريونغ - دو" البعيدة، التابعة لمدينة "إنتشون"، من خلال شاشة الجهاز.



طائرة مروحية خاصة للخدمات الطبية الطارئة

كانت البنية التحتية الخاصة بالمواصلات سيئة للغاية آنذاك، وكذلك كانت ظروف المعيشة وأيضاً الظروف الطبية والصحية لكل سكان تلك الجزيرة المنعزلة. وكانت المنشآت الطبية المتاحة لهم في حالة بائسة. وقد وجدت حالتهم مؤسفة للغاية، الأمر الذي دفعني لافتتاح عيادة طبية في جزيرة "بيكريونغ - دو" لفترة من الزمن.

لكن تلك العيادة لم تكن كافية لحل جميع المشكلات. فقد كنت محاطة بحدود معينة لا أستطيع التغلب عليها في علاج المرضى، خاصة في حالات الطوارئ. ووسط تلك الحالة المخيبة للأمل، تمنيت بشدة عدم استبعاد أي مريض من الخدمات الطبية المتاحة. وتلبية لأمنياتي الحارة، اختير "مستشفى غيل" بكلية غاتشون للطب ليكون مسؤولاً عن إدارة طائرة مروحية مخصصة للأطباء والممرضين، ومجهزة بمعدات طبية للطوارئ، وتعتبر هذه الطائرة هي الأولى من نوعها في كوريا، وبواسطتها استطعنا بدء علاج المرضى في حالات الطوارئ. في منطقة "إنتشون"، توجد نحو ١٧٠ جزيرة، بما في ذلك جزر مأهولة وغير مأهولة. ومن بينها يوجد عدد قليل جداً من الجزر المأهولة.



المركز الطبي للطوارئ التابع لـ"مستشفى غيل"

كان سكان تلك الجزيرة المأهولة يحتاجون أحياناً إلى خدمات طبية طارئة، لكننا لم نستطع الوصول إليهم في الوقت المناسب. في الواقع، هذه المشكلة لم تكن مقتصرة على سكان الجزر المنعزلة، حيث كان هناك أيضاً عدد من المناطق المنعزلة التي لا يمكن للخدمات الطبية الوصول إليها، مما يحرم سكانها من تلقي المساعدات الطبية المناسبة. وكان أمراً بالغ الأهمية بالنسبة لهم وضع نظام يتيح نقل المرضى إلى المراكز الطبية في غضون ساعة واحدة على الأقل، لكن الواقع لم يكن كذلك. بالنسبة لي، كان المستشفى يقع في منطقة "نتشون"، ولذلك شعرت بالأسف دائماً. ولذا كنت أتمنى إدارة سفينة طبية تستطيع نقل مرضى الطوارئ من الجزر المنعزلة أو المناطق التي تعاني نقصاً واضحاً في تلقي العلاج الطبي، إلى المستشفى الذي اشتغل فيه، أو على الأقل كنت أتمنى تطوير نظام يتيح ذلك. وفي تلك الأثناء، وقع حادث غرق سفينة طبية كانت تقدم مساعدات طبية إلى سكان الجزر أو المناطق المنعزلة الأخرى في بحر

الجنوب، ومن ثم لم أتمكن من المضي قدماً في تنفيذ خطتي الطموحة. وعلى الرغم من ذلك، لم أتوقف أو أتخلى عن بذل جهود من أجل تحقيق أحلامي.

**

في الحقيقة، منذ أن أنشأت أول مركز طبي، خطرت ببالي فكرة التخطيط لإيجاد سبل لمساعدة سكان الجزر المنعزلة وسكان المناطق المحرومة من الخدمات الطبية، على تلقي الخدمات الطبية المناسبة. في هذا السياق، ابتداء من عام ٢٠٠١، بدأت إدارة أول مركز طبي للطوارئ في كوريا. وكلما حظيت بفرصة خلال السنوات التالية، ظلت أؤكد على ضرورة تجهيز طائرة مروحية طبية للتعامل مع حالات الطوارئ والنقل السريع للمرضى من الجزر والمناطق المحرومة من العلاج الطبي. وفي نهاية المطاف، تحققت أمنيته في عام ٢٠١١؛ حيث أعلنت الحكومة عن خطة لتشغيل طائرة مروحية مخصصة للعلاج الطبي للطوارئ في منطقتي "إنتشون" و"موكبو". ونتيجة للتنافس الشرس، فاز "مستشفى غيل" ونجح في إدارة الطائرة المروحية الطبية لحالات الطوارئ في منطقة "إنتشون". وتتم إدارة المركز الطبي للطوارئ المخصص لمنطقة الساحل الغربي، بواسطة "مستشفى غيل"، ويعمل فيه ثمانية أطباء متخصصين وعشرون طبيباً عاماً مقيماً، بالإضافة إلى ذلك، فإن هذا المركز مفتوح ٢٤ ساعة في اليوم على مدار أيام السنة دون إجازات.

ويتم تجهيز الطائرة المروحية الطبية للطوارئ بالمعدات الطبية اللازمة للتعامل مع الأوضاع الطبية الطارئة، ويمكن للأطباء والمرضى مرافقة المريض. وتعتبر مثل هذه المعدات ذات أهمية بالغة لنقل المرضى المصابين بأعراض خطيرة، مثل مشاكل القلب والدماغ، أو الإصابات الخطيرة.

وقد عالج المركز الطبي للطوارئ التابع لـ"مستشفى غيل"، نحو ٨٥ ألف مريض للطوارئ خلال عام ٢٠١٠ وحده. ويعتبر هذا الرقم هو الأكبر في منطقة "إنتشون"، وثاني أكبر مستوى من نوعه في كل أرجاء البلاد. لقد تم تسجيل

نحو ٤ آلاف و ٨٠٠ مريض، أي ٧,٥٪، في المركز الطبي للطوارئ في الأحوال الخطيرة. ومع الوضع في الاعتبار حالات الطوارئ المسجلة للمرضى الذين كان يتوجب نقلهم بالطائرة المروحية الطبية من الجزر وغيرها من المناطق المنعزلة، فمن المفترض أن يكون قد تم التعامل مع نحو ٢٢٠٠ حالة طوارئ سنوياً حتى عام ٢٠١٤.

إنني أخطط لتحسين فعالية استخدام الطائرة المروحية من خلال توظيف إضافي لاثنتين من الأطباء المتخصصين وسبعة ممرضين في المركز الطبي للطوارئ. علاوة على ذلك، جهز المركز نظاماً خاصاً يمكن بموجبه لطاقم مكون من ٤١ طبيباً متخصصاً في الصدمات الحرجة، و ٢٩ طبيباً متخصصاً في اضطرابات القلب والأوعية الدموية، معالجة المرضى المنقولين بواسطة الطائرة المروحية.

لقد ظل المركز الطبي للطوارئ التابع لـ "مستشفى غيل" يحظى بتقييم ممتاز خلال ٩ سنوات على التوالي. وبفضل إضافة الطائرة المروحية للطوارئ، عزز المركز مكانته باعتباره مركزاً طبياً للطوارئ على أعلى مستوى في المنطقة؛ حيث أصبح يدير مشروعاً طبياً جديداً لأول مرة في كوريا، وهو عيادة محمولة للطوارئ في منطقة "إنتشون". ومنذ انطلاق هذه الخدمة اعتباراً من شهر أكتوبر من عام ٢٠١١، قامت الطائرة المروحية المجهزة بمعدات الإغاثة الطبية للطوارئ بإنقاذ حياة ٢٠ شخصاً.

مع ذلك، كنت أتمنى بدء تنفيذ الخدمة مبكراً أكثر. فإذا كان تشغيل تلك الطائرة الطبية قد بدأ مبكراً إلى حد ما، لكان من الممكن إنقاذ حياة المزيد من الناس. حتى الآن، صارت جميع الدول الأعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية تستخدم طائرات مروحية لنقل مرضى الطوارئ، إلا أن كوريا بدأت مؤخراً في استخدام طائرتين مروحيتين منذ أشهر فقط، إحداهما في منطقة "إنتشون"، والثانية في مقاطعة جنوب "جولا". إنه لأمر محرج أن تكون كوريا هي آخر دولة من الدول الأعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية من حيث تشغيل طائرات مروحية

طبية. ومع ذلك، فإنني أشعر بالسعادة لتشغيل طائرة مروحية مخصصة للمرضى في كوريا. ومع أن إطار الرحلة محدود في الوقت الراهن، حيث تغطي ٥٠ كيلومترًا فقط، وتصل إلى إقليم "كوانغ هوا - غون" كله، وجزر "مو إي - دو"، و"يونغ هونغ - دو"، و"دوك جوك - دو"، و"سويا - دو"، إلا أنه بمجرد نجاح التشغيل التجريبي الحالي سيتم توسيع مدى خدماتها ليشمل جزر "بيكرونغ - دو"، و"ديتشونغ - دو"، و"سوتشونغ - دو"، إلى جانب جزيرة "يون بيونغ - دو". وأستطيع أن أقول بفخر إن تشغيل طائرة مروحية طبية يعتبر ثمرة غالية لروح محبة الناس والرغبة الخيرة في خدمتهم لدى "مؤسسة غاتشون غيل"، وإيماننا بأن كل إنسان - دون استثناء واحد - يستحق تلقي الخدمات الطبية.

من قلب متحمس إلى آخر

منذ افتتاح "مركز لي غيل يو الطبي للنساء والتوليد" في عام ١٩٦٨ بعد عودتي من الولايات المتحدة الأمريكية، ظللت منشغلة بمعالجة المرضى دون أي إجازة، حتى ولو مرة واحدة. ولكن حتى مع العمل المكثف بناء على جدول مزدحم، فقد شعرت وكأنه يوجد حائط غير مرئي يسد طريقي. فالمركز الطبي لم يكن مستشفى شاملاً، ولذلك اضطررت إلى إرسال مرضى الطوارئ - وهم المرضى الذين يحتاجون إلى علاج سريع وفوري - من منطقة "إنتشون" إلى المستشفيات الأكبر في المدن البعيدة. ولذلك كنت أشعر بخيبة الأمل للغاية عند إرسال مثل أولئك المرضى إلى المستشفيات الأكبر في المدن البعيدة. ففي حالة عدم تلقي أولئك المرضى المساعدة الطبية المناسبة، فقد يموتون بسهولة. ولأنني أعرف ذلك الوضع بشكل جيد، شعرت وكأنني كنت أخونهم.

وبالتالي قررت عندما بلغت الثالثة والأربعين أن أكون طالبة مجددًا. وفي عام ١٩٧٥، غادرت كوريا متوجهة إلى اليابان لقضاء الفترة الدراسية الثانية في الخارج. هكذا بدأت دراستي في اليابان، حيث أصبحت طالبة عند الأستاذ "داكيوتشي داداسي" القائد البارز في مجال علم الأمراض، والذي أجرى أبحاثًا في أمراض السكري والكلية في الولايات المتحدة الأمريكية. وبعد سنتين من الدراسة، حصلت

على شهادة الدكتوراة في الطب، لكن تلك الشهادة لم تكن سوى نتيجة جاءت مع الإنجاز الذي حصلت عليه من مشاهدات وتجارب في اليابان، والذي تأكدت من أنه سوف يحدد اتجاه الدائرة الطبية الكورية في المستقبل. لقد بدأت اليابان في تنفيذ نظام الرعاية الصحية على المستوى الوطني اعتباراً من عام ١٩٦١.

منذ عام ١٩٧٣، قدمت الحكومة اليابانية خدمات خاصة بالرعاية الصحية غير مسبوقه للمسنين الذين تتجاوز أعمارهم ٧٠ عاماً. لقد تمكنت اليابان من تقديم خدمات الرعاية الصحية على مستوى عالٍ لمواطنيها في كل أرجاء البلاد، بفضل وجود عدد كبير جداً من المستشفيات العامة الضخمة. لقد شعرت بالغيرة من هذا النظام المتطور للرعاية الصحية، وفي الوقت نفسه، شعرت بالأسف الشديد حول واقع الشعب الكوري الذي لم يتمكن من الوصول إلى مثل هذا النظام المؤسسي للرعاية الصحية. فأفراد الشعبين -الكوري والياباني- يحسون بالألم نفسه إذا مرضوا. وكان لدي إيمان بأن جميع المرضى يجب أن يتلقوا العلاج بجودة عالية، بغض النظر عن المستويات التعليمية أو المعيشية. لذلك اعتقدت أنه يجب أن يحصل الشعب الكوري على خدمات جيدة للرعاية الصحية مثل الشعب الياباني.

شيء آخر تعلمته في اليابان، وهو نظام إدارة المستشفيات الضخمة. فعلى سبيل المثال، كان "مركز لي غيل يو الطبي للنساء والتوليد" صاحباً دائماً وكأنه سوق مزدحمة بالناس. أما المستشفيات في اليابان فكان فيها جو من الصفاء، حيث تم ترتيب كل شيء بشكل منظم على أساس قواعد إرشادية، حتى ولو استقبلت تلك المستشفيات -وعلى وجه الخصوص المستشفيات العامة- عددًا كبيراً من المرضى، لم تكن تشهد أي ضجة أو اضطراب. وقبل كل شيء، لم يحدث أي تأخير، وبالتالي لا يضيع الزوار أوقاتهم في الانتظار غير الضروري. كان كل ذلك ممكناً لسبب واحد، وهو نظام إدارة المستشفى المصمم بدقة.

في عام ١٩٧٧، عندما رجعت من اليابان، بدأت التخطيط لإنشاء نوع جديد من المستشفيات، كان مستشفى عاماً على شكل مؤسسة طبية. ومثل كل التحديات

الأخرى، واجهت تشكيكاً ومعارضات، ونصائح من معارفي بالعدول عن خطتي؛ لأن إنشاء مؤسسة طبية يعني التبرع بجميع ممتلكاتي الشخصية للمجتمع. وإذا تم إنشاء مؤسسة طبية بتمويل شخصي، فسوف تخضع لإشراف الحكومة ومراقبتها، وهو ما يعني أنها لن تكون ضمن ثروتي الشخصية أو عملي الخاص، حيث يتوجب الأخذ في الاعتبار آراء الأشخاص ذوي المصلحة في أي شيء يتعلق بشؤون المؤسسات الطبية. وإذا كنت أهتم بالفوائد الشخصية فقط، لكنت اكتفيت بمجرد إدارة "مركز لي غيل يو الطبي للنساء والتوليد".

لكن في عقلي، كان عندي ثقة قوية بأن هناك ضرورة لإصلاح النظام الطبي الحالي، لكي يستطيع أي مواطن في البلاد الوصول إلى الخدمات الطبية كلما احتاج إليها ودون تمييز. لقد اشتمل القانون الطبي المعدل عام ١٩٧٣ على مادة جديدة تنص على أن الشركات الطبية هي التي يمكنها فقط إنشاء مؤسسة طبية تكون أكبر حجماً من المستشفى. وعلى كل حال، لم تؤثر هذه المادة الجديدة على تنفيذ خطتي؛ لأن خطتي كانت تشمل تأسيس مستشفى تابع للمؤسسة الطبية. وعندما دخل القانون حيز التنفيذ، كان أكثر من ١٥٠ مستشفى صغير الحجم والمراكز التي تتم إدارتها بواسطة الأطباء الفرديين، الواقعة في كل أرجاء البلاد، قد خفضت درجاتها بنفسها من مستشفيات ومراكز طبية إلى عيادات طبية. ويرجع سبب هذا التحول الضخم إلى قرار أصحابها بتخفيض مستوى مستشفياتهم ومراكزهم الطبية لأنهم لا يريدون تحويل ثرواتهم الشخصية إلى ثروات للمجتمع. وقد كان ذلك رد فعل عامّاً منتشرًا في الدائرة الطبية إزاء القانون الطبي المعدل. وفي المقابل، كان طريقي معاكساً تماماً للمناخ العام السائد آنذاك.

في شهر مارس من عام ١٩٧٨، تم افتتاح "مستشفى غيل"؛ وهي المؤسسة الطبية في منطقة "إنهيون - دونغ، جونغ - غو"، في مدينة "إنتشون" (موقع شرق "مستشفى إنتشون غيل" حالياً)، الذي يضم ١٥٠ سريرًا. كان افتتاح المستشفى محل أعظم اهتمام في الدائرة الطبية؛ لأن إنشاء مؤسسة طبية كان أمرًا نادرًا في

تلك الفترة. فضلاً عن أن "مستشفى غيل" مجهز بمعدات طبية عالية التقنية وبأعداد كبيرة، ويعمل فيه أطباء متفوقون، وقد بدأ في النمو ليصبح مستشفى عامًا يوازي أي مستشفى عام كبير الحجم في العاصمة سيول. وسرعان ما تم اختيار المستشفى لتدريب الأطباء الجدد والأطباء المقيمين، وبدأ عدد المرضى يزداد بصورة سريعة. وبعد ثلاثة أعوام فقط اضطر المستشفى إلى زيادة عدد الأسرة إلى الضعف.

عندما افتتح "مستشفى غيل"، كانت الدائرة الطبية في كوريا في مفترق الطرق، حيث بدأ تنفيذ نظام التأمين الصحي، بينما بدأت المؤسسات الطبية توسع أحجامها، وبالتالي كان المرضى في العاصمة سيول يفضلون المستشفيات العامة أكثر من المراكز الطبية الصغيرة. ونتيجة لذلك أصبح "مستشفى غيل" مؤسسة طبية تشهد مكانتها قوة وازدهاراً باعتباره المستشفى العام الوحيد كبير الحجم في منطقة "إنتشون".



"مستشفى غيل" لحظة الافتتاح

لكن بالنسبة لي لم يكن المركز الأول مهمًا. فقد كان كل ما أردته هو إتاحة العلاج للمزيد من المرضى قدر الإمكان. ولهذا السبب، قررت إنشاء مؤسسة طبية على الرغم من الأصوات المعارضة، ومضيت قدمًا نحو تنفيذ هذا القرار. إن جوهر الروح الخيرية المحبة للإنسان والراغبة في خدمته تتمثل بالنسبة للمستشفيات والأطباء في علاج المرضى. وهذا هو سبب إنشاء نظام يتيح العلاج للمزيد من المرضى، وقد كان ذلك ذا أهمية كبيرة بالنسبة لي.

إدارة الرؤى

لا أحد يرفض النجاح في الحياة، ولا أحد يرغب في الفشل في حياته. لكن صورة "الحياة الفاشلة" دقيقة ومتفق عليها إلى حد كبير، أما صورة "الحياة الناجحة" فهي متنوعة ومختلفة حسب الأشخاص. فالبعض يقول إن حياتك تكون ناجحة إذا ربحت أموالاً أكثر من الآخرين، أو إذا كنت ذا نفوذ أقوى، أو أكثر شهرة من الآخرين في المجتمع. فهل هذه هي الحياة الناجحة؟ على أساس هذا المقياس، يمكننا أن نجد الكثير من "الأشخاص الناجحين" حولنا. لكنني أتساءل: هل هؤلاء الأشخاص الذين عاشوا حياة ناجحة في اعتقادنا، يعتقدون بالفعل أنهم ناجحون، وهل هم سعداء في حياتهم؟

إذا كان مفهوم النجاح يتعلق بمجرد امتلاك المزيد من المال والقوة أكثر من الآخرين، فلا بد أن هناك شخصاً واحداً ناجحاً بالفعل في هذه الدنيا. إن الأشخاص الذين لديهم الكثير من المال يحسدون الآخرين الذين يمتلكون أموالاً أكثر منهم دائماً، وقد يعيشون في قلق مستمر بسبب عدم رضاهم عما يمتلكونه من مال. وهذا هو الشيء نفسه بالنسبة للأشخاص ذوي السلطة؛ حيث أحياناً قد يسيرون في طريق يجب ألا يختاروه، وذلك من أجل الحصول على السلطة. فعلى سبيل المثال، يمكننا أن نرى ذلك في القائد الفرنسي "نابليون بونابرت"، الذي امتلك كل شيء يطمح إليه الإنسان من مال وشهرة وسلطة، لكنه عندما نفي إلى جزيرة "سانت هيلينا"، ندب حظه قائلاً:

"يمكنني أن أعد أقل من ستة أيام في حياتي بأسرها كنت فيها سعيداً بالفعل".

إذا لم تكن لديك خطة دقيقة حول النجاح من أجل ذاتك أولاً، فلن تعيش حياة ناجحة ولن تكون سعيداً. سيصبح كوكب الأرض أكثر إنتاجاً وجمالاً إذا بذل كل سكانه -البالغ عددهم ٧ مليارات نسمة- جهوداً، وسعوا من أجل البحث عن مختلف سبل النجاح التي يعتقدون أنها تستحق السعي.

إذًا، ما هو مفهوم "الحياة الناجحة"؟ فيما يتعلق بمفهوم النجاح في اعتقادي، فإنه لا يجب تقييمه على أساس مقاييس الآخرين، بل على أساس مقياس ذاتي لكل شخص. يرجع سبب ذلك إلى أنه إذا قيمت النجاح على أساس مقاييس الآخرين، فسوف تظل تصارع باستمرار للحصول على المزيد من المال والشهرة والسلطة.

إن حياة كل شخص يجب أن تقيّم ليس على أساس ما يمتلكه، بل على أساس الاتجاه الذي تأخذه. ربما تكون ثريًا ولديك سلطة، ولكن إذا اخترت اتجاهًا خاطئًا، فقد تعيش حياة فاشلة في نهاية المطاف. وإذا أردت أن تعلن أنك قد عشت حياة ناجحة دون أي مشاعر خجل، على أساس تقييم مقاييسك الذاتية بنفسك، فلا بد أن تراجع نفسك بدقة وبلا هوادة ثم تحدد الاتجاه الصحيح. ويمكن تغيير المجتمع أو جعله ناضجًا عندما يقوم صناع القرار والأكاديميون ورواد الأعمال -الذين ينتمون إلى ما يسمى بشريحة الـ 1% الأعلى اجتماعيًا- بالتحرك على أساس الاتجاه الصحيح، وليس من أجل مصالحهم الشخصية، بل لصالح الجميع.

الآن في كوريا، يزداد عدد المؤسسات التي تؤكد على الالتزام بأداء مهامها الاجتماعية وتحمل مسؤولياتها، وتلتزم بأخلاقيات الأعمال. وصار المزيد من المؤسسات تدرك أن المسؤوليات الاجتماعية ليست مجرد تقاسم عوائدها مع المجتمع، وبالتالي فقد بدأت تدرك بالفعل أهمية وضع استراتيجيات طويلة المدى تتيح لها ممارسة أنشطة اجتماعية تسهم في تحقيق نتائج واضحة وإيجابية لعملائها.

لكن عندما بدأت الانغماس في إدارة العمل العام، كانت أغلب المؤسسات في كوريا تهتم بتحقيق أرباحها ولم تهتم كثيرًا بتحمل المسؤوليات الاجتماعية ومهامها التي يتوجب على كل المؤسسات الاضطلاع بها. بموجب ذلك، وجدت عددًا من الناس الذين ينظرون باستغراب للأنشطة الاجتماعية التي قمت بها في المجالات الثقافية والتعليمية والطبية.

لكنني على اليقين بأنه في المستقبل لن تستطيع جميع المؤسسات الربحية في كوريا إهمال مسؤولياتها وواجباتها الاجتماعية. يجب على تلك المؤسسات

مشاركة فوائدها مع الناس ليس فقط لأن هذا ما يقتضيه الالتزام النبيل؛ حيث إنه من الضروري أن تدرك أنها ملزمة بالمساهمة في المجتمع لأن جزءاً كبيراً وراء نجاحها وأرباحها جاء بفضل الشعب. وتتنوع طرق تقاسم الأرباح، بما في ذلك بناء مستشفيات في المناطق شديدة الحاجة إلى التنمية، تلك التي لا توجد بها عوائد تنموية وبالتالي تعاني من عجز مالي، وكذلك من بين طرق تقاسم الأرباح تقديم منح دراسية للطلاب الصغار الذين يواجهون صعوبات مالية في الدراسة. وهكذا، عندما يتجمع الناس ويتقاسمون الآراء، نستطيع بسهولة البحث عن سبل مساعدة الآخرين الذين هم في حاجة ملحة إلى المساعدة.

في أمريكا، حيث تتمتع أنشطة المساهمة الاجتماعية بصورة إيجابية، بدأت المؤسسات في تطوير أمثلة للمساهمة الاجتماعية المتطورة ابتداء من منتصف التسعينيات. فقد كانت المؤسسات الأمريكية الضخمة مثل "مايكروسوفت" و"آي بي إم"، و"جي إي" تقيم درجاتها في مساهماتها الاجتماعية باستمرار منذ منتصف التسعينيات، نظراً لأن هذه المؤسسات تدرك أن أنشطة المساهمة الاجتماعية تؤثر على زيادة سمعتها، وأيضاً تؤثر إيجابياً على وحي الجمهور بشأن العلامة التجارية للمؤسسة وأسلوب استهلاك الناس، بالإضافة إلى رضا المستهلكين.

ونستطيع ضرب أمثلة كثيرة حول أنشطة المساهمة الاجتماعية في كوريا، في مقدمتها أسرة "تشييه" في مدينة "كيونغ جو" منذ زمن طويل. فقد كانت هذه الأسرة إحدى الأسر الغنية في المدينة على مدار أكثر من ٣٠٠ عام، والسبب في ذلك يرجع إلى أن أفراد هذه الأسرة التزموا بوصية أجدادهم التي تؤكد على "عدم ترك أي أحد يسكن في مساحة تبلغ ٤٠ كيلومتراً يموت جوعاً". هكذا كانت أسرة "تشييه" غنية تنال احترام الكثيرين ومحبتهم، بفضل تقاسم ثروتها مع الآخرين، جيلاً بعد جيل.

الشيء نفسه يحدث مع إدارة الأعمال. فالمؤسسات التي تحقق أرباحاً وتقوم بأداء مهامها الاجتماعية ومسؤوليتها، تنال ثقة المجتمع واحترامه، حيث إن

المستهلكين يفضلون شراء المنتجات المصنوعة من المؤسسات التي يثقون بها ويحبونها، ونتيجة لذلك ستزيد مبيعات تلك المؤسسات وأرباحها في المقابل.

أنا لست سيدة أعمال، أو مديرة تنفيذية متخصصة، ولكن مع ذلك يسألني الناس أحياناً حول فلسفتي في الإدارة. وكلما يوجه هذا السؤال إلي، أراجع الفترات الماضية وأستدعي قناعاتي. في الحقيقة ليست لدي أي فلسفة خاصة في الإدارة. لقد بذلت قصارى جهدي على أساس رؤيتي. وأعلم أن الرؤى تتحقق فقط عندما يحدث تناغم متوازن بين المثالية والحقائق، إلى جانب القناعات. إن رؤيتي هي إدارة قيم المصلحة العامة وتحقيقها، وكل ذلك يتعلق بمحبة البشرية جمعاء، ويمتد بالتوازي مع الحس الروحي بتقديم الخير لكل إنسان.

التخلي عن المصلحة الصغيرة من أجل الهدف العظيم

هناك منظمة تدعى "Medicines global" تقدم الأدوية إلى سكان المناطق المنعزلة التي لا توجه بها مستشفيات أو صيدليات في كل أرجاء العالم، حيث يزور المسافرون المغامرون المشاركون في هذه المنظمة بلداناً مثل فيتنام ولاغوس وكامبوديا ونيبال، بالإضافة إلى التبت، سيراً على الأقدام، أو بواسطة دراجات، لتوصيل الأدوية إلى سكانها ومساعدتهم.

في عام ٢٠١٠، قتل عشرة متطوعين ينتمون إلى منظمة "أطباء بلا حدود" بواسطة حركة طالبان في أفغانستان، في أثناء مساعدتهم للسكان هناك. ورغم ذلك، أعلنت تلك المنظمة أنها ستواصل خدماتها الطبية في أفغانستان، وقد توجه العديد من الأطباء إلى ذلك البلد الذي قد يشهدون وفاتهم فيه في أي وقت!

هؤلاء الأطباء الذين يتخلون بصورة طوعية عن حياة مريحة ومستقرة في بلدانهم، ويرحلون إلى تلك الأراضي البعيدة والمنعزلة، يجعلوننا نتساءل عن الذي خطر ببالهم ودفعهم لفعل ذلك. لا بد أن ذلك تم بمحبة ودون تمييز بين البشر، وبحماس نحو الروح الخيرية؛ لأن لديهم بذوراً جميلة مزروعة في قلوبهم تتجاوز

الحواجز الموجودة في الواقع الذي نواجهه، ومن ثم تمسك أيديهم الآخريين باعتبارنا بشرًا متساوين. إن القصص التي تدور حول التفاني والإيثار، تؤثر إيجابياً في قلوبنا لأن لدينا البذور نفسها المغروسة في قلوبنا أيضاً. في هذا السياق، لا أجد أي شيء أجمل من محبة الناس بعضهم بعضاً. وبهذا المعنى، تبدو مهنتي باعتباري طبيبة أفضل مهنة لكي أهدي نفسي ومحبتي للآخرين.

من بين المؤسسات التابعة لـ"غاتشون غيل"، مستشفياتان تأسسا في مناطق متخلفة من ناحية البنية التحتية الطبية، وهما "مستشفى يانغ بيونغ غيل" بمنطقة "يانغ بيونغ"، و"مستشفى تشيول وون غيل" في منطقة "تشول وون". وإذا ضمنا إليهما "مستشفى بيكر يونغ - دو غيل" في جزيرة "بيكر يونغ - دو" الذي انتهت إدارته عام ٢٠٠٢، ستكون ثلاثة مستشفيات تابعة لـ"غاتشون غيل" في مناطق متخلفة من الناحية الطبية. لقد قدمت خدمات طبية في القرى الخالية من الأطباء منذ تخرجي من الجامعة وارتداء معطف الأطباء لأول مرة، ولذلك كنت أدرك تماماً الظروف الصعبة التي يعاني منها السكان في القرى الخالية من الأطباء. ولهذا السبب، وضعت في قائمة أعمالني بنداً ينص على "تأسيس سفينة طبية من أجل سكان الجزر المنعزلة"، عندما كنت أخطط لفتح "مستشفى غيل" في منطقة شرق "إنتشون" في عام ١٩٧٨.



مستشفيان تأسسا في مناطق متخلفة من ناحية البنية التحتية الطبية، وهما "مستشفى يانغ بيونغ
غيل" على اليمين، و"مستشفى تشيول وون غيل" على اليسار.

لقد تمت إدارة "مستشفى يانغ بيونغ غيل"، و"مستشفى تشيول وون غيل"، تلبية للتوسل المستمر من سكان القريتين. أما بالنسبة لجزيرة "بيكريونغ - دو" التي كانت خلفية للقصة الكورية الكلاسيكية المشهورة بعنوان "شيم تشونغ جون"، فقد توقع حدوث عجز منذ البداية، بسبب قلة عدد سكانها. وعلى الرغم من ذلك، بدأت تقديم الخدمات الطبية في هذه المنطقة على مستوى تطوعي من أجل سكان الجزيرة. ولأن حجم العجز ظل يتراكم باستمرار، اتضحت لي الحدود التي أواجهها في إدارة هذا المستشفى في مثل تلك المنطقة محدودة الخدمات بشكل واضح. ونتيجة للمعارضة الشديدة التي واجهني بها طاقم المستشفى، اضطررت إلى التوقف عن إدارة "مستشفى غيل" في جزيرة "بيكريونغ - دو". لقد تخليت عن إدارة المستشفى بعد مرور ٦ سنوات نتيجة للخسائر الضخمة، وسلمت إدارته إلى إدارة مقاطعة كيونغ كي. وظل ذلك القرار يؤلم قلبي.

على مدار الـ ٢٠ عامًا الماضية، اضطررت لتحمل عجز مالي يتراوح بين ٤٠٠ ألف و ٥٠٠ ألف دولار سنويًا دون استثناء في إدارة المستشفيات الواقعة في المناطق المتخلفة من الناحية الطبية. ربما يبدو ذلك أمرًا جنونيًا في عيون الناس، خاصة أنه حتى الحكومة والمستشفيات كبيرة الحجم أحجمت عن تلك المحاولة. لكن القليل جدًا من الناس هم الذين يمكن أن يفهموا كم هي عظيمة تلك الهدية التي تلقيتها في مقابل تشغيل مستشفيات في مثل تلك القرى المتخلفة من الناحية الطبية. ولم تكن تلك الهدية سوى تغيير عقلية الطاقم الطبي الذي يعمل معي.

في بداية الأمر، كان الأطباء يترددون في الانتقال والعمل في هذه المستشفيات، لكنني لاحظت وجود تغيرات في تصرفاتهم عندما رجعوا منها. وكان سرورًا كبيرًا بالنسبة لي أن ألاحظ التغيرات في تصرفات الأطباء خاصة فيما يتعلق بمعاملة المرضى. حيث شهد هؤلاء الأطباء أوضاعًا بائسة في تلك المناطق المتخلفة من الناحية الطبية، والصعوبات التي يواجهها السكان، وبالتالي أصبح الأطباء رحماء ولطفاء أكثر تجاه المرضى. خاصة كانوا معجبين بالسكان الذين يعبرون عن

شكرهم الكبير للأطباء الذين جاؤوا لتقديم خدمات طبية لهم. وفي أثناء التجربة، أدركوا أن عمل الطبيب ليس مجرد مهنة عادية، بل هو نوع من الخدمة التطوعية. هكذا أثرت القلوب البريئة والنقية لدى سكان تلك المناطق بشكل كبير في قلوب الأطباء. وكذلك ساعد سكان تلك المناطق هؤلاء الأطباء على إعادة تذكر الرحمة تجاه جميع البشر؛ تلك التي كانوا قد فقدوها ونسوها خلال سنوات عملهم في المدن. إن مهنة الطبيب هي نوع من العمل الذي لا يمكن أن يبقى بعيداً عن الجوانب الإنسانية. لقد علمت تلك التجربة هؤلاء الأطباء أنهم رفاق رويون للبشرية. كان توأماً من القلب إلى القلب، بين الأطباء والمرضى.

أبقراط إلى الأبد

إن الطب هو فن خيري. وبالنسبة للمستشفيات، فإن المرضى هم بمثابة ضيوف بلا شك، لكن بالنسبة لمقدمي الخدمات الطبية، فإن المرضى هم أكثر من ضيوف، بل إنهم في المكانة التي تسمى بـ"موضع الخدمة". هذه هي روح أبو الطب الفاضل "أبقراط"، وروح الممرضة "فلورنس نايتينجيل"، التي يقسم عليها جميع مقدمي الخدمات الطبية قبل انطلاقهم لممارسة الطب في المجتمع. كان سبب قيامي بالرحلات إلى القرى الخالية من الأطباء كلما واتتني الفرصة في أثناء جدولي الضيق والمشغول منذ الفترات الأولى من عملي باعتباري طبيبة، يرجع إلى أن قسم أبقراط لم يكن مجرد مجموعة من المتطلبات الضرورية التي يجب علي أن أتجاوزها في عملي باعتباري طبيبة.

أقسم على أنني: "سوف أستخدم معرفتي الطبية في صالح صحة الناس، وأن صحتهم وحياتهم هي أولوية بالنسبة لي. وسوف ألتزم بمهامي من أجل مصالح المرضى دون التأثير بأي ضغوط سياسية، أو بأي عوامل مثل مكانتهم الاجتماعية، أو ديانتهم، أو جنسيتهم، أو أصولهم العرقية. وسوف أخدم المرضى بأعلى احترام منذ لحظة تكونهم كبشر. وسوف أحافظ على هذه الثقة المقدسة بعيداً عن أي خطأ أو فساد أو إغراء".

لقد بذلت قصارى جهدي دائماً لأعيش بناء على قسم أبقراط، وفي الحقيقة، كنت سعيدة لأنني استطعت العيش على أساسه. كنت سعيدة عندما وضعت سياسة "عدم دفع مبلغ تأمين مسبقاً" للمرضى في حالات الطوارئ، ومن ثم فقد حصلوا على فرص لإجراء عمليات جراحية دون قلق من تسديد جزء من الفاتورة مسبقاً، كما كنت سعيدة لأنني كنت قادرة على بناء مراكز طبية من أجل سكان القرى التي لا يوجد فيها أطباء. وكنت ممتنة لأنني طبيبة، حيث أستطيع أن أعالج المرضى الذين قالوا إنهم يتمنون تلقي حتى ولو حقنة واحدة قبل وفاتهم، ولكن لم يكن الدافع وراء عيش حياة الخدمة الخيرية أي إحساس بالمسؤولية أو الطموح.

خدمة الآخرين كانت مصدر سرور وتعويضاً ذاتياً بالنسبة لي. أظن أنني محظوظة للغاية للحصول على الفرصة والقدرة لتكريس نفسي لخدمة الآخرين. هذا هو السبب وراء بذل جهودي من أجل تطوير الكوادر الماهرة ورعايتها؛ لأنك لن تستطيع مساعدة الآخرين إذا لم تكن مدرباً وقادراً، مهما كنت راغباً في خدمة الآخرين ومساعدتهم.

وإذا استطعت غرس رؤيتي في قلب أي شخص، فسوف تتضاعف تدريجياً في قلوب شخصين أو ثلاثة أو أكثر، ومن ثم أعتقد أننا سنرى أنفسنا يوماً ما ونحن نعيش في بلد مليء بالأطباء الحقيقيين على هذه الأرض.



مشروع التشخيص المجاني لسرطان الرحم الذي استمر لمدة ٤٠ سنة

إن "مؤسسة غاتشون غيل"، وهي مؤسسة متخصصة في خدمات المصلحة العامة، وبالإضافة إلى "مستشفى غيل"، و"جامعة غاتشون" لديها الكثير من الفروع التي تعمل في مجال الإعلام والبرامج الثقافية، مثل "مؤسسة غاتشون الثقافية"، وصحيفة "كيونغ إين" اليومية، و"مركز غاتشون لتطوير القوى البشرية". وهناك عدد من المنظمات الخيرية غير الربحية التابعة لـ"غاتشون غيل" مثل "توفير حياة جديدة"، و"هيئة الخدمة الخيرية للشباب" التابعة لـ"غاتشون ميتشو هول".

حاليًا لا يوجد إلا القليل فقط من الناس الذين لا يدركون خطورة السرطان، لكن إذا عدنا إلى أعوام الستينيات، سنجد أن أغلب المواطنين لم يسمعو حتى اسم ذلك المرض. وفوق ذلك، فإن أغلب أنواع السرطان لا تظهر أي إشارات أو أعراض في المراحل البدائية، ولذلك يزور أغلب المصابين بأمراض السرطان المستشفيات في المراحل المتأخرة، حيث لا يستطيع أي علاج إنقاذ حياتهم. وقد توفي عدد منهم لأنهم لم يتلقوا المساعدة الطبية المناسبة، أو لم يستطيعوا تحمل التكاليف اللازمة للعلاج، وذلك مع أنه كان من الممكن إنقاذ حياتهم إذا اكتشفوا المرض وتلقوا العلاج مبكرًا.

في عام ١٩٦٨، عندما فتحت "مركز لي غيل يو الطبي للنساء والتوليد"، نفذت مشروع "عدم دفع مبلغ تأمين مسبقاً"، وبالتزامن معه نفذت بطموح مشروعاً آخر هو التشخيص المجاني لسرطان الرحم. ففي كوريا في الماضي، لقي الكثير من النساء مصرعهن في أثناء الولادة خلال ظروف غير صحية. بينما قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم خدمات التشخيص الخاص بسرطان الرحم للنساء بهدف الكشف المبكر عنه منذ مطلع الستينيات. فهناك كان من اللازم أن تقوم النساء اللاتي يزرن عيادات النساء والولادة، بالتشخيص الخاص بسرطان الرحم. وفي أثناء ملاحظة ذلك في الولايات المتحدة الأمريكية، قررت تقديم خدمة التشخيص الخاص بسرطان الرحم، عندما أعود إلى كوريا.

في البداية، لم تصدق المريضات كلامي عندما كنت أقول لهن إن التشخيص بالمجان. ربما كن يتشككن في أنه حتى ولو كان مجاناً في البداية، فإنني قد أفرض عليهن رسوماً بعد انتهاء التشخيص. فوق ذلك كان هناك بعض من اللاتي يتشككن في أنهن قد يصبن بمرض لم يكن موجوداً لديهن، بسبب تعرضهن لبرنامج التشخيص المجاني. وفي نهاية المطاف، اضطررت إلى الترويج لبرنامج التشخيص المجاني بواسطة لافتة كبيرة معلقة داخل وخارج المستشفى، تقول "تشخيص سرطان الرحم بالمجان"، مثلما فعلت عندما روجت لسياسة "عدم دفع مبلغ تأمين مسبقاً". ولحسن الحظ بعد مرور الوقت، بدأ الناس يفهمون هدفي الحقيقي من التشخيص المبكر الخاص بسرطان الرحم، واستقر المشروع تدريجياً.

خلال فترة الثمانينيات، قمت بإنشاء مركز الفحص المبكر لسرطان الرحم داخل "مستشفى غيل"، وبالتالي قدمت خدمات التشخيص المجاني للنساء. كان يوجد في ذلك الوقت اثنان فقط من المستشفيات القادرة على إجراء تشخيص سرطان الرحم في كوريا، وهما "مستشفى جامعة كوريو" و"مستشفى جامعة سيؤول الوطنية". ومع تمنياتي في الحصول على طاقم طبي أكثر مهارة، أرسلت

الشرائح الخاصة بالتشخيص المبكر للمرض إلى هذين المستشفيين. ووظفت الذين أبدوا أفضل مستوى في التشخيص، ثم بدأت في تنفيذ برنامج التشخيص المجاني الخاص بسرطان الرحم. وأصبح هذا البرنامج ناجحًا، حيث تدفق الآلاف من النساء لإجراء التشخيص المجاني.

وبلغت نسبة النساء اللاتي اكتشفن وجود مشاكل لديهن وتلقين العلاج المناسب من بين إجمالي عدد النساء اللاتي أجريين التشخيص المبكر الخاص بسرطان الرحم، نحو ٣٠ بالمئة. وتم إنقاذ حياة عدد من الناس بفضل الكشف عن السرطان في المراحل المبكرة عبر ذلك البرنامج.

يمكن أن أقول إن عشرات الآلاف من النساء قد استفدن من برنامج التشخيص المجاني الخاص بسرطان الرحم. وبفضل هذا النجاح، استطعت توسيع برنامج التشخيص المجاني لسرطان الرحم حتى شمل الأمراض المتعلقة بالقلب والأوعية الدموية.

ديوني

كانت رئيسة نادي النساء الساكنات في جزيرة "يونغ جونغ - دو"، إحدى النساء اللاتي زرن المستشفى بصورة منتظمة في أثناء إدارتي لـ "مركز لي غيل يو الطبي للنساء والتوليد". ويومًا ما، زارتنني واقترحت علي شراء بعض الأراضي في جزيرة "يونغ جونغ - دو". قالت لي: "يا دكتور، لقد سمعت خبرًا حول تشغيل عربة الكابل في جزيرة "يونغ جونغ - دو" في المستقبل القريب. فماذا يعني ذلك غير أنه سيتم تطوير جزيرة "يونغ جونغ - دو" لتصبح مكانًا سياحيًا؟ حاليًا يسعى رئيس مجموعة "تشاببول" -وهي شركة كبرى- لشراء جميع الأراضي الموجودة في جزيرة "يونغ جونغ - دو" قدر الإمكان. وقبل بدء ارتفاع أسعار الأراضي، عليك شراء بعض منها، ومؤكد أنه سيرتفع سعرها بعد ذلك، وبالتالي سيكون شراءك لها

الآن مثل الفوز بالجائزة الكبرى دون أي مجهود".

عندما أجريت حساباتي بصورة عامة، اتضح لي أن الأموال التي كانت عندي في ذلك الوقت كافية لشراء بعض الأراضي في جزيرة "يونغ جونغ - دو". كان ذلك في فترة السبعينيات التي كانت خلالها الاستثمارات في العقارات رائجة للغاية وسط ما يسمى بموجة "سيدات العقارات" في كل أرجاء البلاد. وإذا كنت أهتم بالاستثمار في العقارات وجمع الثروات، كنت اشترت بعض الأراضي وحققت أرباحًا منها، لكنني رفضت ذلك الاقتراح.

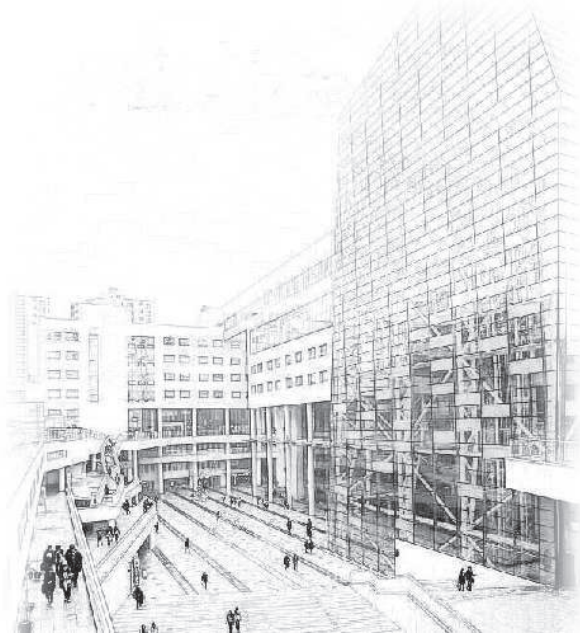
وفي يوم ما، كان عندي لقاء مع بعض الصديقات، وعندما جاءت إحدى صديقاتي وهي تضع خاتمًا من الألماس في أحد أصابعها. وتحلق الجميع حولها، وحاولن تجربة ارتداء الخاتم، وصرخن إعجابًا بهذا الحجر الكريم المتألق. بالنسبة لي كامرأة، أعجبت بالحجر وبريقه المشع. وعرفت أن ثمن ذلك الخاتم كان نحو ٣٠ ألف دولار. وعندما سمعت ذلك، كانت أول فكرة خطرت في بالي هي: "بهذا المبلغ أستطيع شراء آلة أخرى للتشخيص بالموجات فوق الصوتية!".

يرى البعض أنني سيدة ذات ثروة على أساس المقاييس الدنيوية، لكن ما أملكه ليس ثروتي الشخصية، بل إن كل ما أملكه هو ثروات عامة. إذا كنت أبتغي مجرد تحقيق الأرباح، فلربما استطعت جمع الكثير من الأموال. كانت لدي فرص متوفرة ومتاحة لجمع الأموال، كما أنني كنت محظوظة في عملي. لكن جمع الأموال لم يكن هدف حياتي على الإطلاق. ولهذا السبب، تبرعت بجميع ممتلكاتي لإنشاء مؤسسة للمصلحة العامة عندما أسست ودمجت "مؤسسة غيل" الطبية و"جامعة غاتشون". وهذا هو سبب عدم وجود أي ثروة شخصية لدي.

توفر المال أمر جيد. فليس أمرًا سيئًا أن نسعى لتحقيق الربح والعناية بالمال بدلًا من احتقاره أو إهماله. لكن المال يكون جيدًا عندما نربحه بالطرق الصالحة فقط. وهناك مثل يقول "اجمع المال مثل الكلب، ثم أنفقه مثل الملك". والمعنى الحقيقي لهذا المثل هو عدم تحقيق الربح بغض النظر عن الوسائل والطرق المشروعة، بل بذل قصارى الجهد لتحقيق الربح دون تمييز فيما بين الوظائف

الجيدة والوظائف السيئة. وفيما يتعلق بالمال، فإن إنفاقه مهم مثلما هي طريقة جمعه. وقد كانت مؤسستي نتيجة بذل مجهودات عدد من الناس والبنية التحتية التي أتاحها لي المجتمع. المال لا ينتمي إلي، بل إنني مؤتمنة عليه فقط بصورة مؤقتة. المال بطبيعته يعتبر من الأصول أو المنافع العامة.

لذلك يجب علينا إنفاقه بصورة مفيدة مع تحمل المسؤولية، وإن إنفاق المال بالنسبة لي يعني إعادته إلى الدنيا. أظن أنه يكفي إذا كان لديك مال يمكنك به أن تطعم نفسك وعائلتك ومساعدتها على العيش بكرامة. أما ما زاد عن ذلك، فهو نوع من الديون التي يجب عليك تسديدها لغيرك من بني الإنسان. وإنني أود أن أسدد هذه الديون بطريقة تسهم في تقدم الخدمات الطبية في كوريا، وتربية القوى العاملة الموهوبة الماهرة، وتطوير المدارس والمعاهد التعليمية.



٧. الإنسان قبل كل شيء

مشروع المساعدة الطبية الخاص لجزيرة "يون بيونغ - دو"

في شهر نوفمبر من عام ٢٠١٠، أطلقت كوريا الشمالية قذائف على القواعد العسكرية الواقعة في جزيرة "يون بيونغ - دو" والمناطق السكنية هناك، مما أدى إلى صدمة هائلة للناس في كوريا الجنوبية بأسرها. خاصة السكان الذين كانوا مقيمين في تلك الجزيرة آنذاك، فقد أصيبوا بصدمات تفوق التصور. وكنت أنا أيضاً ضمن أولئك المواطنين الكوريين، حيث غضبت من هذا الاعتداء الصارخ على الجزيرة. وقبل كل شيء، شعرت بحزن شديد للخسائر الروحية التي لحقت بسكان تلك الجزيرة التي عشت فيها لفترة. وبالتالي لم أستطع مجرد الجلوس ومشاهدة نشرات الأخبار.

شعرت بأنه يتوجب عليّ مد يدي لمساعدتهم باستخدام أي شيء يمكنني القيام به. وفور سماعي لتلك الأخبار في ذلك اليوم الذي قصفت فيه كوريا الشمالية الجزيرة، أرسلت فريق المساعدة الطبية للطوارئ، المكون من اثنين من الأطباء وواحد متخصص في حالات الإغاثة الطارئة من أجل مساعدة الناس هناك. كما قدمت مساعدات طبية للسكان الذين فروا من موقع الكارثة.

لقد شعر السكان الذين تمكنوا من الفرار والنجاة من الجزيرة بالرعب وهم يتذكرون أحداث الليلة السابقة الفظيعة. قال بعضهم "إن نحو مئة منهم كانوا يرتجفون خوفاً في ضوء الشموع بسبب انقطاع الكهرباء حتى في الملاجئ، وسط الظلام والبرد". كما قال بعض آخر، وهم يذرفون الدموع: "لن نعود إليها. كيف نعيش فيها؟". لقد أصيب بعضهم بتمزقات في طبلة الأذن بسبب دوي انفجارات القذائف. وقد قدم الدكتور "لي تشانغ يول"، المتخصص في طب الطوارئ في "مستشفى جامعة غاتشون"، المساعدة في نقل وعلاج نحو ١٠ مرضى من الذين أصيبوا بشظايا القذائف، أو تمزقات في طبلة الأذن.

لقد تمكنا من تقديم علاج طارئ لبعض المرضى الذين كانوا يحتاجون إلى المساعدة الطبية العاجلة، لكنني كنت قلقة بشأن الصدمات النفسية المفاجئة التي لا بد أن سكان الجزيرة قد عانوا منها. ثم عرفت أن النازحين القادمين من الجزيرة كانوا يقيمون بصورة مؤقتة في المنتجع الصحي والحمام العام الواقع في منطقة "جونغ - غو"، في مدينة "إنتشون". وعرف فريقنا الطبي موقع المنتجع وزاروا ذلك المكان لتقديم مساعدات طبية فورية. لقد قدمنا أجهزة محمولة لمراقبة ضغط الدم للأشخاص الذين يشتبه في إصابتهم بارتفاع في ضغط الدم أو اضطرابات في القلب والأوعية الدموية، وتعهدنا بتقديم المزيد من الأجهزة حسب الحاجة. وفي أثناء إنشاء مركز للمساعدات الطبية في الموقع، في زاوية المنتجع الصحي الذي تحول فجأة إلى ملاذ من أجل النازحين، قمت بتنظيم فريق الطاقم الطبي المتخصص في الصدمات، والتهاب الملتحمة البؤائي ومختلف أنواع الأمراض المتعلقة بالأذن، في ذلك المكان الضيق والمزدحم بالكثير من الناس.

بعد مرور ستة أشهر على قصف الجزيرة، وفي مطلع شهر أبريل من عام ٢٠١١، بعثت فريقاً للخدمة الطبية إلى المركز الطبي الذي تتم إدارته بواسطة الحكومة في جزيرة "يون بيونغ - دو"، للتعرف على ما إذا كان سكان الجزيرة قد عادوا إلى حياتهم اليومية العادية وإذا كانوا يحتاجون إلى أي مساعدة طبية إضافية.



المساعدة الطبية الخاصة لجزيرة "يون بيونغ - دو"، أبريل، ٢٠١١

نتيجة للفحص الطبي للسكان لمدة يومين، تبين أن البعض منهم ظل يعاني من صدمة ما بعد انفجارات القذائف. ومن بين مئة من سكان الجزيرة الذين زاروا المركز الطبي، كان هناك ٣٧ شخصًا يعانون من القلق والأرق، ويطلبون علاجًا نفسيًا. ونتيجة لفحص إضافي، اتضح أن ١٣ من بين هؤلاء الـ ٣٧، كانوا بحاجة إلى علاج نفسي إضافي. لقد قال أحد السكان لنا: " تلقيت بعض العلاج النفسي في أثناء إقامتي خارج الجزيرة، وظننت أن الوضع قد تحسن. لكن عندما رجعت إلى الجزيرة وشاهدت المنازل التي احترقت نتيجة للقذائف، شعرت وكأن الكابوس المظلم الذي شهدناه آنذاك قد عاد مجددًا". وقال ساكن آخر إنه قد دخل المستشفى للعلاج بسبب الصدمة التي تعرض لها بالإضافة إلى الإجهاد والجرح الخارجي بجسمه، وأضاف: "شعرت بأن الوضع قد تحسن إلى حد كبير في أثناء وجودي في المستشفى، ولكن حين رجعت إلى الجزيرة، عاد القلق والاضطراب إلي مجددًا".

**

عندما تتعرض لحادث مادي أو نفسي، مثل الكوارث الطبيعية، أو حوادث المرور، أو العنف البدني، سواء جربت ذلك بنفسك أو كمشاهد، فقد تظهر عليك بعض الأعراض مثل عدم القدرة على النوم، أو الشعور بالقلق، أو رؤية كوابيس متكررة، أو حساسية عصبية، أو الغضب. ويعاني بعض الناس أيضاً صعوبة في التركيز، وتسمى مثل هذه الأعراض باضطرابات الإجهاد الحاد (ASD). وعندما تستمر هذه الأعراض حتى بعد مرور شهر واحد، يصبح الوضع ما يسمى باضطرابات الإجهاد التالية للصدمة (PTSD).

وقد تؤدي اضطرابات الإجهاد التالية للصدمة (PTSD) إلى حدوث ارتباك كبير في أنشطة الحياة اليومية إذا لم يتلق المريض العلاج المناسب، حيث يعاني نحو ١٠ بالمئة من المرضى المصابين بهذه الأعراض من عدم القدرة على ممارسة الحياة العادية. وهناك عدد من طرق العلاج التي يتم تحديدها بناء على فحص الطبيب المتخصص، بما فيها العلاج النفسي، والعلاج السلوكي المعرفي، والعلاج الجماعي، وعلاج التعريض. لكن أهم شيء في ذلك هو إتاحة الفرصة للمرضى للتحدث عن تلك التجربة الأليمة التي مروا بها، حيث إن القلق ينخفض إلى حد كبير عندما يتحدث المريض عن تلك التجربة للآخرين.

وقد حاول فريقنا الطبي شرح كل هذه الأمور الطبية والعلاجية للسكان، مع بذل قصارى جهدنا من أجل مساعدتهم. لقد أردنا مساعدة الذين كانوا يعانون من الألم واليأس، للعثور على أمل حتى ولو كان بسيطاً. إن أقصى سعادة بالنسبة لنا كانت نجاح مساعدتنا في جعلهم يشعرون بأنهم ليسوا وحدهم، وأن العالم بجانبهم ويرغب في مساعدتهم. فالإنسان يعيش على الأمل. وبمعنى ما، فإن دور الطبيب ما هو إلا العثور على الأمل وإعادةه إلى من يعانون من اليأس.

إنقاذ الحياة بأي ثمن

لا أرى أو أعالج المرضى بنفسى الآن، لكن كلما كان عندي وقت لا أزال أقوم بجولة في المستشفى وأنظر حوله. في أثناء جولتي، أحياناً ألتقي بالمرضى أو المرافقين الذين يتعرفون علي ويأتون إلي للتحية. ولا أنذكر جميع المرضى ووجوههم، لكنهم يعرفونني ويقتربون مني أولاً:

- "هل تذكريني يا دكتورة؟ لقد أنجبت طفلين في "مركز لي غيل يو الطبي للنساء والتوليد" قبل سنوات".
- "آه، فعلاً؟".

تلك السيدة التي جاءت إلي وتكلمت معي كان عمرها يتجاوز الستين فيما أظن: "كانت تلك الفترة عندما كنت أعيش في جزيرة "بيكريونج - دو". حيث كنت حاملاً بطفلي الثاني، ونزل ماء الولادة فجأة، مما اضطرني إلى الانتقال إلى مركزك الطبي على متن سفينة. واضطرت إلى إيقاظك، حيث قمت بتوليدي. لم يكن عندي حتى مبلغ التأمين آنذاك، لكنك أنقذت حياتين: حياتي وحياة طفلي. وقد مر أكثر من ٣٠ عامًا على ذلك اليوم".

كلما اقتربت مني امرأة مثل هذه، شعرت كأنني ألتقي بصديقة قديمة. أمسك يدها وتبادل التحيات، ونثر معًا. إن بعض الأمهات اللاتي زرن مركزنا الطبي وأنجن هناك قبل ٥٠ عامًا، الآن يزرن مركزنا الطبي مع بناتهن أو زوجات أبنائهن، مما يجعل مركزنا الطبي مكانًا يخدم ثلاثة أجيال من النساء.

وفي أحد الأيام في فترة الستينيات، وبعد مرور بضعة أيام فقط على عودتي من الولايات المتحدة الأمريكية وافتتاح "مركز لي غيل يو" المتخصص في أمراض النساء والولادة، جاءت مريضة ذات حالة طارئة من جزيرة "بيكريونج - دو". لقد أخذت يومًا كاملًا للانتقال من الجزيرة إلى مركزنا الطبي بعد أن تعرضت لإجهاض طبيعي في الجزيرة، وقد ظلت تنزف طوال رحلتها.

**

تقع جزيرة "بيكريونغ - دو" على بعد ٢٢٠ كيلومتراً من مدينة "إنتشون"، ولم يكن يوجد أي مستشفى في تلك الجزيرة، ولذلك إذا كانت هناك حالة طارئة مثل حالتها، فقد تكون مسألة حياة أو موت. وعندما وصلت أخيراً إلى المستشفى في تلك الحالة الخطيرة، وفور رؤيتها لي، أخرجت لفة من المال المجدد من ملابسها، ثم قالت: "ليس معي ما يكفي من المال... فهل يمكن أن تأخذي هذه فقط الآن...".

كانت المستشفيات في ذلك الوقت، تتسلم مبلغ التأمين الخاص بدخول المستشفى لحظة دخول المريض؛ لأنه كان هناك الكثير من المرضى الفقراء الذين يدخلون المستشفيات ويتلقون العلاج بصورة طارئة، ثم يتسللون إلى خارج المستشفى تحت جناح الظلام، دون أن يدفعوا ثمن العلاج. ولم يكن هناك نظام للتأمين الصحي في كوريا آنذاك، وبالتالي فرضت المستشفيات نظام دفع التأمين المسبق. وقد يبدو ذلك نظاماً قاسياً بلا رحمة، لكنه كان ضرورياً لبقاء عمل المستشفيات. وبموجب ذلك، كانت أغلب المستشفيات في تلك الفترة ترفض دخول أي مريض دون دفع مبلغ التأمين، مهما كانت حالته تحتاج إلى علاج طارئ.

بالنسبة لتلك السيدة القادمة من جزيرة "بيكريونغ - دو"، فقد قمت فوراً بنقل الدم لها وأنقذت حياتها وحياة المولود بكل الوسائل الممكنة. لحسن الحظ، استطاعت تلك السيدة الأم العودة إلى تلك الجزيرة بحالة جيدة بعد مرور بضعة أيام. وخلال فترة طويلة بعد خروجها من المستشفى، لم أستطع نسيان لفة الأوراق النقدية المجددة التي قدمتها لي. يجب ألا يستبعد أي شخص من العلاج الطبي بسبب نقص المال؛ لأن هذا العمل وحشي. إذا لم تستطع الحكومة ذلك، فيجب علي مساعدتهم. من غير المعقول أن يرفض الطبيب علاج المرضى لأنهم فقراء. كان أجدادنا يؤكدون أن الإنسان هو الأولوية قبل المال. لم أكن أريد أن أعارض تلك الحقيقة التي ينطوي عليها ذلك المثل القديم.

بعد تأمل دقيق، وضعت لافتة تقول: "لا نطلب دفع أي تأمين" وعلقتها داخل المستشفى وخارجه، لكن المرضى لم يثقوا في ذلك، كما تحدث الأطباء الزملاء الآخرون بسخرية قائلين إن ذلك سيؤدي إلى إغلاق المستشفى. ولكن بصورة

تدرجية، صار المزيد من الناس يعرفون أن ذلك كان صحيحًا، وأن هذا المركز الطبي لا يطلب دفع مبلغ من المال كتأمين، وبالتالي جاء المزيد والمزيد من المرضى إلى مركزنا الطبي. وطبعًا كما توقع العديد من الناس، كان هناك بعض المرضى الذين تسللوا خارجين من المستشفى دون دفع أي رسوم، لكن العدد المتزايد من المرضى الذين جاؤوا إلى مركزنا الطبي أدى إلى إحداث توازن في تلك الخسائر بسهولة.

يومًا ما، جاءت سيدة حامل إلى مركزنا الطبي ومعها أمها. وكانت تشكو من ألم في أسفل البطن. وقد أوضحت نتيجة الفحص أنها كانت في حالة حمل خارج الرحم: "عليك إجراء عملية جراحية فورًا". كانت حالتها خطيرة بسبب عدم توقف النزيف الداخلي. طلبت من الممرضات الإعداد للعملية الجراحية، وعندما نظرت إلى المريضة وجدت أن أمها تقوم بإنزالها من على السرير.

- "عذرًا، ماذا تفعلين؟"

- "سأخذها إلى المنزل."

- "ماذا تقولين؟ قد تفقد حياتها إذا لم تجرِ العملية الجراحية فورًا."

- "لكن ليس لدينا نقود."

- "لا تقلقي من ذلك. لا نطلب منك دفع مبلغ للتأمين في هذا المستشفى."

- "لكنك ستطلبين منا دفع الرسوم بعد انتهاء العملية الجراحية، أليس كذلك؟ ونحن ليس لدينا نقود."

- "يجب إنقاذ حياتها أولاً. يمكنك تسديد المبلغ لاحقًا عندما تستطيعين. تفضلي أيتها المريضة إلى هذا الطريق!"

**

إن إلغاء دفع مبلغ التأمين المطلوب لا يعني أن المرضى الفقراء قد تغلبوا على كل مشكلاتهم. ومنذ رؤية هذه المريضة، تعودت على إجراء ملاحظة دقيقة حول

المظهر الخارجي للمرضى الذين يأتون للعيادة من أجل الفحص. وإذا وجدت أن المريض فقير، أضع علامة "X" على أعلى سجل المريض الطبي دون أن يعرف المريض. تشير هذه العلامة إلى توجيهي إلى طاقم المحاسبة بالسماح للمرضى بمنح خصم كبير أو عدم تلقي رسوم زيارتهم إلى المستشفى. في أحد الأيام قبيل العيد الوطني الكبير، جاءت سيدة مسنة إلى عيادة الفحص مع سلة مليئة بالشمام الأصفر. كنت غير متأكدة من سبب زيارتها لي، وكانت هي مترددة في توضيح سبب الزيارة، ثم قالت: "لقد زرعت بنفسني هذا الشامم... فأنا لم أستطع دفع مقابل العملية الجراحية في المرة الماضية و...". ثم تذكرت أنها كانت أم السيدة الحامل التي كانت لديها حالة حمل خارج الرحم. لقد عبر الأشخاص الذين استفادوا من العلاج المجاني أو دخلوا المستشفى بأسعار مخفضة بهذه الطريقة عن تقديرهم وامتنانهم.

لقد جاء بعض الناس مع المال بعد مرور وقت طويل منذ خروجهم من المستشفى. لكن المزيد من المرضى جاؤوا مجددًا وأحضروا أرزًا قد زرعوه بأنفسهم، أو بعض الأسماك التي اصطادوها. وهكذا كان فناء المستشفى دائمًا مليئًا بسلال من المحاصيل الزراعية والخضروات والأسماك. وقد زارنا بعض المرضى بعد مرور سنوات ومعهم هدايا وبقية رسوم العلاج. كانوا يزوروننا مرة أخرى مع بناتهم أو بنات أولادهم حتى بعد مرور سنوات عديدة. طبعًا لم يحتاجوا إلى زيارة هذا المستشفى إذا أردوا مستشفى أفضل. وهؤلاء هم الذين جعلوا بالإمكان بقاء "مؤسسة غاتشون غيل" قائمة حاليًا.

السعادة الحقيقية هي الخدمة الخيرية

هذه الأيام، تحظى كلمة "المواصفات (specs)" بشعبية بين الشباب الصغار. فهي تشير إلى القوائم التي يحتاج إليها أي شخص يريد البقاء في هذا المجتمع الذي يشهد تنافسًا شرسًا، يوصف بالأرقام، وكأن الإنسان هو جهاز كمبيوتر يتم تقييم قدرته التنافسية على أساس كفاءة وحدة المعالجة المركزية (CPU)، أو

كفاءات الذاكرة والقرص الصلب وحجم الشاشة، لكنني أشك في أن تقييم مواصفات الأشخاص بهذه الطريقة يمكنها أن تصف جودة حياتهم وقدراتهم، وبدلاً من ذلك، أعتقد أنه يجب على الشباب الانتباه إلى ما وراء هذه المواصفات نحو رؤى أشمل وأكبر مما عليه الحال الآن.

في هذه الأيام، المدارس الإعدادية والثانوية لديها في نظام التقييم ما يدعى "نقاط الخدمة التطوعية". وعلى أساس هذا النظام، يجب على التلاميذ تخصيص بعض ساعات محددة للقيام بأنشطة الخدمة الاجتماعية، بحيث يتم تسجيل نتائج هذه الأنشطة في بطاقة تقريرهم المدرسي. وقد تم إلقاء اللوم على هذا النظام بسبب العديد من الحالات السخيفة التي يحل فيها الآباء والأمهات محل أولادهم في القيام بهذه الأنشطة الخيرية، أو بسبب المشاكل التي يثيرها التلاميذ أحياناً بدلاً من تقديم المساعدة في مختلف المواقع التي كان من المفترض أن يخدموا ويساعدوا فيها الآخرين.

كان ما أثار إعجابي في أثناء دراستي في كل من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان، أن مقدمي الخدمات الخيرية متحمسون في عملهم. ففي أمريكا يعمل مقدمو الخدمات المتطوعون في أغلب المستشفيات. ويضع المتطوع بطاقة في رقبته يتم فيها تسجيل الساعات التي عمل خلالها متطوعاً. كانت وجوههم دائماً تشرق بابتسامة كلما ساعدوا المرضى. بالنسبة لي، كانوا مثل ملائكة. أما في اليابان، فقد رأيت مقدمي الخدمات التطوعية وهم يرتدون مريلة المطبخ وينظفون الحدائق كل صباح في طريقي إلى العمل. ذلك النوع من المشاهد لم يكن ممكناً إلا بعد أن يكونوا قد تدربوا على أنشطة الخدمة التطوعية منذ الصغر، بحيث تصبح الخدمة العامة جزءاً طبيعياً من حياتهم.

ظللت أتساءل عما إذا كانت هناك أي طريقة يمكن من خلالها تعليم الشباب الصغار في كوريا اكتساب سعادة خدمة الآخرين منذ فترة مبكرة من أعمارهم. وبعد الكثير من التأمل، أسست في عام ١٩٩٢ "فريق غاتشون ميتشو هول للخدمة التطوعية للشباب الصغار". لقد آمنت بأن عالمهم المستقبلي سوف يكون أجمل من

الآن إلى حد كبير، إذا ذاق هؤلاء الشباب الصغار سعادة تقديم خدماتهم للآخرين منذ صغرهم. لقد تم تأسيس هذه الفريق ليكون منظمة تهدف إلى تعليم الخدمة العامة مبكرًا. وعندما كنت أخطط لتأسيس تلك المنظمة، زرت إدارة التربية والتعليم التابعة لمدينة "إنتشون"، وطلبت المساعدة: "أود إتاحة فرصة لقادة المستقبل من أجل تعلم روح الخدمة الحقيقية. كل ما خطر في بالي هو فريق الخدمة التطوعية المكون من رؤساء روابط التلاميذ في مرحلة الدراسة الابتدائية، لذلك جئت هنا لكي أطلب منكم المساعدة. ألا توافقون على أن قادة منطقة "إنتشون" يجب أن يكونوا ممثلين لكوريا، وأن بعض هؤلاء الأولاد الموجودين هنا اليوم سوف يصبحون قادة على مستوى العالم يومًا ما؟".

في شهر مايو من عام ١٩٩٣، تم تأسيس فريق تلاميذ غاتشون ميتشو هول للخدمة التطوعية بمشاركة ١١٣ تلميذًا، جميعهم رؤساء روابط التلاميذ في مدارسهم الابتدائية الواقعة في مدينة "إنتشون". أما اسم "ميتشو هول" فهو الاسم القديم لمدينة "إنتشون". كانت مهمة فريق الخدمة المكون من شباب صغار سيصبحون قادة في المستقبل، تهدف إلى تطوير القيادة في أثناء تقديم الخدمات التي ستعود لصالح المجتمع. لقد كان أعضاء الفريق يزورون عددًا من دور المسنين أو رياض الأطفال أو المنشآت الخاصة لذوي الهمم مرة واحدة أسبوعيًا، حيث اشتغلوا فيها باجتهاد لمساعدة أولئك الناس على أي شيء قدر الإمكان. مثلًا في دور المسنين، عملوا لهم تديكًا أو لعبوا مع الكبار، أو أدوا بعض الأعمال المنزلية لهم. أما في المنشآت الخاصة بذوي الهمم، فقد ساعدوهم على تناول الطعام، أو أخذوهم وخرجوا إلى الهواء الطلق بواسطة الكراسي المتحركة. من خلال هذه الأنشطة للخدمة التطوعية، عرف الأولاد أن هناك أشخاصًا في المجتمع يعيشون حياة مختلفة عنهم. ومع مرور الوقت، يدركون كيف كانت مساعدتهم البسيطة بمثابة تشجيع لحياة شخص آخر، ومن ثم يشعرون بالفخر بأنفسهم لأداء مثل هذا العمل القيم. هذه هي مرحلة تعليم الخدمة التطوعية.



فريق تلاميذ غاتشون ميتشو هول للخدمة التطوعية

إن القائد الحقيقي، في اعتقادي، ليس فقط هو المتفوق دراسياً، بل هو الذي يمتلك
محبة نحو جيرانه ويتمتع بروح الخدمة العامة. لذلك بدأت الإشراف على برنامج التدريب
الخارجي للأولاد ابتداء من عام ١٩٩٧، لكي يصبح الأولاد بموجب هذا البرنامج قادة عالميين.
كما نظمت دورات تدريبية شهرية لهم في المركز الخاص بتدريب طاقم "مستشفى غيل"،
وأيضاً ساعدتهم على تعزيز قوتهم البدنية، وحرص قوة الإرادة فيهم عبر مختلف برامج
التدريب المصممة لتحقيق الانضباط الذاتي.

ليس الأولاد فقط، بل إن الآباء والأمهات أيضاً عرفوا أهمية تعلم الخدمة العامة، كما شاركوا
في ورش العمل والمناقشات الخاصة بسبل تعليم الأولاد قيم تلك الخدمة. لقد تم تخطيط هذه
البرامج بهدف تغيير وعي الآباء والأمهات الذين كان بعضهم سلبيين حول البرامج، وتشككوا
في أن أولادهم يقضون أوقاتهم في أداء أشياء أكثر من دراسة المواد المدرسية. لقد كان هؤلاء
الآباء والأمهات يضطرون إلى إرسال أولادهم للقيام بأداء الخدمات التطوعية لأن إدارة التربية
والتعليم التابعة للمدينة كانت تفرض عليهم ذلك، لكنهم لم يكونوا مرتاحين. أما الآن، فقد تغير

هؤلاء الآباء والأمهات، حيث نظموا بأنفسهم أندية خاصة بأولياء الأمور لتبادل المعلومات المفيدة وتشاركها وتقوية الصداقة فيما بينهم.

لقد كبر أعضاء فريق الخدمة التطوعية -الذين شاركوا في البرامج عندما كانوا بالمرحلة الابتدائية- وأصبحوا طلابًا في المدارس الإعدادية والثانوية أو حتى في الجامعات. وتطورت الفرق أيضًا لتصبح نادي "هانوت هيو" ونادي "غاتشون هيو". وحتى الآن بلغ عدد الشباب الصغار الذين شاركوا في فريق غاتشون ميتشوهول للخدمة التطوعية نحو ٢٣٠٠. وحاليًا، أصبح كل واحد من أولئك الشباب الصغار عضوًا في المجتمع. لقد زارني أحدهم قبل مغادرته متوجهًا إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة في جامعة هارفارد، قائلاً: "من خلال أنشطة الخدمة التطوعية، أدركت كم أنا محظوظ بما أتمتع به من أشياء أكثر من الآخرين. كما تعلمت أنني قادر على أداء شيء كبير، وأدركت أن هناك عددًا من الناس في العالم يحتاجون إلى مساعدتي. إنني ممتن لك على إتاحة الفرصة لي لكي أنعلم تلك الدروس الثمينة".

خدمة الآخرين لن تكون ممكنة دون محبة حقيقة نحوهم. حب الآخرين في نهاية المطاف، هو أن تحب نفسك، وبالتالي هو بذرة ستتمو وتصبح حبك لعائلتك، ومجتمعك، ووطنك. هكذا اعتقدت ذلك دائمًا، وما زلت أعتقد أن الخدمة التطوعية هي أرض خصبة نزرع فيها روح المصالح العامة.

الوعد الذي قطعتة قبل ٢٠ عامًا

كان شهر فبراير عام ٢٠١٠، حين جاءت ممرضات للعمل في "مستشفى غيل" بعد التزامهن بتعهد "فلورنس نايتنجيل". كان هناك شيء لفت الانتباه بشأن الممرضات الجديديات، حيث إن أربعاً منهن كن في العمر نفسه، ويسكن في العنوان نفسه، ولديهن ملامح الوجه ذاتها! لقد كن أربعة توائم، وأسمأوهن هي: "هوانغ سيول"، و"هوانغ سل"، و"هوانغ ميل"، و"هوانغ سول". وقد نجحن كلهن في امتحان ترخيص الممرضات، وتوظفن باعتبارهن ممرضات جديديات في المستشفى الذي أديره. لقد ولدوا في المستشفى الذي أديره قبل ٢١ عامًا، أي في عام ١٩٨٩. كان أبوهن عامل منجم يدعى "هوانغ يون تشون"، من منطقة "سام تشوك" في شرق كوريا، وكانت أمهن "لي بونغ شيم" قد زارت عائلتها المقيمة في مدينة "إنتشون" لكي تلد هناك، لكن الماء نزل من رحمها قبل الموعد المتوقع، وهو ما استوجب نقلها إلى المستشفى الذي كان مجهزاً بحضانات.

كانت الساعة الثالثة صباحاً عندما سمعت هذا الخبر وجريت من المنزل إلى المستشفى، حيث قدت العملية بأكملها، بينما قام الدكتور رئيس قسم أمراض النساء والولادة بالعملية الجراحية الطارئة. ولحسن الحظ، كانت العملية القيصرية ناجحة، حيث ولد التوائم الأربعة بسلامة، وكلهن لطيفات ومحبوبات للغاية. وبسبب الولادة المبكرة، كان يجب على أولئك الخدج البقاء في حضانات، لكنهن كن جميعاً في حالة صحية جيدة. غير أن والدهن كانا متحرجين نظراً لأنه لم يكن لديهما قدرة على دفع التكلفة اللازمة للحضانات والعملية الجراحية.



التوائم الأربعة قبل ٢٠ سنة

كان الدكتور المتابع في منطقة "سام تشوك" بمدينة "تيبك" قد نصحهما عندما عرف أن الأم حامل بأربع توائم، بالإبقاء على واحدة فقط من بينهن، لكن الوالدين أصرا على إنجاب التوائم الأربعة كلهن على الرغم من المخاطر والمشاكل المحتملة، إلا أن عزمهما على الحفاظ على البنات الأربع لم يكن متوافقاً إطلاقاً مع أحوال العائلة المالية التي فرضت عليهما العيش في منزل مستأجر ذي غرفة واحدة فقط، وبإيجار يبلغ ٢٠٠ دولار شهرياً. وبعد أن عرفت هذا الوضع، شجعت الأب قائلة: "لا تقلق حول أجر العملية الجراحية، فقط ركز على تحسين حالة الأم الصحية. وعندما يكبر الأولاد، سأساعدكم في مصاريف الجامعة. ومجرد إنجاب البنات الأربع في حالة صحية جيدة في هذا المستشفى هو بركة ومصدر فخر لنا". ومن الجدير بالذكر أن ولادة أربعة توائم هي حالة تحدث فقط مرة واحدة من بين كل ٧٠٠ ألف حالة ولادة.

لقد شعرت بالامتنان لولادة أولئك التوائم في هذا المستشفى. وتمنيت تقديم أي نوع من المساعدة للوالدين اللذين قررا إنجاب أربعة أبناء، حتى مع الظروف المالية الصعبة والمخاطر المحتملة، لكي يصبح أبناؤهم أعضاء في المجتمع.

- "شكرًا لك. شكرًا جزيلاً لك! لا نعرف كيف نعبر عن امتناننا لكرمك..."

- "طبعًا رأيهن وتطلعاتهن هي الأهم، لكنني أود أن يصبحن ممرضات أو طبيبات عندما يكبرن. ونظرًا لأنهن مولودات بفضل مساعدة عدد من الناس في هذا المستشفى في ظل هذه الظروف الصعبة، فسوف يكون رائعًا إذا عشن حياتهن لخدمة الآخرين".

خرج الوالدان مع بناتهن الأربع بعد تعبيرهما عن الشكر. ولما يقرب من ٢٠ عامًا، نسيت تمامًا قصة هذين الوالدين وتوأمينهما الأربعة؛ لأنني ظلت منشغلة في الكثير من المشروعات في أغلب الأحيان، بما في ذلك إدارة الجامعتين اللتين تم إنشاؤهما مجددًا. وذات يوم، كنت أرتب ألبومًا يضم مجموعة من الصور الشخصية ووجدت صورة تذكارية كنت قد التقطتها مع التوائم الأربعة، فتذكرت الوعد الذي قطعته مع الوالدين. وبسرعة بحثت عن هذه العائلة. ثم عرفت أنهم يقيمون في مدينة "يونغ إين"، بمقاطعة "كيونغ كي" القريبة من العاصمة سيؤول. وقد ظل أفراد تلك الأسرة يعانون من ظروف مالية صعبة، حيث صار الأب الذي كان يعمل في منجم، عاملًا باليومية وبائعًا في الشارع. وكانت أحوال الأسرة المالية صعبة للغاية، مما اضطرهم إلى الاعتماد على دعم الحكومة المالي لمصاريف المعيشة. لكن التوائم الأربعة كبرن وأصبحن أنسات جميلات ومؤدبات. كما كن كلهن ممتازات في الدراسة حيث نجحت اثنتان منهن في قسم التمريض بجامعة "سو يون" للبنات، والأخريان في قسم التمريض بجامعة "يونغ دونغ" في مدينة "كانغ رونغ" في شرق البلاد. وعندما سمعت هذه الأخبار، كنت سعيدة للغاية، وتعجبت لدرجة أنني كنت على وشك البكاء تأثرًا.



الممرضات "هوانغ سيول"، و"هوانغ سل"، و"هوانغ ميل"، و"هوانغ سول"

لقد تحققت أمنياتي وصلواتي بأن يصبحن ممرضات لكي يعيشن حياتهن لخدمة الآخرين، بعد مرور ١٨ عامًا. ومن ناحية أخرى، استطعت بسهولة تخمين ماذا يخطر ببال الوالدين، حيث كانا قلقين من رسوم دخول الجامعات والدراسة التي يجب عليهما تحملها في ظل الظروف المالية الصعبة. في شهر يناير من عام ٢٠٠٧، في يوم ميلاد التوائم الأربعة، وجهت لتلك الأسرة دعوة لزيارة منزلي. وأهديتهم مبلغًا من المال يكفي لتغطية رسوم دخول البنات للجامعة والدراسة فيها، وقدمت لهن ولوالديهن هذا الاقتراح: "إذا نجحت البنات في الدراسة في الجامعة، وأصبحن ممرضات حاصلات على ترخيص، فأرجو منكما إرسالهن إلى "مستشفى غيل"، ليعملن معي".

- "سوف ندرس باجتهاد شديد، لنصبح ممرضات ممتازات. وسوف نعيش حياتنا لخدمة الناس الذين يعانون من المرض".

وبعد مرور ثلاث سنوات، صارت البنات الأربع يعملن في هذا المستشفى، وبالتالي تمكنت من الوفاء بوعدتي الذي قطعته قبل عشرين عامًا. في أول يوم من عملهن في هذا المستشفى، زارتنى هذه الأنسات الأربع اللاتي لا أستطيع التمييز بينهن، وعبرن عن طموههن لي. شعرت بإعجاب شديد للغاية لدرجة أنني لم

أستطع أن أقول أي كلمة. فقط قمت بمعانقتهن بشدة.

يقول الناس إنك تحصد ما تزرع. وقد جعلتني قصتهن أدرك معنى هذه المقولة مرة أخرى، حيث إن غرس بذور التعاطف وروح الخدمة هو أعلى شيء يمكن للإنسان القيام به.

الروابط الإنسانية هي كل شيء

في المناطق المحيطة بمبنى إدارة المدينة الواقعة في منطقة "كويول - دونغ"، بمدينة "إنتشون"، تقع المباني الرئيسية لـ "مستشفى غيل" والعديد من المراكز العلاجية الفرعية، وتنتشر هذه المباني في أزقة كثيرة. لا يقع المستشفى والمراكز الفرعية معًا داخل مجمع واحد، مثل المستشفيات العامة الضخمة الأخرى؛ لأنه لم يتم بناؤها في الوقت نفسه. فقد أقيم مبنى المستشفى الرئيس في عام ١٩٨٧، أما المراكز الفرعية الأخرى فتمت إضافتها وتوسيعها واحدًا تلو الآخر بصورة تدريجية، بعد شراء موقع كل مركز. وخلال تلك المرحلة، واجهت بعض المشاكل.

**

وقعت إحدى المشاكل خلال بناء مسار تحت الأرض بين المركز الخاص بمرض القلب والأوعية الدموية والمركز الخاص بالأنف، والأذن والحنجرة والعيون. حيث بني مركز علاج أمراض القلب والأوعية الدموية أولاً ثم تمت إضافة مركز علاج الأمراض المتعلقة بالأنف والأذن والحنجرة والعيون فيما بعد، مما أجبر الزوار والمرضى على الخروج من المبنى لدخول المبنى الآخر، من أجل الانتقال من المركز إلى المركز الآخر، وهو ما أثار بدوره حالة من عدم الراحة بشدة لدى المرضى والطواقم الطبية على حد سواء. ولحل هذه المشكلة، قررنا شراء الأرض التي كانت ممتدة فيما بين هذين المبنيين، وإنشاء مسار تحت الأرض ليوصل بينهما، لكن مالكة الأرض رفضت بيعها رغم محاولتنا لإقناعها:

- "ما السبب؟ ماذا إذا دفعنا ثمنًا أعلى من سعر السوق؟".

- "حسنًا، المشكلة هي...".

كان المدير المسؤول عن المشروع مترددًا في شرح السبب لي.

- "هل مالكة الأرض تطلب سعرًا مبالغًا فيه؟".

- "في الواقع، ليس هذا هو السبب. السبب الحقيقي هو أنها تقول إنك قادمة من منطقة

"هونام" الجنوبية من البلاد و...".

شعرت بالحيرة. فقد رفضت بيع الأرض لأنني فقط ولدت في منطقة "هونام" الجنوبية. غضبت لوجود شخص لديه نظرة متحيزة حتى في هذا الوقت، لكن هذا الغضب لن يساعد على حل المشكلة. كانت لديها نظرة منحازة نحو منطقة "هونام" الجنوبية، ولكن لم يكن لديها أي معرفة مباشرة بشأني، حيث لم يكن سبب رفضها أنها لم تحب شخصيتي.

- "أنا متأكدة من أن لديها سببًا وراء نظرتها المنحازة. سوف ألتقي بها وأتحدث معها مباشرة".

لكن صاحبة الأرض رفضت حتى اللقاء المباشر معي. فحسب تفكيرها، لم يكن لديها أي سبب للالتقاء بي، نظرًا لأنها قررت عدم بيع الأرض لي. لكنني لم أتخل عن محاولة إقناعها، إلى أن وافقت على لقائي في النهاية. أعطيتها هدية صغيرة كنت قد أعدتها لها ثم سألتها:

- "هل يمكنك أن تقولي لي لماذا ترفضين بيع الأرض؟".

- "لماذا يجب علي توضيح السبب؟ لن أبيع الأرض لأنني لا أريد ذلك".

- "يتملكني الفضول فقط. إذا قررت ذلك، سيكون جيدًا. أنا فقط أريد أن أعرف".

ظللت هادئة طوال وقت لقائنا، وحافظت على ابتسامتي. وفي النهاية، خففت

قليلاً من حدتها تجاهي. لكنها ظلت عنيدة فيما يتعلق بقرارها حول عدم بيع الأرض لي. وهكذا اضطرت للمغادرة دون أي تقدم في لقائنا الأول. وظللت أزورها خلال شهرين وأتحدث معها بهذه الطريقة، محاولة كسر الحواجز التي تقف بيننا من خلال تناول الطعام وشرب الشاي معاً، والدردشة حول القضايا الراهنة الجارية في العالم، دون ذكر موضوع بيع الأرض. وقبل أن أدرك، أصبحت أكثر قرباً مني وصارت تناديني بـ"أختي الكبيرة"، وأناديهما بـ"أختي الصغيرة".

أخيراً غيرت رأيها وقررت بيع الأرض لي، كان كل ذلك لأنني استطعت الحصول على ثقتها. لو كان اهتمامي متركزاً على شراء الأرض فقط، فلربما استخدمت بعض الطرق الأخرى. لكنني لم أكن أريد مجرد الأرض، بل رغبت بالفعل في تغيير رأيها المناهض للناس القادمين من منطقة "هونام" بجنوب البلاد.

مشكلة أخرى حدثت عندما تم اختياري لأكون أول رئيسة لنادي خريجي كلية الطب بجامعة "سيؤول" الوطنية، كان العديد من الطلاب الكبار متشائمين من ذلك، كما نظروا إلي نظرة سلبية وقالوا: "كيف تستطيع امرأة أن تكون رئيسة؟". حتى إن البعض منهم عارضوا بصورة عنيفة السياسات التي اقترحتها. ولكن كلما عانيت مرارة التمييز والإقصاء، عاملت من يفعلون ذلك معي بكل صدق واحترام. وفوق كل شيء، أردت تغيير موقفهم التمييزي ضد المرأة. ومن ثم، فإن الذين كانوا قد عارضوا ما فعلته في البداية، صاروا تدريجياً يتغيرون ويصبحون مؤيدين أكثر لي. وبفضل تأييدهم، توليت منصب رئيسة نادي الخريجين لمدة عشر سنوات. أظن أن ذلك كان إنجازاً صغيراً لكنه كان غالباً لأنه نتيجة لمجهودات مستمرة.

يقول الناس إن العلاقات والروابط الإنسانية هي كل شيء. ويبدو أن الاستخدام الأمثل لهذه المقولة يكون في موقع الإدارة الفعلية وبشكل عملي. فضلاً عن أن العلاقات والروابط الإنسانية هي أساساً كل شيء في حياتنا. فبالنسبة للإنسان الذي يعتبر حيواناً اجتماعياً، ليس لديه أي شيء أهم من العلاقة الإنسانية. إن أغلب مخاوفنا ومصاعبنا تحدث بسبب الآخرين، ولكن في الوقت نفسه، هناك من الناس من يمنحنا التعويض والسعادة أيضاً. لذلك فإن المعنى الحرفي للكلمة الكورية

المأخوذة من التعبير الصيني "إنسان" تعني "ما بين البشر". هذا هو السبب الذي علينا بموجبه بذل المزيد من الجهود لتعزيز العلاقات الإنسانية الجيدة والحفاظ عليها، قبل أي شيء آخر، لأجل أن نعيش حياة أكثر غنى وسعادة. فإذا أشاد أحد بعلاقتي الشخصية، أردت مازحةً: "ذلك لأن الناس يحبونني". ولأن هذا الكلام قد يحمل معنى التكبر أو التعالي، أضيف قائلة: "لأنني أحب الناس، فلماذا قد يكرهني أحد أحبه؟". الناس لديها بصيرة لمعرفة من يحبهم ومن يكرههم، حتى ولو لم يظهروا إشارات إما بالكلام، أو بالإيماءات، أو بالتصرفات. إذا تمنيت التمتع بعلاقات جيدة مع الآخرين، فيجب عليك تعلم كيف تحب الآخرين بإخلاص وبقلب صريح، ليس بتعبيرات المجاملة.

طوال حياتي، لم أتعامل دون إخلاص إطلاقاً مع أي شخص تعرفت عليه ولو لمرة واحدة. إنني أشكر جميع الذين جاؤوا إلى حياتي وساعدوني بشكل مباشر، وهم أفراد أسرتي، وطاقم مؤسستي، إلى جانب جميع المرضى الذين زاروا المستشفى الذي أديره، والعديد من الطلبة والأساتذة في "جامعة غاتشون"، وجميع موظفي الجامعة الآخرين. ربما لا أتذكر وجوههم كلهم، ولكن إذا اقترب أي منهم مني لتحتيتي، أشعر بالسعادة لرؤيته وأبتسم له. وهذا هو سبب شعوري بهم، ولذلك فهم يحبونني.

**

يقول الناس إن المال يأتي ويذهب. فهو شيء تستطيع أن تربحه ويمكنك أن تخسره. أما الناس إذا خسرتهم مرة، فلن تستطيع أن تكسبهم مرة أخرى. إنني ألتزم ببعض المبادئ في معاملة الناس.

أولاً: أهم الناس بالنسبة لي، هم الأقرب لي. إن الرغبة في تحقيق إنجازات كبيرة في المجتمع مع الفشل في إسعاد المقربين منك، ليست سوى بناء قصر على الرمال. فعليك أولاً الحصول على محبة وثقة واحترام المقربين منك، بمن في ذلك

عائلتك وأصدقائك وزملائك.

ثانيًا: يجب أن أكون بنفسى شخصًا صالحًا وعادلاً دائمًا. فمما لا شك فيه، يتوجب أن تكون "شخصًا محل ثقة" أولاً قبل أن تحاول الحصول على ثقة الآخرين.

ثالثًا: يجب أن تقدم النموذج بأن تبدأ بنفسك. فإذا أردت أن يقوم شخص ما بأداء شيء لك، يجب عليك أداء هذا الشيء أولاً لذلك الشخص. مثلًا، إذا أردت أن يحبك الآخرون، فيجب أن تحبهم أولاً، وإذا أردت أن يقوم آخرون برعايتك، فيجب عليك رعايتهم أولاً. وإذا أردت أن يثق الآخرون بك، فعليك أن تثق فيهم أولاً. عندما تكون شخصًا يبدأ بنفسه بصورة نموذجية، سيكون لديك تذكرة للفوز في المجتمع.

رابعًا: عليك أن تكون شخصًا كريمًا ومتسامحًا مع الآخرين، ولكن مع نفسك يجب أن تكون صارمًا. هناك مثل قديم يقول: "عليك معاملة الآخرين كريح الربيع، بينما عليك معاملة نفسك كصقيع الخريف". من السهل أن نشكو ونززع عندما نتعامل مع أخطاء الناس، ولكن من الصعب أن نفهم ونسامح الآخرين، بل وحتى أن نكتشف الجوانب الإيجابية لديهم، دون السعي للتقيد بالقواعد الصارمة. إذا ركزت على نفسك وظللت تراجع ما تفعله، بدلًا من توجيه النقد إلى الآخرين، وأن تحاول باستمرار تحسين شخصيتك، فسوف تستطيع في نهاية المطاف الحصول على قلوب الآخرين.

خامسًا: يجب أن نتذكر أن أهم شيء في هذا العالم هو الإنسان. في هذه الحياة، يمر علينا وقت نكون مجبرين على أن نتخلى عن أهم شيء فعليًا بالنسبة لنا، بسبب المال أو الشهرة أو احترام الذات أو غير ذلك. لكننا يجب أن نتذكر أنه من أجل عيش حياة أكثر سعادة ورخاء، أن نظل نرى أن الإنسان هو أهم من أي شيء آخر في هذا العالم. الإنسان هو كل شيء، وهو الأصل الذي لا يمكن لأي شيء أن يحل محله في هذا العالم.



٨. ضع نفسك موضع الآخرين

من شب على شيء شاب عليه

في يوم ٢٨ يونيو من عام ٢٠١٠، افتتحت "قرية ساي سال"، أي "ثلاث سنوات من العمر" بناء على رؤية تركز على تقديم الرعاية للأطفال من السنة الأولى وحتى ثلاث سنوات، على مستوى المجتمع. وقد ولد هذا المشروع بناء تصور يرى أن التعليم الصحيح للطفل يبدأ من عمر ثلاث سنوات، وبالتالي يجب أن يخضع الأطفال لرعاية مثالية قبل أن يبلغوا ثلاث سنوات من العمر. في الماضي كانت كل أسرة في القرى تعمل على تربية ورعاية أطفالها وأولاد الجيران معاً، لذلك فإن مشروع "قرية ساي سال"، يعتبر نوعاً من حملات رعاية الأطفال المبنية على أساس مفهوم الرعاية على مستوى القرية.

إن كوريا هي إحدى الدول التي تعاني انخفاض معدلات الإنجاب على مستوى العالم. بالإضافة إلى ذلك، ونتيجة لزيادة الأسر المصغرة، يجد الآباء في هذا العصر أنفسهم يتحملون مسؤوليات خاصة برعاية الأطفال وتربيتهم دون أي مساعدة من أفراد الأسر الأخرى. ولذلك تم إطلاق مشروع "قرية ساي سال" بهدف إيجاد ثقافة جديدة لإنجاب الأطفال وتربيتهم ورعايتهم في هذا العصر.

لقد ركزت على إعداد افتتاح "قرية ساي سال" طوال سنة كاملة، ابتداءً من أواخر ربيع عام ٢٠٠٩. في الحقيقة، هذه الفكرة اقترحها في البداية المستشار "لي أو ريونغ"، كما أدركت مجددًا أهمية السنوات الثلاث الأولى بالنسبة للطفل. فهذا المشروع، أي "قرية ساي سال"، ليس مجرد حملة تهدف إلى رفع معدلات الإنجاب فحسب، بل إنه أيضاً نوع من تعهداتنا لتربية الأولاد بكل ما في وسعنا لكي يصبحوا قادة للمجتمع بحلول ٢١٠٠ م. ولا بد للحكومة والمجتمع تحمل مسؤولية الإشراف على ذلك في الأساس، لكنني أطلقت المشروع بنفسني أولاً؛ لأنني آمنت بأنه يجب علي تنفيذه إذا أتحت لي الفرصة. وإذا كنت قد خطت فقط للمشروع ولم أفتح مثل هذه القرية، لكان هذا المشروع مجرد خطة دون تنفيذ، لكنني استطعت تحويل رؤيتي إلى حقيقة بفضل وجود منظمات في عضوية المؤسسة، بما في ذلك جامعات ومستشفيات، حيث ساهمت كلها في تنفيذ المشروع بصورة منتظمة

وبأقصى فعالية. كما تم إجراء مراحل تأسيس وفتح "قرية ساي سال" بصورة ملائمة بفضل وجود العديد من الآباء والأمهات الذين أنجبوا أطفالهم في "مستشفى غيل"، وبالإضافة إلى ذلك، تم افتتاح القرية دون أي صعوبات، بفضل مشاركة الأساتذة في قسم تربية الطفولة المبكرة في "جامعة غاتشون". وفي الحقيقة، يقوم معهد علوم الدماغ بإجراء بحوث علمية حول تطور دماغ الأجنة بواسطة جهاز تصوير بالرنين المغناطيسي (MRI) قادر على خلق مجال مغناطيسي قوي يبلغ ٧,٠ (كلما زاد هذا الرقم كان التصوير أوضح) باستخدام وحدة تعرف باسم "تسلا" (Tesla)، ويوجد منه ٣٠ وحدة في كل أرجاء قارة آسيا.

بالإضافة إلى ذلك، فإن مشروع "قرية ساي سال" كان بمثابة نوع مختلف من حملات إنقاذ الحياة. في الواقع، خلال أعوام الستينيات والسبعينيات، كانت هناك سيدات حوامل يحضرن إلى المستشفيات بصورة عاجلة في حالات الطوارئ، دون أن يكون معهن المبلغ اللازم لدفع فواتير العلاج. وكلما وقعت مثل هذه الحالة، لم أطلب منهن دفع فاتورة العلاج، وقد سألتني أولئك السيدات:

- "يا دكتور، كيف أعبّر عن شكري لك؟".

- "يمكنك فقط تربية طفلك ليصبح عضواً ممتازاً في المجتمع".

كلما أنجبت سيدة حامل طفلها، كنت أقول لها ما يلي: "قريباً سوف يولد طفلك. ففكري في أول كلمة سوف تقولينها له". وسرعان ما تقع السيدات الحوامل في التأمل بشكل جدي حول ما سيقبلنه لأبنائهن، لدرجة أنهن ينسين الألم الشديد ساعة الولادة. وعندما يولد طفل، كنت أجعل أمه تحتضنه بين ذراعيها، ليسمع كل من الطفل والأم معاً أصوات نبضات قلوبهما. ولكن مع الأسف الشديد، يفقد الكثير من السيدات في هذه الأيام تجربة مثل تلك اللحظات الغالية بسبب انخفاض نسبة الإنجاب.

لا بد أن يكون المجتمع مليئاً بأصوات بكاء الأطفال. على سبيل المثال، تعتبر فرنسا إحدى البلدان التي نجحت في زيادة معدلات الإنجاب بواسطة اتخاذ إجراءات

إيجابية لمكافحة مشكلة انخفاض نسبة الإنجاب. فهناك، إذا تأكدت أي امرأة من أنها حامل، ترسل لها الحكومة رسالة تقول: "نهنئك بحملك. الطفل الذي سوف تنجيبينه لن تربيته أنت وحدك فقط، بل سيربيه أيضاً المجتمع والحكومة معاً".

إن مؤسسة "قرية ساي سال" التي ترعاها "جامعة غاتشون" ترسل أيضاً رسائل إلى السيدات الحوامل. ولم يقتصر الأمر على ذلك، حيث نتخذ بعض الإجراءات الإضافية أكثر من فرنسا، ونرسل بعثة مكونة من شخصين لزيارة العائلة للتهنئة بمرور مئة يوم على الولادة. في الحقيقة، يعتبر مرور مئة يوم على الولادة نقطة تحول مهمة بالنسبة للأطفال في كوريا؛ لأن الكثير من الأطفال قد يلقون مصرعهم بسبب مختلف أنواع الأمراض الوبائية، في أثناء تلك الأيام المئة الأولى في هذا البلد الذي لم يكن فيه المستوى الطبي عالياً. تتكون البعثة من متخصص في رعاية الأطفال ومقدم خدمة تطوعية. ويتميز أعضاء البعثة بخبرات وفيرة في تربية الأطفال، حتى يمكنهم تقديم معلومات علمية مفيدة للوالدين فيما يتعلق بتربية أطفالهم. ويتعلم طلاب الجامعات الذين ينضمون إلى عضوية بعثات التهنئة تلك، كيفية عناق الرضيع وحمله من خلال التدريب باستخدام الدمى، قبل أن يتم إرسالهم في بعثات إلى الآباء الجدد. وبالنسبة للطلاب الجامعيين، يقدم لهم المشروع فرصة مفيدة لتعلم كيف يصبحون آباء وأمّهات مستقبلاً.

كذلك فإن مشروع "قرية ساي سال" يشرف على مشروع تطوير أسلوب تربية الأطفال بصورة علمية. فهناك بعض الأحوال عندما تندفع الأمهات إلى عيادات الطوارئ مع أطفالهن، لأن الأطفال لا يتوقفون عن البكاء بسبب الجوع، لكن الأمهات لا يعرفن كيفية إيقاف بكاء أطفالهن. أما في "قرية ساي سال"، فإننا نحلل أنماط البكاء، ونوضح الاختلافات بينها حسب الحالة، بما في ذلك بكاء الأطفال جوعاً، أو عندما تتبلل حفاظاتهم، أو عندما يرغبون في النوم. وبهذه الطريقة، نأمل في أن نساعد الآباء في توضيح المشكلة ومعرفة طريقة التعامل مع الأطفال. وبالإضافة إلى ذلك، فإن مؤسسة غاتشون غيل" التي تنتمي إليها المنظمات العضوة، بما فيها قسم تربية الطفولة المبكرة ومعهد أبحاث العلوم الدماغية والمستشفى العام،

تبرهن بصورة علمية على فوائد العديد من الطرق التقليدية الخاصة بتربية الأطفال، مثل حمل طفل على ظهر الوالدين، ومختلف الطرق المفيدة لجعل الطفل يخلد إلى النوم. إن مثل هذه الخبرات وقواعد البيانات سوف تكون مصادر مفيدة في مجال التربية الأبوية بعد جمعها وتراكمها بعد عشرة أو عشرين عامًا. على سبيل المثال، نتطلع إلى الوصول إلى نتيجة يستطيع الأطفال بموجبها النمو بصورة أكثر صحة وعافية عندما يمارسون الاتصال الجسدي أكثر مع آبائهم خلال فترة الطفولة الأولى.

يعتبر مشروع "قرية ساي سال" هو الأول من نوعه، وأتوقع أن يكون هو الأفضل في كوريا فيما يتعلق بمجالات الحمل والإنجاب وتربية الأطفال حتى تبلغ أعمارهم ثلاث سنوات. يبدو مشروع "قرية ساي سال" مشروعًا ذا صلة بقضية الأبوة، ولكنه يهدف أيضًا إلى غرس الاحترام والمحبة نحو الناس في الوقت نفسه. حاليًا يغطي هذا المشروع منطقة العاصمة سيؤول وضواحيها فقط، ولكن في النهاية سيتوسع ليشمل كل أرجاء البلاد، على ما أتوقع.

يقول أجدادنا إن العادة التي نفعناها ونحن في الثالثة من عمرنا، سوف تستمر معنا حتى نبلغ الثمانين؛ (فمن شب على شيء شاب عليه). وتشير هذه المقولة إلى أنه إذا قضيت فترة طفولتك المبكرة بشكل صحيح حتى يصل عمرك إلى ثلاث سنوات، فسوف تكون حياتك خلال ثمانين عامًا مستقيمة. هكذا فإن برنامج رعاية الأطفال المنظم في مشروع "قرية ساي سال"، يعتبر أهم تعليم أساسي للأطفال من أجل مستقبل الدولة.

أحب كل الناس بالتساوي

قبل سنوات، حقق فيلم وثائقي إنساني تحت عنوان "لا تبكِ عليَّ يا (تونج)"، رواجًا هائلًا في دور السينما الكورية. ويدور الفيلم حول قصة القسيس الراحل "لي تي سوک" الذي يلقب بـ"شفايتزر السودان" (The Schweitzer of Sudan). لقد جعل هذا الفيلم الكثير من الكوريين يذرفون الدموع أثناء مشاهدته، حيث

لمس هذا القسيس الراحل قلوب الناس وجعلهم يدركون معنى المحبة الحقيقية. "تونج" هو اسم قرية جبلية تقع في جنوب السودان في إفريقيا. في هذه القرية التي يتفشى فيها كل أنواع الأمراض الوبائية المزمنة، فإن القسيس الراحل "لي تي سوك" الذي كان قسيسًا كاثوليكيًا وطبيبًا في الوقت نفسه، وقائدًا ومهندسًا معماريًا، قد كرس حياته وضحي بعمره القصير من أجل سكان القرية بكل سرور.

لقد انقسم السودان إلى جنوب وشمال، ويعيش المواطنون هناك حالة من الكراهية والفقر، ويعانون من الأمراض الوبائية، التي ظهرت كلها نتيجة للنزاعات المحلية خلال فترة طويلة من الزمن. وفي منطقة "تونج" التي كان يسكنها القسيس، كانت هناك قبيلة الدينكا، وهي إحدى القبائل التي تحارب من أجل البقاء وحماية أفرادها وماشيتها بما في ذلك البقر. وبالنسبة لهذه القبيلة التي تمثل الشجاعة والقوة، لم يذرف أفرادها الدموع مهما كانت الظروف. لكن هناك شخص واحد جعل سكان هذه القبيلة يذرفون دموعهم، وهو القسيس الراحل "لي تي سوك" الذي كان يدعى "جولي". وقد توفي في عمر يناهز ٤٨ عامًا، لكنه قد نذر نفسه طوال حياته للعمل الإنساني من أجلهم. وجعلت محبته الخيرية سكان قبيلة الدينكا يذرفون الدموع. كما أن المشاهدين الذين شاهدوا هذا الفيلم التسجيلي المؤثر، لا بد أنهم قد بكوا وتعجبوا لوجود "مثل هذا النوع من حب الخير في هذا العالم". كان يقول إن قيمة الإنسان تمثل الحب. أما قصة حب ذلك القسيس الذي كان يعلم ويعالج أفقر السكان بالمحبة والشفقة، فقد كانت أكبر وأعظم من الصعود إلى الفضاء في اعتقادي. لقد مارس حب البشرية بكل ما في وسعه بناء على مبدأ راسخ هو: "أحب كل الناس بالتساوي". وفي أثناء مشاهدة ذلك الفيلم التسجيلي الإنساني، ظللت أفكر وأراجع ماضي وحاضر "مؤسسة غاتشون غيل" التي حملت عند لحظة تأسيسها شعار حب الخير والخدمة العامة.

لم يكن سبب قراري أن أصبح طبيبة هو ربح المال أو الشهرة. لقد أردت مساعدة الناس الذين يعانون من المرض أو الفقر. ظللت أعتقد أن لا أحد يجب أن يموت أو يتألم بسبب عدم تلقي المساعدة الطبية، مثل والدي الذي توفي بسبب التهاب رئوي

وهو في الـ٣٥ من العمر، أو صديقتي "سوني" التي ماتت بالتيفود عندما كانت طالبة في المدرسة الابتدائية، دون تلقي فرصة للعلاج الطبي المناسب.

في فترة طفولتي، كان هناك الكثير من المتسولين في كل قرية. وكلما جاء هؤلاء المتسولون إلى منزلي طالبين بعض الطعام، كانت والدتي تعد لهم مائدة مجهزة بصحن يحتوي على كمية كبيرة من الأرز وبعض الأطعمة الجانبية، ثم تطلب مني تسليمها لهم. كانت جدتي تفعل الشيء نفسه، بل وكلما وجدت شخصاً يرتجف من البرد في الشارع، نزعنا معطفها وأعطته إياه ثم عادت إلى المنزل وهي ترتجف. هكذا تعلمت المشاركة منذ سن مبكرة من والدتي وجدتي، كما تعلمت كم من السعادة والبهجة التي ستعطيها حياة الخدمة لنا.

لدي تجربة طريفة أود الحديث عنها. لقد تم تقسيم عدد من الأطفال إلى مجموعتين، وقد قلت لأطفال المجموعة الأولى: "أيها الأولاد، سوف يحصل كل منكم على قطعة خبز، إذا رسمتم صورة رائعة على هذه الورقة". ثم طلبت من المجموعة الثانية رسم بعض الصور باستخدام أقلام ملونة وورق، ودون تقديم أي وعد أو مكافأة قائلة: "الآن، تستطيعون رسم أي صورة تريدونها على هذه الورقة". في البداية، قام الأطفال الذين تلقوا عرض قطعة الخبز كمكافأة برسم الصور بحماس أكبر. لكن بعد مرور الوقت، كلما كررت التجربة، كان الوضع يتغير.

وفي النهاية، فإن الأطفال الذين لم يعرض عليهم أي مكافأة عن صورهم، كانوا الأكثر حماساً مقارنة بالأطفال الذي عرضت عليهم قطعة الخبز باعتبارها مكافأة؛ لأن الأولاد الذين عرضت عليهم المكافأة كانوا سعداء عندما حصلوا على قطعة الخبز في البداية، لكنهم سرعان ما أصبحوا يفقدون اهتمامهم بالرسم عندما لم تعرض عليهم أي مكافآت أكبر من المكافأة الأولى. أما الأولاد الذين لم تعرض عليهم أي مكافأة، فقد استمتعوا فقط برسم الصور، وبالتالي تمكنوا من التركيز على المتعة الذاتية في ممارسة الرسم.

هذه التجربة المشهورة في علم النفس تشير إلى أن الناس يكونون مبدعين أكثر وإيجابيين أكثر، عندما يكونون مدفوعين بعناصر داخلية كالاعتداد بالذات

أو الفخر، بدلاً من تحفيزهم بعناصر خارجية، مثل المال أو التعظيم. إن جميع النظريات المتعلقة بعلم الاقتصاد حتى الآن تقوم على افتراض حول مفهوم "الإنسان الأناني" أي "الرجل الاقتصادي" (homo economics). على أساس هذه النظريات الاقتصادية الكلاسيكية، فإن الناس يتحركون نحو الاتجاه الذي تستطيع خياراتهم على أساسها العودة لصالح الأرباح المادية بالحد الأقصى. بينما في الواقع، فإن هناك الكثير من الأحوال التي يتحرك الناس فيها على عكس هذه الأنظمة الاقتصادية والمبادئ التي كنا نعرفها. بكلمات أخرى، فإن الناس أحياناً يضعون أولوية للعدالة أو المصالح العامة أكثر من طموحاتهم الأنانية. وإن مفهوم الاقتصاد السلوكي (behavioral Economics)، جاء تلبية لضرورة حل هذه الفجوة فيما بين النظريات الاقتصادية التقليدية والنظريات الاقتصادية الحقيقية.

لا يمكنك مواصلة تنفيذ أي مشروع ما لم يكن لديك هدف أو غرض واضح؛ لأن الإنسان هو حيوان اقتصادي واجتماعي في الوقت نفسه. إن القيم الثلاث العظيمة التي تحددها "مؤسسة غاتشون غيل" كمبادئ تأسيسية هي "حب الخير، والخدمة العامة، وحب الوطن". ويرى بعض الشباب أن هذه المبادئ الثلاثة يبدو وكأنها قد عفا عليها الزمن، أو أنها مجرد كلام مبتذل. لكن هذه المبادئ الثلاثة هي التي ظلت أعتز بها بإخلاص منذ ذلك اليوم الذي أصبحت فيه طيبة وحتى اللحظة التي أسست فيه "مؤسسة غاتشون غيل" التي أديرها حالياً. ومن بين هذه المبادئ الثلاثة، فإن المبدأ الذي أولي له أكبر أولوية، هو "حب الخير" الذي أحب بموجبه جميع الناس بالتساوي. إن حب الخير بالفعل هو الأرض الخصبة التي يمكن أن تنمو فيها جميع القيم.

طبيبة ذات موهبة في التفسير

سواء في الاستشارات أو التعليم أو العلاج، يكون للتعاون المتبادل أهمية خاصة. وهو أمر يتطلب الثقة بين مقدم الخدمة ومتلقيها. وفي علم النفس، يسمى

ذلك بـ"التآلف". إذا تم تأسيس هذا التآلف بين الطرفين، فإن مراحل العلاج تجري بصورة ملائمة ونستطيع توقع تحقيق نتائج مضاعفة، كما تزيد الثقة من جانب المتلقي كفاءة إضافية.

يقول الناس إنني "شخص ذو موهبة في الأعمال الريادية". لكنهم يقولون كذلك لأنهم لا يعرفون من أنا بالمعنى الحقيقي. حتى اليوم، خلال إدارة المستشفى، لم أسع حتى ولو مرة واحدة لأي استراتيجيات خاصة بالترويج أو تقنيات الإدارة. فاستراتيجيتي الوحيدة في الإدارة هي معاملة المرضى بإخلاص بحيث يستطيعون أن يثقوا بي باعتباري طبيبة بصورة تامة. لقد سافرت إلى أمريكا خلال فترة الستينيات للدراسة ثم رجعت بعد التعرف على النظام الطبي المتقدم هناك. وكل ما لاحظته في جميع الميادين الطبية بها، كان نماذج مثالية بالنسبة لي بالمعنى الحقيقي، بل كانت بمثابة كتب مدرسية لا بد أن أدرسها وأن أتعلمها باعتباري طبيبة.

خلال فترة التدريب الطبي في الولايات المتحدة الأمريكية، وعندما كان يتعين علي العمل في قسم الطب الباطني، وخلال جولتي التفقدية، وبينما كنت أقوم بفحص رجل عجوز ذي شعر فضي، يعاني من التهاب رئوي، اعتراني الذهول لأنه كان يعرف أحواله الطبية، مثل سبب مرضه وكمية البنسلين المضاد للجراثيم الذي حقنته به، وفوائد العقار حتى الأعراض الجانبية السلبية المحتملة الناجمة عن الدواء. وفوق ذلك، قال لي إنه سوف يخرج من المستشفى في غضون ثلاثة أيام. كنت مندهشة جداً لأن هذا المريض كان يعرف جميع التفاصيل المتعلقة بمراحل علاجه، وكأنه طبيب يقرأ السجل الطبي لمريض. كان أمراً مستحيلاً بالنسبة له معرفة كل تلك التفاصيل دون شرح طبيبه لهذه الأشياء المتعلقة بظروفه المرضية بسهولة وبصورة متكررة. وهذا يعني أن الأطباء في الولايات المتحدة الأمريكية يقومون بأداء مهامهم بكل إخلاص في احترام حق المريض في معرفة حالته وشرح كل شيء يتعلق بأحواله المرضية بإخلاص. كان ذلك أمراً مستحيلاً ما لم تضع نفسك في موقع الطرف الآخر. كانوا يرون المرضى بأعين المرضى، ويفترضون أنهم "إذا كانوا مرضى" فما الذي سيرون أن يعرفوه؟

وقد جربت النظام الطبي الأمريكي لا باعتباري طبيبة، ولكن باعتباري مريضة، وذلك عندما اضطررت إلى الخضوع لعملية جراحية؛ لأنه كان يوجد ورم بحجم قبضة اليد في المبيض، مما اضطرني للقضاء عليه بعملية جراحية. وانتقلت إلى غرفة العمليات مثل أي مريض آخر. كنت مريضة ولست طبيبة في تلك اللحظة. ولم أتمكن من السيطرة على قلقي. وقد مرت الكثير من الأفكار على بالي في تلك اللحظة، بما في ذلك: "ماذا إذا فشلت العملية الجراحية وأنا لا يزال لدي أشياء كثيرة للقيام بها في حياتي...". ثم أمسكت طبيبتي يدي وكأنها قرأت ما يدور في ذهني، وقالت لي: "كل شيء سيكون على ما يرام. لا تقلقي". نتج عن تلك الكلمات راحة بالغة بالنسبة لي، وهو ما يجعلني لا أنساها حتى الآن. وبعد الاستماع إلى تلك الكلمات، أصبحت أثق بطبيبتي بصورة تامة، واستطعت دخول غرفة العملية والخضوع للعملية الجراحية بنجاح.

* *

البروفيسور "غونيللا" في كلية طب جيفرسون بجامعة توماس جيفرسون، وهي كلية ذات علاقة توأمة مع "مستشفى غيل" بجامعة "غاتشون"، يقوم بتدريس الطلاب موضوع: "من الطبيب الجيد؟". البروفيسور "غونيللا"، وهو صديق عزيز لدي، كان يتولى منصب عميد الكلية على مدار أكثر من ٢٠ عامًا، ولديه بعض الآراء فيما يتعلق بمفهوم الطبيب الجيد. فهو أولاً "الطبيب الذي يستطيع علاج المرضى بصورة سريعة وفعالة". يعني هذا الكلام أنه يجب أن يكون طبيبًا ممتازًا. وهو ثانيًا: "الطبيب الذي يستطيع الشرح بشكل جيد". ويعني هذا أن الأطباء يجب عليهم شرح كل شيء للمرضى حول أحوالهم الطبية بصورة سهلة وكأنهم يعلمون المرضى. وبعد تجربة الوعي المتقدم في الولايات المتحدة الذي يحترم ويراعي حق المرضى في المعرفة، وهو ما أوافق عليه بشكل كامل. وثالثًا: "الطبيب يجب أن يكون لديه عقل شامل". يعني ذلك أن الأطباء يجب عليهم أخذ الإدارة في الاعتبار. على أساس ذلك، فإن الأطباء الذين يركزون فقط على العلاج أو إجراء الأبحاث ليسوا أطباء حقيقيين مئة بالمئة.

إذا استطعت إضافة شيء واحد إلى تلك الآراء، فأظن أنه سيكون "يجب أن يعالج الأطباء المرضى من أعماق قلوبهم". فالناس كائنات عاطفية. فعندما أعامل أحداً من منطلق عاطفي، فإنه يشعر بذلك ويقترب مني بذات المشاعر العاطفية. أما إذا كنت أعامل المرضى وكأنهم مجرد ضيوف، فإن المريض سوف يقترب مني باعتباره ضيفاً فقط. ونظراً لأنني أعرف أهمية التضامن من القلب إلى القلب فيما بين المريض والطبيب في مرحلة العلاج، فإنني دائماً أحاول الأخذ في الاعتبار المرضى وكأنهم أفراد عائلتي ومعاملتهم بقلب مخلص. هذا هو ما نحتاج إليه ليس فقط في العلاقة بين الطبيب والمريض، بل وأيضاً في جميع العلاقات البشرية.

طريق الطبيب النابع من القلب

النصوص الصينية المعروفة بـ "ثلاثة أحرف كلاسيكية" (Three Character Classic, San) (Zi Jing)، وهو كتاب مدرسي كان يستخدم بشكل شامل في الصين في العصور القديمة، ويتحدث عن قصة بنت تدعى "هوانغ سيانغ" دفأت سرير أبيها بحرارة جسمها، من خلال الاستلقاء تحت البطانية حتى يرجع أبوها إلى المنزل من العمل وينام في ليالي الشتاء الباردة. ويمكننا أن نجد قصة مشابهة في اليابان أيضاً، تدور حول ولاء الجنرال والسياسي "تويوتومي هيديوشي (Toyotomi Hideyoshi)"، عندما كان يخدم السيد "نوبوناغا أودا (Oda Nobunaga)"، حيث كان يحمل أحذية سيده على صدره في الشتاء لكي يستطيع سيده ارتداء الأحذية دافئة. إن هاتين القصتين تدوران حول الاعتبار الصريح للآخرين والتفكير فيهم من وجهة نظرهم. الصدق مثل درجة الحرارة الدافئة، لذلك فهو غير مرئي بالنسبة لنا، لكننا نستطيع الشعور به. وأولئك الأشخاص الذين يعاملون الآخرين بصدق يتضح صدقهم في كل خطوة دون ضرورة للتعبير عن ذلك بالكلام.

بعد تخرجي في كلية الطب بجامعة سيئول الوطنية، كنت أدير "مركز جاسونغ الطبي" في مدينة "إنتشون" مع إحدى صديقاتي. وفي يوم ما، عندما وضعت

سماعة الطبيب المعدنية على صدر مريضة لتشخيص حالتها، قفزت المريضة بشكل مفاجئ. طبعًا كان رد فعل عاديًا متوقعًا لأن السماعة المعدنية الباردة لمست صدرها. ولكن جعلتني تلك التجربة أدرك شيئًا ذا معنى خاص بالنسبة لي. ومنذ ذلك الوقت، ظلت أضع سماعة الطبيب في أحضاني لتدفئتها بحرارة جسمي، لكيلا أزعج المرضى ببرودتها.

المستشفى هو المكان الذي نزوره عندما نشعر بالألم والقلق بسبب المرض من الناحيتين العقلية أو الجسمية. لكن لحظة دخولك باب المستشفى، واقتحام رائحة محلول التعقيم لأنفك، يصبح المرضى أكثر اضطرابًا، بدلًا حالة الراحة المفترض أن يشعروا بها. الأبعد من ذلك، أنه عندما تواجه المعدات الطبية الحادة، فسرعان ما يتحول اضطرابك إلى رعب، مما يجعل البعض يصل إلى درجة أن يقول: "يصيبك مرض جديد لم يكن موجودًا إذا ذهبت إلى المستشفى".

إن العقل المليء بالخوف والقلق لا يساعد على العلاج إطلاقًا. لذلك كنت دائمًا أقوم بتدفئة ليس سماعة الطبيب فقط، بل وأيضًا مادة التعقيم "كريسول". وإذا وجدت مريضًا يصعب عليه الجلوس أو الوقوف بنفسه بعد إجراء عملية جراحية أو إنجاب، فإنني أحيطهم بذراعي وأساعدهم على الوقوف أو الجلوس بنفسني دون انتظار الممرضات أو مرافقيهم لعمل ذلك. في البداية، بدأت عمل ذلك لأنني أردت توفير الراحة للمرضى والتعبير عن الصداقة معهم، لكن مع مرور الوقت، أدركت أن اعتناق المرضى بذراعي لمساعدتهم على الجلوس أو الوقوف كان نوعًا آخر من التشخيص. فعندما تعانق المرضى بذراعيك، تستطيع فورًا القول ما إذا كان المريض لديه حرارة، كما تستطيع الشعور بذبذباته أو نبضات قلبه بجسمك، وبالتالي فإن ذلك يساعد على معرفة حالة المريض. وإذا شعرت بأن المريض ثقيل بين ذراعيك، فقد يعني ذلك أن المريض يحتاج إلى المزيد من العلاج في المستشفى لفترة أطول قليلًا، أما إذا شعرت بأن المريض خفيف، فقد يعني ذلك أن المريض يمكنه الخروج من المستشفى قريبًا. في أثناء تبادل المشاعر مع المرضى بهذه الطريقة، بدأت أشعر بالألم عندما أجد مريضًا يتألم، أو أشعر بأن جسمي أكثر خفةً عندما أجد مريضًا تتحسن حالته.

وخلال الأيام التي جهزت فيها مكان إقامتي في الطابق التاسع من مبنى المستشفى وسكنت فيه مع والدي، كنت مشغولة بالعمل طوال اليوم، بحيث أنام لفترة قصيرة تبلغ ساعتين أو ثلاث ساعات. وفي أحد الأيام، قررت أخذ الحصول على قسط من النوم. ارتديت ثوب النوم في منتصف الليل تقريبًا. وكنت أشعر بأنني إذا واصلت التركيز على العمل بلا نوم، فسوف أنهار قريبًا نتيجة للتعب. وقلت ل نفسي إنه يجب أن أنسى شؤون المستشفى الآن وأنام قليلًا. وفي نحو الساعة الرابعة فجرًا، سمعت طرقًا على باب غرفتي. واندذهشت، وجريت إلى الباب لأفتحه. كانت هناك سيدة حامل في الشهر الثامن تقف أمام الباب.

عرفت أنها إحدى المريضات في هذا المستشفى وكانت تخضع للعلاج منذ فترة: "ماذا بك؟ هل لديك ضيق في البطن؟". كررت السؤال إليها، لكنها لم ترد. فكررت عدة مرات، وفي النهاية فتحت فمها وهي تبكي قائلة: "شعرت باضطراب وقلق... لم أستطع النوم إطلاقًا طوال الليل، وجريت إلى هنا لأنني أردت أن أراك فقط". في تلك اللحظة، شعرت بأن قلبي أصبح فارغًا. تصورت كيف جرت إلى هنا بهذا البطن الضخم خلال هذا الشارع المظلم فجرًا، وشعرت بالشفقة عليها، ومشاعر الشكر لها في الوقت نفسه. لم أقل أي شيء. فقط احتضنتها بشدة، وأدخلتها إلى غرفتي، ونمنا معًا تحت البطانية ذاتها. ويبدو أنها شعرت بتحسّن إلى حد كبير لكونها معي، وبالتالي استطاعت الاستغراق في النوم.

الملك "سيجو"، وهو الملك السابع خلال فترة مملكة "جوسون"، كان يعاني من مرض جلدي شديد، وكان يقسم الأطباء إلى ثلاثة أنواع: "طبيب الدواء، وطبيب الأكل، وطبيب العلاج النفسي"، معتبرًا أفضلهم هو طبيب العلاج النفسي. وبالنسبة له فطبيب الدواء هو الذي يعالج المريض بالأدوية، وطبيب الأكل هو الذي يعالج المريض بالأطعمة دون استخدام أي دواء، أما طبيب العلاج النفسي فهو الذي يعالج المريض نفسيًا. وهذا يعني أنه عندما تستقر نفسيًا، يمكنك استجلاب طاقة الحياة الموجودة داخل كل الكائنات الحية في الجسم، وبالتالي تتحسن حالتك الصحية.

إن دور الأطباء والمستشفيات هو علاج الأمراض بطبيعة الحال. لكن هناك عددًا

من الأمراض التي لا يمكن الشفاء منها بواسطة علم الطب الحديث. طبعاً المرضى يعرفون ذلك جيداً. ورغم ذلك، يتوقع كل منهم من طبيبه بذل قصارى جهده بقلب عطوف رحيم. أظن أن المعنى الحديث لطبيب الدواء النفسي يشير إلى الطبيب الذي يعتزم مرافقة المريض في رحلته للعلاج، مع المزيد من التفاهم والتعاطف الأعمق مع آلام المريض أكثر من أي شخص آخر.

إن أحدث المعدات الطبية ذات التقنية العالية، أو المنشآت الطبية، أو مهارات الطبيب، أو معارفه، لا تساعد وحدها الأطباء على علاج المرضى. فأحياناً قد يؤدي إخلاص الطبيب وثقته وعزمه على علاج المرض بشكل كامل، وإنقاذ حياة المريض، إلى تحقيق معجزات.

الخدمة العامة تأتي أولاً ودائماً

يقول كتاب "استراتيجية بقاء الشركات الكورية" الصادر عن المعهد الكوري للأبحاث الاقتصادية (KERI) التابع للاتحاد الوطني للاقتصاديين، إن خمساً فقط من بين ٤٧ شركة عالمية كان قد تم تقديمها في كتاب "ثمانى عادات تتمتع بها المؤسسات الناجحة" الذي حقق رواجاً ملحوظاً خلال فترة بداية الثمانينيات من القرن الماضي، قد ظلت تعمل حتى الآن. أي إنه خلال ٣٠ عاماً فقط منذ أن قدمت هذه الشركات باعتبارها شركات عالمية متينة، اختفى ٩٠ بالمئة منها. في كوريا التي تشهد تذبذبات في تأسيس وإغلاق الشركات أكثر من أي بلد من البلدان المتقدمة الأخرى، فإن العمر المتوقع للشركة أقصر إلى حد ما. وعلى أساس ذلك الكتاب، فإن عمر الشركات المسجلة في سوق البورصة الكورية يبلغ في المتوسط ٣٠ عاماً فقط. في الحقيقة خلال ٣ سنوات فقط من اندلاع الأزمة المالية في عام ١٩٩٧، أفلس نحو نصف أكبر عشرين شركة كورية. من ناحية أخرى، هناك نحو ١٦ ألف شركة في اليابان تتمتع بتاريخ طويل يرجع إلى أكثر من مئة سنة. ومن بين "شركات المئة سنة" هذه، لم تقم شركة واحدة بتغيير شعارها منذ تأسيسها.

تتماثل هذه الشركات في نقطة مشتركة، وهي التزامها كلها بفلسفة التأسيس مع التطوير المستمر للتقنية، طوال تاريخها.

ومما يجدر الإشارة إليه أن العبارة الأكثر شعبية المستخدمة ضمن مبادئ "شركات المئة سنة" تلك هي "التركيز على العملاء". ففي النهاية، تمكنت الشركات التي تضع أولوية لقيمة التركيز على العملاء من أن تكون شركات تحقق ما يطلق عليه التنمية المستدامة.

لقد وضعت ثلاثة مبادئ عندما فتحت "مركز لي غيل يو الطبي للنساء والتوليد". المبدأ الأول والأخير وهو: الخدمة العامة. يجب على كل خطوة في المراحل التي تم تصميمها وإعدادها أن تتيح أقصى راحة للمرضى، منذ لحظة وصولهم إلى المستشفى وحتى لحظة خروجهم بعد انتهاء العلاج. أما المستشفيات التي تجعل المرضى يشعرون بعدم الراحة، فهي مستشفيات نسيت سبب وجودها.

بالنسبة لي، على سبيل المثال، من غير المعقول أن يقع مكتب الطبيب بالقرب من نوافذ مشمسة، بينما توضع أسرة المرضى في زوايا ظليلة في المبنى. يجب وضع أسرة المرضى في أفضل الأماكن ببنائية المستشفى، كما يجب أن تكون دورات المياه المخصصة للمرضى نظيفة وواسعة بشكل خاص. وأيضاً يجب أن تكون جميع المعدات والمنشآت، إلى جانب الأوراق الطبية، جاهزة للاستخدام وميسرة للشرح بحيث يفهمها المريض، لكن ومع وضع مثل هذه المبادئ، وطلبي من جميع الموظفين متابعتها، إلا أنه لم يكن من السهل تغيير أسلوب تفكير جميع موظفي القسم الإداري والقسم الطبي الذين يعاملون المرضى وجهاً لوجه بشكل مباشر كل يوم. وفي أحد الأيام، وقفت مريضة أمام سرير التشخيص، وكانت مترددة في الصعود عليه. وكان الكلام الذي خرج من فم الممرضة إلى المريضة التي كنت على وشك الكشف عليها، بمثابة صدمة بالنسبة لي. قالت لها: "أسرع في الصعود على السرير". وفوراً، شعرت بسقوط قلبي إلى قدمي عندما سمعت ما قالته.

طبعاً، كان ذلك اليوم يوماً متخماً بالعمل كالعادة، وكان هناك صف طويل من المرضى الذين ينتظرون دورهم، يمتد داخل ممر العيادة. ولا بد أن الممرضة كانت

تشعر بالضيق لأن المريضة أخذت وقتاً طويلاً وترددت في الصعود على سرير التشخيص، وبالتالي قالت مثل ذلك الكلام. ومع ذلك، فلا بد أن المريضة كانت متحيرة لسماع مثل ذلك الكلام. وعندما فكرت في موقف المريضة، شعرت بالحرج في كل خلية من جسمي: "لا بأس، خذي وقتك، لا تحتاجين إلى الإسراع". قلت ذلك للمريضة لإزاحتها، ثم حاولت معاملتها بصورة ألطف أكثر من المرضى الآخرين خلال إجراء مراحل التشخيص حتى أكملت تشخيص حالتها. بعد خروج المريضة، استدعيت الممرضة وطلبت منها الاستلقاء على سرير التشخيص. وقمت بنفسني بذلك أيضاً، حيث استلقيت على سرير التشخيص أمام الممرضات الأخريات، عندما ارتديت لبس معطف الطبيب لأول مرة كطبيبة في أمراض النساء والولادة. كنت أرثدي جميع الملابس، لكنني ظللت أشعر بحيرة شديدة، وأنني غير مرتاحة للغاية للاستلقاء على سرير الكشف لدقائق. وكما توقعت، فإن الممرضة شعرت بالشيء نفسه. وبالتالي قامت فوراً والخجل يظهر على وجهها.

أي سيدة إذا جربت زيارة عيادة لأمراض النساء والولادة حتى ولو مرة واحدة، يمكنها أن تقول كم هو محرج تجربة سرير التشخيص في مكتب طبيب متخصص في أمراض النساء والولادة. وبالنسبة للسيدات اللاتي يجربن ذلك لأول مرة، فسوف تكون تلك التجربة أكثر رعباً وحرجاً؛ لذلك فمن الطبيعي أن تتردد المريضة قبل تجربة الصعود على سرير التشخيص. إذا فكرت أو جربت تلك الممرضة ذلك من وجهة نظر المريضة، فإنها لن تقوم بمعاملة المريضة بمثل تلك الطريقة.

رياضة مصارعة الثيران التي ترمز إلى إسبانيا، فيها قاعدة لا يعرفها أغلبنا، وهي تنص على إرسال المصارع المساعد أولاً، وليس المصارع الرئيس، لمصارعة الثور. وعندما يزيد غضب الثور واهتياجه تصل عدوانيته إلى الذروة، يظهر المصارع الرئيس الذي يرتدي الحلة المطرزة غالية الثمن ويحمل سيفاً طويلاً ومحرمته حمراء. إن دور هذا المصارع الرئيس هو ضرب الثور ضربة قاتلة وإنهاء المصارعة بإدخال سكين في النقطة المميتة للثور وسط هتافات الجمهور. وإذا أخطأ المصارع، فسوف يتعرض لأكبر مخاطر. وقد تكون هذه هي لحظة الوفاة أو الحياة لكل من الثور والمصارع. ومن أجل هذه اللحظة الأخطر، لا بد أن المصارع قد ظل يتدرب ويمارس تمرينات شديدة مع بذل جهود جبارة لفترة طويلة منذ

صغره. وفي مصارعة الثيران، هناك مصطلح يشير إلى هذه اللحظة، وهي (Mo- MOT (ments of Truth أي "لحظة الحقيقة".

وقد استعمل البروفيسور "ريتشارد نورمان (Richard Norman)" الأستاذ في جامعة ستوكهولم، المصطلح المستخدم في مصارعة الثيران "لحظة الحقيقة" في دائرة الأعمال، وفسره بأنه "الحالات أو التفاعلات التي يخوضها العملاء ومن ثم تؤثر تجربتهم بها بشكل كبير على موقفهم وانطباعهم تجاه المنظمة التي يتعاملون معها". ومثلما يتقرر المصير في لحظة حاسمة عندما يتواجه المصارع والثور، أيضًا يتقرر مصير الشركة في اللحظة الحاسمة التي تتواجه فيها الشركة أو موظفوها مع العملاء.

وهناك كتاب بعنوان "١٠١ قصة لتفتح قلبك وتشعل حماس روحك" للكاتب "جاك كانفيلد (Jack Canfield)"، يقدم الكثير من القصص الملهمة خاصة للأطباء مثلنا. تدور إحدى تلك القصص حول امرأة أخذت والدها المصاب بالسرطان إلى مستشفى. وفي المستشفى، حدث لها صدمة كبيرة لملاحظة والدها وهو يخضع لقسوة موظفي المستشفى في معاملته، كما تم تجريده من كرامته وكبريائه عندما ظلوا ينقلونه من هنا إلى هناك خلال بضع ساعات. وبعد اكتمال جميع مراحل التشخيص في المستشفى، قالت للطاقم الطبي هناك: "والدي الذي عاملتموه على نحو رديء اليوم، هو الشخص الذي رباني رغم الظروف الصعبة، وأخذني وأعطى يدي إلى زوجي، وتسلم ولدي عندما أنجبته، وسرى عني عندما كنت أشعر بالحزن".

* *

في دائرة أعمال الخدمة في الآونة الأخيرة، تسعى المزيد من الشركات لتنفيذ تدريب "خلال المشي (walk through)". وتشير هذه العبارة إلى برنامج يلزم الموظفين بتجربة خط الخدمات نفسه الذي سوف يسير فيه العملاء. على سبيل المثال، إذا كان ذلك في مستشفى، فإنه يطلب من الطاقم الطبي القيام بتجربة جميع المراحل المتعلقة بزيارة المستشفى بدءاً من نقطة رؤية المرضى، ومروراً

بعملية الحجز للتشخيص، وقبول الحجز، والانتظار، والتشخيص والعلاج، ثم أخذ الدواء، وحتى إعادة الزيارة.

لقد قرأت مقالاً كتبه طبيب كان يعمل مديراً لمستشفى عام كبير، تحدث فيها عن خبرته حول دخول المستشفى باعتباره مريضاً مصاباً بالسرطان. وقال إنه أدرك كمية المشاكل التي كان ينطوي عليها نظام المستشفى، كما أدرك أيضاً أن الموظفين الطبيين كانوا غير لطفاء. وهذا هو ما يسمى بـ "التركيز على العملاء". وبموجبه، تقوم بوضع نفسك مكان العملاء، وتجربة "لحظة الحقيقة" من وجهة نظر المريض، الأمر الذي يجعلك تتعلم كيف يشعر المرضى أثناء زيارتهم للمستشفى. إن مفهوم "التركيز على العملاء" أو "رضا العملاء" يؤكدان على محبة الإنسان الذي تتعامل معه، كما أن هذه هي أهم قيمة ثمينة لا أستطيع نسيانها ولو للحظة واحدة، خلال إدارتي لقيم المصلحة العامة.



٩. القضية الكبرى دائماً لها مكافأة

ابدل قصارى جهدي، ثم انتظر الدعم من الله

لقد ظللت أسعى لأن أكون امرأة تحقق احتياجات العالم. ربما يمكن أن أصف ذلك بأنه نوع من رد الدين نحو المجتمع. عندما كبرت، ظللت أفكر أنه لا بد من وجود دور مهم يجب أن أقوم به في هذا المجتمع. أعتقد أن ذلك مستوحى من الكتب التي قرأتها عندما كنت صغيرة، أو ربما قبل أي شيء، مستوحى إلى حد كبير من تعليمات والدتي التي ظلت تؤكد على أهمية خدمة الناس. لقد آمنت بأن العمل على جعل الآخرين سعداء هو مهمتي ومصدر سعادتي. وبناء على هذا الاعتقاد، وجدت من حولي الكثير من الأعمال والواجبات التي أستطيع أن أقوم بها، التي يجب أن أفعلها، أكثر مما توقعت. لقد بذلت قصارى جهدي من أجل تحويل قناعاتي ووجهات نظري إلى واقع فعلي. وكانت الثمار التي جنيته من أداء مهامي التي فعلتها من أجل الآخرين، وليس لتحقيق مصالحهم، أكثر حلاوة وجمالاً. عندما رأيت العديد من الناس قد أصبحوا سعداء بفضل أنشطتي وقراراتي، كنت أشعر بالفرحة والسعادة لدرجة أنني لا أستطيع العثور على كلمات للتعبير عن ذلك.

تقوم "مؤسسة غاتشيون غيل" حالياً بإدارة ثلاثة معاهد للعلوم الأساسية، وهي تتميز بأعلى مستوى من التقنيات في كوريا. ويشتمل ذلك على معهد أبحاث علم الدماغ (المدير: "جو جانغ هي") وقد اعتبرت وزارة التعليم والعلوم والتكنولوجيا ذلك المعهد جامعة ذات مستوى عالمي WCU، و"معهد لي غيل يو لأبحاث أمراض السرطان والسكري" (المدير: الدكتور "بارك سانغ تشول")، بالإضافة إلى "معهد غاتشون لأبحاث تكنولوجيا النانو الحيوية" (المدير الشرفي: د. ستيفن تشو). لقد شرحت مسبقاً كل التفاصيل حول كيفية تمكني من دعوة كل من الدكتور "جو جانغ هي" والدكتور "بارك سانغ تشول"، وهما عالمان بارزان على مستوى العالم، إلى مجموعتنا. وعندما أسست "معهد غاتشون لأبحاث تكنولوجيا النانو الحيوية"، تم تعيين الدكتور "ستيفن تشو" الحاصل على جائزة نوبل في مجال الفيزياء كمدير فخري. وفيما بعد، تأكدت من أن قراري بتعيينه في منصب المدير الفخري كان صحيحاً، حيث عين وزيراً للطاقة خلال رئاسة أوباما.

كل الناس يقولون لي إنني قد حققت إنجازات عظيمة، لكن عندما أعلنت لأول مرة عن خطتي لتأسيس معاهد أبحاث العلوم الأساسية، ظن كل الناس أنني مجنونة. رد

الفعل هذا كان مفهومًا، لأنني كنت قد خططت لتأسيس المعاهد الخاصة بأبحاث العلوم الأساسية، المتميزة بالتكنولوجيا الحديثة، بينما الحكومة نفسها لم تحاول وضع مثل هذه الخطط، وفوق ذلك خططت لتأسيس ثلاثة معاهد في آن واحد. في الحقيقة كانت تلك الخطط ضخمة محفوفة بمخاطر محتملة هائلة، مما يشير إلى أنني كنت في حالة أشبه ما تكون بالمقامرة التي سيتم من خلالها بقاء المؤسسة أو إغلاقها. وفي الحقيقة، كان الأمر خطيرًا إلى حد بعيد؛ لأنه لم يكن هناك أي احتمال بتحقيق أرباح فورية حتى ولو نجحت في إطلاق المشروع بنجاح.



②



①



③

ثلاثة معاهد تابعة لـ "مستشفى غاتشيون غيل":

- ١- "معهد أبحاث علم الدماغ"،
- ٢- "معهد غاتشون لأبحاث تكنولوجيا النانو الحيوية"،
- ٣- "معهد لي غيل يو لأبحاث أمراض السرطان والسكري".

تبدو العلوم الأساسية مجالاً واعداً أمام أعين الجميع، لكنها في الحقيقة مجال يتطلب استثمارات مالية بلا حدود، ولا يستطيع أحد أن يتوقع بالتأكيد كم من العوائد المالية التي سوف نجنيها، أو إذا ما كنا سنحقق إنجازات، ولا أحد يعرف إذا كانت مثل تلك الإنجازات سوف تؤدي إلى تحقيق أرباح مالية لصالحنا. ولكل تلك الأسباب، كان الكثير من الناس داخل المؤسسة وخارجها يعارضون خطتي لتأسيس المعاهد البحثية الرئيسية. لم يكونوا مخطئين في معارضتهم لتلك الخطة. فليس هناك ما يدعو لذكر أن تحقيق الربح يعد أهم جزء في إدارة العمل. ومن ثم، فأى شركة لا تحقق ربحاً، لا يوجد سبب لوجودها. والعمل التجاري يستطيع أداء مسؤولياته الاجتماعية وواجباته فقط عندما تحقق منتجاته عوائد وأرباحاً.

لكنني في الوقت نفسه أحذر من عدم التمكن من رؤية قيمة مستقبلية بسبب التركيز على تحقيق أرباح فورية. حيث يمكنني المضي قدماً إذا كانت المشروعات ضرورية من أجل المجتمع، وإذا كانت هذه المشروعات ستستخدم في المستقبل بصورة قيمة، حتى ولو لم أستطع تحقيق أرباح فورية. وقد جاء استثماري في العلوم الأساسية على أساس هذا الاعتقاد.

حتى الآن، أنفقت أكثر من ٢٠٠ مليون دولار على تأسيس هذه المعاهد البحثية الثلاثة وإدارتها. طبعاً لم تنتج هذه المعاهد أي شيء باستثناء بعض الرسائل البحثية الأكاديمية. في هذا السياق، من الصحيح أن يظن الناس أنني فقدت عقلي. لكن ماذا أفعل؟ لقد ظلت أعتقد أن هذا شيء لا أحد يستطيع أداءه إلا أنا فقط. في فترة بداية السبعينيات، كان "مركز لي غيل يو الطبي للنساء والتوليد"، هو المركز الطبي الوحيد في كوريا المجهز بمصعد ومعدات فحص البطن بالموجات

فوق الصوتية. عندما جهزت المركز بالمعدات الطبية عالية التقنية التي تتكلف أموالاً طائلة، وبدأت تنفيذ المشروع الخاص ببناء مستشفى على الطراز الحديث، هز الكثير من الناس رؤوسهم قائلين: "فيم تفكرين عند بناء مركز متخصص في أمراض النساء والولادة، مجهز بمعدات غالية في مثل هذه المنطقة الفقيرة من مدينة إنتشون؟"، في الحقيقة، عندما أعلن "مركز لي غيل يو الطبي للنساء والتوليد" عن سياسة "عدم دفع مبلغ تأمين مسبقاً" التي لم تحاولها المستشفيات الأخرى في كوريا، كان الناس يظنون أنني أسير نحو الفشل. ولكن تدريجياً، أدرك الناس هدفي الحقيقي الذي أولي له أكبر أهمية وهو أن حياة المرضى أكثر أهمية من المال، من ثم اختار المزيد من الناس "مركز لي غيل يو الطبي للنساء والتوليد" بدلاً من أي خيارات أخرى كانت متاحة أمامهم.

بعد عودتي من اليابان بعد انتهاء دراستي هناك، استثمرت جميع المال الذي كان عندي في تأسيس "مستشفى غيل"، وهو أول مؤسسة طبية تديرها طبية في كوريا، وقد كان الناس مذهولين وقلقين في الوقت نفسه، لكن إذا أهملت نداء العصر الذي يؤكد على ضرورة تأسيس مؤسسة طبية، وقررت أن أرضى بإدارة المركز الطبي في منطقتي وأحقق أرباحاً جيدة، فإن "مؤسسة غاتشون غيل" لم تكن تظهر إلى الوجود مثلما حدث.

وقد توالى انخراطي في مشروعات قال الناس إنني كنت مجنونة بسببها، لكنني في النهاية نجحت وحققت الأهداف التي كنت أحلم بها. وافقت على أنني حققت نجاحاً إلى حد كبير، نظراً لأنني بدأت بمركز طبي صغير مجهز بعيادة تبلغ مساحتها ٢٦ متراً مربعاً فقط في عام ١٩٥٨، لكن الآن تحول هذا المركز إلى مستشفى عام يحتل المراكز الأولى بين جميع المستشفيات العامة الموجودة في كوريا، من حيث عدد الأسرة.

من الخطأ التفكير بأنك تستطيع الحفاظ على مكانك أثناء رحلتك المسماة بالحياة، التي قد تكون طويلة حسب اعتقادك. إنك تبدأ في التدهور في اللحظة

التي تقرر فيها الحفاظ على الوضع الراهن؛ لأنك أثناء البقاء في مكانك، سيتقدم العالم إلى الإمام دون توقف، ومع عدم تمكنك من رؤية ذلك. وللسبب نفسه، فإن مواكبة سرعتي واتجاهي مع سرعة العالم ليس إلا مجرد حفاظ على الوضع الراهن. فالتقدم والنجاح بالمعنى الحقيقي، يصبحان ممكنين عندما تكون رائدًا في سير طريق جديد يرفضه أغلب الناس، والمضي قدمًا بخطوات أسرع قليلًا مقارنة مع سرعة الآخرين.

أحلامي دائمًا في حالة "قيد التنفيذ". ومؤخرًا يتركز اهتمامي كله على "جامعة غاتشون". التي ولدت من خلال عملية دمج بين "جامعة غاتشون للطب والعلوم"، و"جامعة كيونغ وان"، وبالتالي تعتبر "جامعة غاتشون" إنجازًا ناجمًا عن مجهودات مبذولة خلال عشر سنوات. بعد عملية الدمج لمرتين، الأولى في عام ٢٠٠٥ بين "كلية غاتشون للطب" و"جامعة غاتشون"، والثانية عام ٢٠٠٦ بين "جامعة كيونغ وان" و"كلية كيونغ وان" التي كانت قد تأسست قبل ذلك بعامين، صرت مستعدة تمامًا للعام الجديد ٢٠١٢. ويخفق قلبي بالإثارة عندما أفكر فقط في مستقبل "جامعة غاتشون" التي سوف تتقدم وتتصدر قائمة الجامعات الممتازة عالميًا.

لقد ظلت هاتان الجامعتان تعززان قدراتهما في مجالتهما المتفوقة. لذلك حين تندمجان في كيان واحد، فسوف يؤدي ذلك إلى تقوية النقاط القوية في كل منهما ورأب النقاط الضعيفة. وإذا اتحدت هاتان الجامعتان، فسوف تتحولان إلى جامعة ضخمة يبلغ عدد طلابها ٢٠ ألفًا. لكن حجم الجامعة لا يعني أي شيء. لقد دمجتنا ١٥ قسمًا من الأقسام التي كانت متماثلة أو مكررة من حيث طبيعتها، من أجل زيادة الفعالية. كما استطعنا تحسين الفعالية على مستوى الإدارة ومستوى الاقتصاد على حد سواء، بفضل توحيد الهيئات في هيئة واحدة. ونتيجة لذلك تمت تقوية الكفاءات التعليمية والبحثية. بالطبع كان هناك الكثير من العوائق التي كانت تعرقل مراحل الدمج والتوحيد. ولكن في شهر سبتمبر من العام الماضي، فإن وزير

التعليم والعلوم والتكنولوجيا "لي جو هو" أثناء زيارته لجامعتنا، قال لموظفيها: "إن إعادة هيكلة جامعة تعتبر تحركاً مهماً للغاية على مستوى الوطن. وفي هذا السياق، تبدو "جامعة غاتشون" بنفسها نموذجاً ممتازاً في الإصلاح الهيكلي. "إن وضع نموذج للآخرين يعني تحمل الكثير من المسؤوليات والأعباء. لكن أن يكون النموذج ناجحاً من حيث إعادة هيكلة جامعة، فسوف يقدم صورة مثالية لمستقبل الجامعات، وهو شيء يمكنني أن أحققه".

عندما تأسست "جامعة غاتشون للطب والعلوم"، لم يتوقع أحد أن تصدر الجامعات الممتازة الجديدة في ضواحي العاصمة سيئول. وقد عبر الكثير من الناس عن قلقهم ومخاوفهم بدلاً من التشجيع. وفي الحقيقة، واجهت الكثير من العوائق، لكنني كالعادة تغلبت على ذلك القلق والمخاوف، وواجهت بنفسني التحديات مراراً وتكراراً، وحققت أحلامي مرة تلو الأخرى.

عندما أراجع الفترات الماضية، يتضح لي أنني لم أشهد أي لحظة كنت أشعر فيها بعدم الرضا طوال حياتي. إذا لم يكن لدي حماس أو روح للتحدي، فلربما كنت أعيش الآن باعتباري ربة منزل سعيدة، وإذا كنت رضية، مثل أي فتاة قروية، بتخرجي في كلية الطب بجامعة مرموقة في العاصمة سيئول، وارتدائي معطف الطبيب، فلربما كنت الآن أستمتع بحياة مريحة بعد التقاعد، حيث أفضي وقتاً ممتعاً مع أحفادي أو في السفر. طبعاً هذا النوع من الحياة يعتبر رائعاً للناس العاديين إلى حد كبير. لكنني لم أكن أريد ذلك. حيث إن حياتي ظلت مركزة على المستشفيات والجامعات.

لا يوجد أي جبل لا تستطيع تسلقه

الموقع الراهن لـ"مستشفى غيل التابع لجامعة غاتشون للطب"، الواقع في منطقة "غوول - دونغ"، في مدينة إنتشون هو مجمع طبي ضخم، حيث تقع فيه عشرة مراكز طبية متخصصة، بما في ذلك المركز الخاص بالسرطان، والمركز الخاص بأمراض القلب والأوعية الدموية، والمركز الطبي للطوارئ، بالإضافة إلى

المبنى الرئيس لـ"مستشفى غيل"، كما يقع فيه العديد من معاهد البحوث الطبية، بما في ذلك معهد أبحاث علوم الدماغ. المستشفى محاط بالكثير من المباني السكنية، كما يقع مبنى بلدية المدينة بالقرب منه، ولذلك فهذه المنطقة تعتبر الأكثر ازدحاماً في وسط مدينة "إنتشون". وكلما لاحظت مشاهد المنطقة وهي تتغير تماماً، شعرت بوجود متغيرات كثيرة وكأنني صرت في عصر آخر. فعندما تأسس "مستشفى غيل" في عام ١٩٨٧، كانت هذه المنطقة أرضاً قاحلة عريضة، ولم يكن فيها أي مبنى من المباني الحديثة الحالية.

منذ البدء في أعمال بناء "مستشفى غيل"، خططت لبناء مستشفى عام ضخم، يتم فيه دمج جميع أنشطة الخدمات الطبية والتعليم والأبحاث العلمية في مكان واحد. ووسط ذلك، سمعت خبراً مهماً يقول إن المنطقة القريبة من مناطق "غوول - دونغ" ستتم فيها عملية تطوير، وهي التي يقع فيها مبنى بلدية مدينة "إنتشون"، وقد تم تعيينها باعتبارها منطقة خاصة للمنشآت الطبية. وفوراً بدأت في التخطيط لبناء مستشفى جديد. كانت المنطقة المعينة للمنشآت الطبية في منطقة "غوول - دونغ" محاطة بمجمعات صناعية، مثل مجمع "بويونغ"، ومجمع "جوان"، ومجمع "بانول". كما أن مجمع "شيهوا"، ومجمع "نام دونغ"، وهو أكبر مجمع صناعي مخصص للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة، سيتم بناؤهما في المنطقة أيضاً. يعتبر هذا الموقع أفضل مكان لإنشاء مستشفى عام ضخم. لكن المقربين مني أبدوا تشاؤمهم عندما سمعوا خيارى لبناء مستشفى جديد: "إن تخصيص منطقة للمنشآت الطبية أمر جيد، وعلى الجانب الآخر كان العشب ينمو. وقالوا إن مبنى إدارة المدينة والمجمعات الصناعية سوف تقع فيها في المستقبل، لكن من يعرف متى يتم بناؤها نهائياً؟"، كما قيل أيضاً: "من من المرضى سيأتي إلى مثل هذه الأراضي الشاسعة القاحلة؟ سوف تتعرضين للفشل إذا بنيت مستشفى عاماً ضخماً ولم يزره أي مريض".

لقد أشاروا إلى نقطة صحيحة، وهي أنه إذا لم يتم بناء مبنى بلدية المدينة خلال المستقبل القريب، قد يؤدي ذلك إلى كارثة هائلة. وإذا فشلت المجمعات الصناعية

في الحصول على الموافقات الضرورية من الحكومة لبنائها، فسوف يؤدي ذلك أيضاً إلى كارثة خطيرة بالنسبة لي. وفوق ذلك، لا أحد يستطيع أن يقول كم من الوقت سيستغرق بناء المجمعات الصناعية ونقل الشركات إليها، وذلك في حالة تنفيذ الخطط بصورة ملائمة. لكن في اعتقادي، فإن مدينة كبيرة مثل مدينة "إنتشون" تشهد نمواً مستمراً ملحوظاً، وهي تحتاج إلى المزيد من المناطق المخصصة للأنشطة الاقتصادية. لكن المناطق الرئيسة القائمة في المدينة تشهد زيادة كبيرة في أسعار أراضيها، وقبل كل شيء، فإن العرض والطلب على الخدمات الطبية وصلاً بشكل كبير إلى درجة من التوازن. لذلك بالنسبة لي، يعتبر ذلك بالمعنى الحرفي مجالاً غير واعد، مثل "المحيط الأحمر (Red Ocean) بالنسبة للأعمال التجارية".

إن طبيعتي العملية تتميز بالاستماع إلى الكثير من الآراء بقدر الإمكان أثناء مراحل التخطيط، لكن عندما أصل إلى مرحلة اتخاذ قرار نهائي، فإنني أصبح حازمة. وفوراً قررت شراء الأرض ثم بدأت عملية البناء. وهكذا تم إنشاء "مستشفى غيل"، وبعد ٦ أشهر فقط من افتتاحه، انشغلت كل أسرته البالغ عددها خمسمئة. وسرعان ما وسعت المنشآت لزيادة عدد الأسرة إلى ألف، ولكن بعد مرور سنة واحدة فقط، امتلأت كل تلك الأسرة بالمرضى أيضاً. إن مشهد ناطحات السحاب والازدحام الذي رأيته على تلك الأرض الواسعة والمفتوحة قبل ٢٠ سنة، لم يكن مشهداً خيالياً، بل كان هو المستقبل الحتمي.

من الغباء تضييع الوقت والطاقة في القلق من مستقبل لم يأت بعد، أو القلق من جميع السلبيات والاستحالات، بينما يوجد احتمال كاف للنجاح. إذا كنت مهووساً بالسلبيات بشكل مفرط، فلن يكون لديك قدرة على رؤية الإيجابيات. هذه هي "الإدارة العملية المتفائلة من طراز "لي غيل يو". إن التشاؤم آلية تفكير ضرورية فقط عندما نتأمل كيفية تخفيض المخاطر وعدم الوضوح، لكنه غير ضروري في مرحلة التنفيذ. وفي النهاية، فإن قوة التفاؤل أقوى من قوة التشاؤم. والسير على طريق التحديات يكون محفوظاً دائماً بالمخاطر. وفي اللحظة التي تقرر فيها وضع نفسك أمام تحدٍّ ما، فهذا يعني أنك قد قمت على الفور بالخطوة الأولى تجاه

يقول البعض "إن العالم واسع، والفرص العديدة متاحة". وهنا يأتي السؤال: من بين تلك "الفرص العديدة المتاحة" في هذا العالم الواسع، أي فرصة ستكون مناسبة لي؟

إن أفضل طريقة لمعرفة قدراتك هي أن تضع نفسك أمام الأوضاع الحقيقية بصورة تفصيلية. وبالتالي يمكنك معرفة أي عمل تحبه وتستطيع أداءه بشكل أفضل، وأي عمل لا تحبه ولا تستطيع أداءه بنجاح. طبعًا قد يتوجب عليك دفع التكلفة اللازمة في مراحل تكرار المحاولات والأخطاء. ورغم ذلك، أؤكد مرارًا وتكرارًا أن المحاولات والأخطاء، بل وحتى الفشل، كلها أجزاء متكاملة من خطتك وتحدياتك، وأنها ليست تكلفة غير مفيدة. إنها استثمارات دون شك. كلها تربة خصبة سوف تجني بفضلها ثمارًا وفيرة في المستقبل.

لذلك عند تربية الأطفال، من المهم مساعدتهم على التعرض لمختلف أنواع الخبرات من التحديات والنجاح والفشل بقدر الإمكان منذ فترة طفولتهم. يستطيع الأطفال تعلم أشياء كثيرة حول أنفسهم خلال هذه المرحلة. وإذا كبر هؤلاء الأطفال ووصلوا إلى اللحظة التي يجب عليهم فيها اتخاذ قرار مهم بشأن حياتهم، فسوف يستطيعون تحديد واختيار ما يريدونه بصورة حقيقية. وإذا جاءت لهم فرصة، فسوف تصرخ كل حواسهم ومشاعرهم قائلة: "هذا هو. هذا هو الشيء الذي أريده!". ونحن نسمى ذلك بـ"الحمض النووي (DNA) للتحدي". قد يبدو أن بعض الناس يتخذون قراراتهم بصورة أسهل من الآخرين، أو يحققون إنجازات دون بذل جهود جبارة. لكنهم في الواقع متفائلون وقد تعلموا كيف يستمتعون ويعيشون حياتهم، وبفضل التحديات وتجارب الفشل المتكررة التي جربوها، والتي أصبحت تربة خصبة في حياتهم يستطيعون النجاح. فإذا كان هناك شيء تريد أن تفعله حقًا، فابدأه فورًا. لا تخف من الفشل. سوف تصل إلى الهدف المرغوب النهائي يومًا ما، طالما تمتلك قلبًا حانيًا تجاه البشر.

لا تستهن أبداً بالقيمة المستقبلية

لقد ظلت شركة كوداك (Kodak) اليابانية على القمة عالمياً لفترة طويلة في مجال التصوير وأجهزة الكاميرا وأفلام التصوير، لكنها فشلت في توقع تأثيرات الثورة الرقمية، التي أدت إلى انهيار صناعة أفلام التصوير. وعندما أدركت هذه الشركة أن رقائق الذاكرة الرقمية ستحل محل أسرطة التصوير، ركزت على إنتاج الشرائط المخصصة للسينما، بدلاً من أن تتحول إيجابياً إلى الاتجاه الأحدث. وفي النهاية، صارت الشركة تمشي في اتجاه معاكس لمتغيرات العصر، حتى وصلت إلى الانهيار. ويطلق على مثل هذا النوع من الضرر الاقتصادي اسم "التكلفة الغارقة (sunk cost)"، وهو ما يشير إلى التكلفة التي أنفقتها، لكن لا يمكنك استعادتها. وقد تكون تكلفتك الغارقة أكبر عندما تخطئ في اتخاذ قرار. في هذا السياق، فإن شركة كوداك تعتبر أفضل نموذج يشير إلى كيفية اتخاذ قرار يؤدي إلى بقاء أو انهيار شركة حسب كفاءة صاحبها لرؤية المستقبل والتصدي للمتغيرات المستقبلية.

إن القدرة على توقع المستقبل ومواكبة متطلباته تعتبر أسراراً مهمة في التنافس، ليس فقط بالنسبة للشركات، بل وأيضاً بالنسبة للأفراد. خاصة إذا كان أسلوبك نحو المستقبل يؤثر تأثيراً مهماً على مصير الشركة وأفرادها على حد سواء؛ لأننا نعيش حالياً عصرًا يشهد متغيرات سريعة بصورة غير مسبوقه من قبل. وبينما استمر المجتمع الزراعي لما يقرب من عشرة آلاف سنة، استمر المجتمع الصناعي، الذي ولد نتيجة لاختراع المحرك البخاري، لقرابة مئتي سنة فقط، ثم تم استبدال مجتمع المعرفة والمعلومات الثاني بعد مرور أقل من خمسين عاماً، بمجتمع المعرفة والمعلومات الأول الذي بدأ في أواخر القرن العشرين، وسوف يستمر التغيير نحو نوع جديد من المجتمع دون توقف حتى خلال هذه اللحظة.

قبل نحو مئتي عام خلال فترة المجتمع الزراعي، كان المستقبل يعتبر أياماً بعيدة عن الحاضر. حيث إن المستقبل بالنسبة لأعضاء المجتمع آنذاك كان شيئاً

من الشؤون المتعلقة بجيل الأحفاد بعد مرور عشرات أو مئات الأجيال، وكأنه أمر لا علاقة لهم به، لذلك لم يكن مهمًا بالفعل. وبالتالي فإن الخبرات والمعارف التي كانت تتراكم في الماضي، كانت مهمة أكثر من الكفاءات التي يتوقع قدومها مستقبلاً؛ لأن الهيكل الاجتماعي الذي كان كل فرد من أفراد المجتمع فيه يعيش بواسطة الفلاحة مع تلبية أنظمة الطبيعة، كان مستمرًا مع الحفاظ على نفس النمط منذ الزمن القديم الذي لا يعرفون بدايته. ونتيجة لذلك حظيت معرفة وحكمة المسنين بالاحترام، وكان المسنون دائماً موضع إعجاب جيل الشباب.

لكن المستقبل بالنسبة للناس في هذا العالم المعاصر يشير إلى ما قد يحدث غداً، كما أن هذا المستقبل يعتبر شيئاً يحمل إمكانية التغيير الهائل الذي قد يحول حياتنا الفردية بأكملها. فكوريا يطلق عليها حالياً لقب "الدولة العظمى في مجال المعلومات والتكنولوجيا"، رغم أنه لم يمر سوى ٢٠ سنة منذ دخول مصطلح "الإنترنت" إليها لأول مرة. وكان ذلك في مطلع أعوام التسعينيات فقط عندما جرت تجارة الإنترنت على نطاق واسع، مع طرح خدمة الإنترنت للمستهلكين الأفراد. أما الآن، فقد أصبح الإنترنت بمثابة جزء ضروري من حياتنا لا نستطيع تصور العالم دونه حتى ولو ليوم واحد.

حالياً، المتغيرات تعتبر جزءاً من دوامنا اليومي، كما يوافق جميع الخبراء على أن هذه المتغيرات سوف تجري بوتيرة أسرع. وفي هذا الزمن الذي يشهد تغيرات سريعة هكذا، يتحدد النجاح حسب قدرتك على كيفية توقع المستقبل بسرعة وبصورة دقيقة، وكيفية استعدادك من أجل مواكبة تلك المتغيرات. يقول الكاتب والمفكر الكبير "بيتر فردناند دراكر" (Peter Ferdinand Druker)، الذي يطلق عليه "أبو علم الإدارة الحديثة"، إن "أهم معيار لتقييم شركة، هو كفاءتها وقدرتها التنبؤية بشأن الفرص المستقبلية للاستثمار فيها".

هناك فارق كبير بين الناس الذين دفعهم التغيير، واضطروا إلى اختياره، والناس الذين استعدوا للتغيير مسبقاً قبل أن يلاحظ أي شخص آخر ذلك. قد تكون المخاطر أكبر بالنسبة للطرف الآخر، لكن لديهم أكبر إمكانية لتحقيق أكبر

إنجازات في العالم الجديد والأوسع؛ لأنهم سوف يكونون ضمن الأشخاص الذين يقودون التغيير الراهن على أساس الاتجاه والشكل الذي خطتوا له.

إنها لصدفة مدهشة للغاية التشابه بين حروف الكلمة الإنجليزية التي تشير إلى التغيير أي "change"، وحروف الكلمة التي تعني الفرصة "chance" ويقول الكاتب بيتر فردناند دراكر: "إن الغد هو الفرصة". لقد كان قرارى لتأسيس المعاهد عالية التقنية لأبحاث علوم الدماغ والسرطان ومرض السكر، بالإضافة إلى تقنيات البايو نانو، على الرغم من جميع المعارضات والأصوات الساخرة، قائماً على إيماني القوي وثقتي الراسخة نحو قيمة المستقبل. وإن الشيء الذي يبدو جيداً في هذه اللحظة بالنسبة لعينك، هو مجرد محيط أحمر. ففي هذه المحيطات الحمراء، لم يتم ترك سمكة لتصادها السفن التي انطلقت متأخرة. إذا أردت صيد الكثير من الأسماك، فعليك الاستعداد للبحث عن المحيط الأزرق الموجود في المستقبل، بصورة جريئة.

هناك الكثير من الشباب الذين يفكرون في نوع المهنة المستقبلية قبل تقدمهم إلى المجتمع. ويقول الخبراء في شؤون المستقبل إن نحو ٩٠ بالمئة من أنواع المهن القائمة سوف تختفي في غضون الـ ٥٠ سنة القادمة. إذاً في المستقبل القريب، أي نوع من المهن سوف يظهر؟ وإلى أي اتجاه يتقدم مجتمعنا بموجبه، وأي نوع من القوى البشرية سيحتاج إليها المجتمع؟ إن توقع ذلك والاستعداد له هو سر النجاح والطريق نحو إدارة الخدمة العامة.



١٠. كن إيجابياً وواثقاً في كل ما تقوم به.

الإيجابية قوة تبني العالم

جرب الراحل ستيف جوبز (Steve Jobs) الكثير من الخبرات، خاصة عندما طرد من الشركة التي أسسها. لكنه في النهاية، أدرج كأحد أقطاب الأعمال في القرن الحادي والعشرين، حيث أثار عاصفة في كل أرجاء العالم، عندما رجع إلى الشركة، ثم طرح ثلاثة أجهزة محمولة وهي "آي بود (iPod)"، و"آيفون (iPhone)"، و"آي باد (iPad)". بينما كانت فترة طفولته متواضعة؛ لأنه قد نشأ في ظل ظروف معدمة. فقد كان طفلاً وحيداً وحساساً، تبناه رجل وسيدة غير متزوجين بعد مرور بضعة أيام فقط على ولادته. وخلال أيامه الجامعية، كان خيالياً وأدمن المخدرات والنظرية الصوفية، حتى توقف عن الدراسة؛ لأنه لم يكن قادراً على الاستمرار فيها بسبب ظروفه.

لكنه اخترع الكمبيوتر لأول مرة في العالم، كما أصبح شخصاً يتذكره الناس باعتباره مليارديراً على مستوى العالم، وعبقرياً قاد توجهات المستقبل في الأسواق العالمية في مجال المعلومات والتكنولوجيا. فما هو إذاً سر نجاحه؟ أعتقد أنه كان "الحلم"، فقد كان لديه حلم عظيم لتغيير العالم بواسطة الكمبيوتر منذ فترة طفولته، نظراً لأنه كان متأكداً من أن الكمبيوتر قد يؤدي إلى ثورة مهمة في مستوى الثورة الصناعية نفسه.

هناك أيضاً مثال مشابه في "روبرت فالكون سكوت" المستكشف البريطاني والضابط البحري، الذي قاد بعثتي الاستكشاف إلى القطب الجنوبي، مع مخاوف ومعارضات معارفه والمقربين منه. وفي يناير من عام ١٩١٢، وصل إلى القطب الجنوبي بعد التغلب على العديد من المصاعب، لكنه لم يرجع إلى بيته. ففي طريقه إلى القاعدة، واجه كارثةً بسبب الأجواء السيئة، وعانى من نقص الغذاء والإصابة بجروح، بما في ذلك قضمة الصقيع في قدميه، وبالتالي توفي في النهاية مع بقية أعضاء بعثة الاستكشاف. وفي مذكراته التي اكتشفت مع جثته فيما بعد، يقول: "سنموت مثل سادة. مع الأسف الشديد، لكنني لا أستطيع أن أكتب أكثر. جميع

الأحلام راحت". وبعد مرور ٣ سنوات، حاول المستكشف الأمريكي الكبير "إرنست هنري شاكلتون (Sir Ernest Henry (Shackleton"، عبور القارة القطبية الجنوبية. وخلال عملية الاستكشاف بواسطة البعثة، كان الأعضاء أيضًا عالقين بطوف جليدي في القطب الجنوبي لمدة ٧٩ يومًا في طقس الشتاء القاسي الذي تنخفض درجة الحرارة خلاله إلى ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر، ودون غذاء. وقد تحمل السيد شاكلتون وطاقمه المكون من ٢٢ رجلًا، مدة تزيد سنة وسبعة أشهر في ظل هذه الظروف، حتى تم إنقاذ الجميع دون خسارة أي عضو من أعضاء بعثة الاستكشاف. وبعد مرور سنة، كتب المستكشف شاكلتون في سيرته الذاتية ما يلي: "كنا عالقين في أسوأ ظروف نحو سنتين، لكننا لم نتخلَّ عن أحلامنا".

تصور أن هناك شخصين كانا يحلمان الحلم نفسه. وكلاهما قبل التحدي بشجاعة لتحقيق الحلم، ثم وجد كل منهما نفسه عالقًا في الخطورة ذاتها. في ظل هذه الظروف، تخلى أحدهما عن الحلم، بينما حافظ الثاني على تحقيق الحلم حتى النهاية. بالتالي فإن الشخص الذي تخلى عن حلمه يكون قد فشل في النهاية، بينما يكون الشخص الذي حافظ على حلمه هو الذي نجح. إن الأحلام مصدر متاح بلا حدود وبالمساواة والعدل أمام الجميع. ولا يطلب منك تحمل التكلفة أكثر إذا حلمت حلمًا أكبر، ولا تحتاج إلى تعريض نفسك لسخرية الآخرين، حتى ولو بدا أن الحلم يتجاوز حدوده في عيونهم. لذلك أقول دائمًا للطلاب الجدد في "جامعة غاتشون" مرارًا وتكرارًا: "قد تعانون من نقص النوم مثل الجمبري، ولكن يجب أن تحلموا أحلامًا عظيمة مثل الحيتان. يجب أن يكون لدى كل منكم حلم واحد على الأقل لبناء حياته. قد تكونون فقراء أو معرضين للمصاعب حاليًا، لكن إذا حلمتم، فاحلموا أكبر حلم قدر الإمكان. لا يوجد ضمان لتحقيق أحلامكم في حياتكم، ولكن طالما حافظتم على أحلامكم، وبذلتهم قصارى جهودكم لتحقيقها، سيمكنكم عيش حياة أكثر غنى في رحلتكم لتحقيق الأحلام".

لقد حققت أغلب أحلامي التي حلمت بها، حيث أصبحت طبيبة كما كنت أتمنى منذ أن كنت تلميذة في المدرسة الابتدائية، كما حققت حلمي لعلاج الذين كانوا يعانون من المرض والألم باعتباري طبيبة. وكما حلمت لعقود بتربية الأطباء

والممرضات الذين يعالجون المرضى بقلوب صادقة، وقد تحقق هذا الحلم أيضاً عندما أسست "جامعة غاتشون" للطب والعلوم.



رمزا "جامعة غاتشون"، حرم الجامعة العالمي (أسفل) وكلية الطب (أعلى)

وقد خطت "جامعة غاتشون" الموحدة خطواتها الأولى لتصبح واحدة من بين أفضل عشر جامعات ممتازة في كوريا، وفوق ذلك، أتوقع فتح أول مركز عالمي لتدريب الكوادر الخارجية بشكل غير مسبوق في المستقبل القريب. لقد تابعت بإخلاص خطوات تحقيق أحلامي الهادفة إلى جعل "جامعة غاتشون" في صدارة

الجامعات الممتازة عالمياً. ومن أجل ذلك، تم استكمال مشروعات صغيرة مثل بناء برج الرؤية، وتأسيس كلية الصيدلة، وخلق الجامعة التي يتطلع الطلاب إلى الالتحاق بها ويستمتعون بالدراسة فيها.

وتهدف خطتي إلى جعل "جامعة غاتشون" جامعة عالمية تركز على العلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية، وعلم الهندسة، وعلوم البيولوجي، ودراسات الفنون، وذلك في أثناء تنفيذ البرامج التعليمية الأساسية المتوقعة منها باعتبارها جامعة عامة بإخلاص. أما كلية الطب الواقعة في مدينة "إنتشون"، فأخطط لتطويرها لتصبح "كلية طب متخصصة" تركز على العلوم الطبية، وعلوم الأدوية، ودراسات الرعاية الصحية.

ومن بين الهيئات التابعة لـ "مؤسسة غاتشون غيل"، يوجد "مستشفى غيل التابع لجامعة غاتشون"، كما توجد شركة مكلفة بتنفيذ مشروع تطوير "مجمع أبحاث البايو (Bio Research Complex)"، ويطلق عليها: BRC. لقد اشترت شركة BRC مساحة تبلغ نحو ٢٠٠ ألف متر مربع في منطقة "سونغ دو"، وهي المدينة الجديدة الدولية الواقعة ضمن مدينة "إنتشون"، وتجري حالياً عمليات إنشاء مجمعات لأبحاث BT، وIT، بالإضافة إلى NT. بينما اكتمل مشروع BRC، وسوف تمتلك "جامعة غاتشون" مجمعاً طبياً آخر عالي التقنية سيقوم بإجراء أبحاث خاصة بابتكار أدوية جديدة، وتطوير المعدات الطبية، والخدمة الطبية عالية التقنية، وغيرها.

قبل دمج "جامعة غاتشون"، سألت بعض الخبراء الخارجيين حول مستقبل الدمج. كان ذلك في شهر يوليو من عام ٢٠١١، حيث انعقد مؤتمر خاص بمديري المدارس العامة الواقعة في كل أرجاء كوريا، في مبنى برج الرؤية بـ "جامعة غاتشون". وقد شارك فيه نحو ٥٠٠ من مديري المدارس القادمين من كل أرجاء البلاد، وقد أجريت دراسة استبائية من خلالها أظهرت نتائجها أن ٩٨,٣٪ من مديري المدارس المشاركين في الاستبيان يعتقدون أن "جامعة غاتشون" تستطيع تحقق رؤيتها لتصبح ضمن "أفضل عشر جامعات خاصة".

يدل ذلك على أنني قد حلمت دائماً لأكون الأفضل. وأنا أعرف جيداً أنني يجب أن أخوض طريقاً طويلاً قبل الوصول إلى الغرض النهائي وجعل الجامعة أفضل جامعة عالمية. لكنني لم أفكر حتى ولو لحظة واحدة، في أن ذلك الحلم كان "مستحيلاً"، وبدلاً من ذلك، كنت أفكر في "الإمكانيات" في أي وضع صعب. يتقدم هذا المجتمع إلى الأمام ليس بالذين ينظرون بتشاؤم، بل بمن ينظرون بتفاؤل.

رد العطاء الذي استفدت منه

خلال أعوام الخمسينيات، كانت هناك تجربة باستخدام القروود في جزيرة غير مأهولة تدعى كوزيما في منطقة ميازاكي اليابانية، حيث تم تقديم بطاطس للقروود، ثم تمت مراقبة ردود أفعالها. في البداية، نظفت هذه القروود البطاطس المغطاة بالتراب ثم أكلتها، وسرعان ما بدأت القروود بعد ذلك في غسل البطاطس بمياه النهر قبل أكلها. ومرت سنوات، وزاد عدد القروود التي اعتادت على هذه الطريقة لغسل البطاطس بمياه النهر، وفي أثناء ذلك، تمت ملاحظة ظاهرة عجيبة للغاية، وهي أن القروود التي كانت تسكن في الجزر والغابات الواقعة في مواجهة موقع التجربة، قد بدأت أيضاً في غسل البطاطس بمياه النهر. في علم الاجتماع، يطلق على مثل هذه الظاهرة مصطلح "ظاهرة القرد المئة"، وقد جاء هذا المصطلح لأول مرة على لسان عالم الحيوانات وعالم دراسات الإنسان "ليال واتسون (Lyll Watson)". ويقوم المصطلح على نتائج التجربة التي أجريت في معهد أبحاث بيئة الحيوانات الواقع في اليابان. وإن النقطة الرئيسة لهذه النظرية تشير إلى أنه عندما يصل عدد الممارسين لعادات جديدة أو تصرف ثقافي جديد إلى نقطة محددة، فلن تقتصر هذه العادات الجديدة والتصرف الثقافي على هذه المجموعة المعينة، بل ستنتشر بسرعة إلى مجموعات أخرى بغض النظر عن الوقت والمكان. والجدير بالذكر أن نتيجة التجربة أظهرت أن القروود الكبيرة في السن لم تقبل الأسلوب الجديد لأكل البطاطس في البداية، لكن عندما اتخذ عدد معين من القروود هذه العادة الجديدة، فإنه حتى القروود المسنة أيضاً قبلت هذا التغيير ثم بدأت متابعة أسلوب المجموعات الأخرى. ونتيجة لذلك فإن جميع القروود الساكنة في

المناطق المجاورة للجزيرة بدأت أيضًا في غسل البطاطس بمياه النهر قبل أكلها.

أحيانًا يرى العديد من الناس أن "التسويق" يعتبر مفهومًا يتعلق دائمًا بالأعمال التجارية وشؤون المؤسسات التجارية فقط، حتى إن الخبراء في إدارة الأعمال أيضًا كانوا يظنون ذلك، لكن "فيليب كوتلر" (Philip Kotler) و"سيدني ليفي" (Sidney J. Levy)، وهما عالمان في إدارة الأعمال، رفضا ذلك قائلين: "إن التسويق لا يقتصر على الأعمال التجارية، حيث إنه ضروري في المنظمات غير الربحية أيضًا، مثل المستشفيات والمدارس والكنائس، وحتى في الدائرة السياسية".

ومثل هذه المنظمات غير الربحية لا تقدم بضائع أو خدمات، لكنها بوضوح تقدم "قيمة" للمرضى والطلاب والمؤمنين والناخبين، مقابل "تكلفة معينة". ويقول كل من كوتلر وليفي إن هناك ضرورة لقيام حتى المنظمات غير الربحية بأخذ هذه المفاهيم في الاعتبار، مثل التوزيع والتسويق والترويج. وقد وافق على هذه الفكرة في النهاية الأشخاص الذين عارضوها بسبب مخاطر تخفيف المعنى الأصلي للتسويق وهويته. وحاليًا تقتصر هذه الفكرة على تعريف التسويق الصادر عن الاتحاد الأمريكي للتسويق (AMA).

وقد تطور هذا الوعي حاليًا إلى مفهوم "المسؤولية الاجتماعية للشركات Corporate Social Responsibility" المعروف اختصارًا بـ"CSR" في أي منظمة أو مجموعة عندما تبلغ حدًا معينًا تصبح فيه مطالبة بأداء مسؤوليات اجتماعية محددة في المجتمع والدولة، بالإضافة إلى قيامها بأداء مهامها الأصلية. وتشتمل هذه المسؤوليات الاجتماعية المتوقعة منها: الاستثمار في البيئة، وبرامج المنح الدراسية، ومختلف أنواع البرامج الثقافية. ومؤخرًا، أدرك المزيد من الشركات أهمية الاستثمار على المدى الطويل، بما في ذلك الترويج لقيمة العلامة التجارية، وتستفيد الشركات من مفهوم المسؤولية الاجتماعية للشركات (CSR) في استراتيجيتها للإدارة.

خلال أعوام الستينيات، في أغلب صالونات تصفيف الشعر الواقعة في مدينة "إنتشون"، كان التقويم السنوي الذي يحمل شعار "مركز لي غيل يو الطبي

للنساء والولادة" ورقم هاتفه معلقاً على حوائطها. وقد لفت هذا التقويم انتباه الناس لأنه كان يحتوي على صور مشاهير هوليوود مثل النجمة إليزابيث تايلور (Elizabeth Taylor)، أو أودري هيبورن (Audrey Hepburn)، ليس هذا فقط، بل حتى اللفافات الورقية المستخدمة في تمويج الشعر أو الغطاء البلاستيكي الذي يوضع على الكتفين، تمت طباعة اسم المركز الطبي عليه أيضاً. كان ذلك بالصدفة الخالصة عندما بدأت الترويج لمركزي الطبي لأمراض النساء والولادة، بواسطة صالونات تصفيف الشعر التي يطلق عليها "مراكز التسويق من خلال الثرثرة"، التي تزورها الفتيات والسيدات في أحيان كثيرة.

وبعد مرور سنوات على افتتاح "مركز لي غيل يو الطبي للنساء والولادة"، زارني بعض المسؤولين من اتحاد صالونات تصفيف الشعر في مدينة "إنتشون"، وقالوا لي: "يا دكتورة، هناك بعض البنات اللاتي يدعين "سيدا" -متدربات يتعلمن تقنيات تصفيف الشعر في تلك الصالونات- لا ينيون زيارة المركز الطبي حتى ولو أصبن بأمراض نسائية. وطبعاً فهن غير قادرات على تحمل التكلفة، لكن أكبر مشكلة أن أغلبهن صغيرات في السن، أي إنهن يخجلن ويخفن من زيارة المركز الخاص بأمراض النساء والولادة. وهذا هو سبب زيارتنا لك وللمركز. فهل يمكنك تقديم بعض الخصم في المصاريف عندما تزور هذه الفتيات المتدربات مركزك الطبي؟ أو هل يمكن دفع تكلفة التشخيص والعلاج بنظام الائتمان؟ إذا وافقت على ذلك، فسوف نعمل أي شيء نستطيع أن نفعله للترويج لمركزك الطبي".

وجدت أن هذا الاقتراح غريب إلى حد ما في البداية، لكنهم زاروني لأنهم كانوا قد سمعوا أنني مهتمة بالخدمات الاجتماعية العامة. وقد وافقت على اقتراحهم فوراً خلال اللقاء. في الحقيقة، قمت بتشخيص حالاتهن بالمجان آنذاك، حيث لم يكن لدي أي سبب لرفض اقتراحهم بتقديم الخدمة من أجل البنات الصغيرات اللاتي اضطررن إلى العمل الشاق طوال اليوم، خاصة وهن واقفات على أقدامهن. وبالإضافة إلى ذلك، فإن مصنفات الشعر يعتبرن مجموعة من السيدات المعروفات إلى حد كبير بأنهن يقمن بالخدمات الاجتماعية على الرغم من انشغالهن في العمل وجدولهن الضيق. حيث إنهن يزرن القرى المنعزلة التي لا توجد فيها صالونات

لتصنيف الشعر، ويعملن قصات الشعر لسكان القرى مجاناً. في الحقيقة، خلال تلك الفترة، كان المقيمون في المناطق القروية أحياناً يكونون مصابين بالقمل، وهؤلاء المصنفات هن اللاتي استأصلن القمل برش مبيدات حشرية على شعورهم. وبعد مناقشة مبدئية، تقدمت إلى الأمام واقترحت عليهم تقديم صفقة مكونة من خدمات صالونات الشعر والخدمات الطبية من أجل سكان الجزر المنعزلة في بحر الغرب، وقد وافقوا على اقتراحي.

لقد كانت فكرة الترويج لمركزي الطبي من خلال المنتجات والأدوات المستخدمة في صالونات تصنيف الشعر في الحقيقة فكرة أصحاب تلك الصالونات عندما زاروني. وطبعاً، لا أستطيع قول كم من الناس قد زاروا مركزي الطبي بواسطة هذا الترويج، لكنني أعتقد أن العدد كان كثيراً إلى حد كبير. بكلمة أخرى، كان ذلك نموذج مساهمة استراتيجية إدارية من خلال المسؤولية الاجتماعية للشركات (CSR) في فعالية جانبية على شكل الترويج لصورة المركز.

وابتداء من أعوام التسعينيات، بدأت "حملة الكشف عن حياة جديدة" التي تهدف إلى تقديم مساعدات للمرضى الفقراء وغير القادرين على العلاج الطبي المكلف. وفي عام ١٩٩٢، أسست منظمة جديدة تتيح لعامة الناس المشاركة في الحملة بواسطة هذه المنظمة، بالإضافة إلى "مستشفى غيل". وقد أتيح لعامة الناس الراغبين في المشاركة في البرامج فرصة التبرع من خلال حساب بنكي بمقدار دولار واحد، أي ما يعادل سعر فنجان من القهوة، بينما أشرفت على الخدمات الطبية. ومن خلال إقامة مختلف أنواع المناسبات الترويجية، بما فيها سباق ماراثون وعروض فنية وموسيقية، استطعنا إجراء عمليات جراحية لأكثر من ٤ آلاف مريض من المرضى المهمشين اجتماعياً من حيث العلاج الطبي.

لقد ظل "مستشفى غيل" يقدم خدمات طبية مجانية في الخارج منذ فترة طويلة. في عام ١٩٨٣، قام الرئيس الأمريكي رونالد ريجان (Ronald Reagan) وزوجته بزيارة رسمية إلى كوريا، وفي طريق العودة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، أخذوا طفلين كانا يعانيان من مرض القلب، لإجراء عملية جراحية بالمجان هناك. وإلى

جانب مشكلة التكلفة، فإن كوريا آنذاك لم تكن لديها التكنولوجيا اللازمة لإجراء العمليات الجراحية لأمراض القلب. بعد اكتمال بناء "مستشفى غيل التابع لكلية غاتشون الطبية"، والمجهز بالتقنية العالية، ظننت أنه قد حان الوقت لنعيد الفائدة التي أفدناها من البلدان المتقدمة. ففي عام ١٩٩١، وجهنا دعوة لأول طفل من فيتنام لإجراء عملية جراحية مجانية، وتلاه أطفال من منغوليا والصين والفلبين والسلفادور وكمبوديا وكازاخستان ونيبال والعراق واندونيسيا، بالإضافة إلى العديد من الدول الفقيرة الأخرى. حتى الآن، أفاد ١٨٥ طفلاً من برنامج العمليات الجراحية المجانية. وتقديرًا لمساهماتي، حصلت على الوسام الطبي "Hundet Temdeg Meda" من الحكومة المنغولية في عام ٢٠٠٩.

أعتقد أن الـ"كارما" في العالم تعمل بأسلوب سحري، حيث إن السيد "لي غيل أو" الذي عاد إلى الحياة مجددًا بعد تلقي عملية جراحية في الولايات المتحدة في عام ١٩٨٣، بسبب مساعدة الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان وزوجته، يقوم حاليًا بأداء مهامه كسفير للنوايا الحسنة للترويج لحملة عودة الحياة الجديدة، في أثناء عمله في منظمة الإغاثة الدولية "هبة العالم (Gift of International)".

وأظن أنني قد أفدت الكثير جدًا الذي يفوق الآخرين من ناحية والدي، والمجتمع، والدولة. والذي أفاد أكثر من الآخرين عليه تقديم خدمات أكثر للغير أيضًا. إن نمو "مؤسسة غاتشون غيل" لتصبح مجموعة تخدم وتقدم أكبر وأكثر من الآخرين هو نوع آخر من أحلامي التي ظلت أحافظ عليها.

انشر قيمة المصلحة العامة

مرت بضع سنوات منذ تأسيس المعاهد الرئيسة الثلاثة التابعة لـ "مؤسسة غاتشون غيل"، لكن بعض الناس ما زالوا متحيرين حتى الآن. فكلما التقيت بهم، يسألونني دائماً: "كيف قررت استثمار مبلغ ٢٠٠ مليون دولار؟ إنه مبلغ ضخم. أليس ذلك شيئاً يجب على الحكومة نفسها التفكير فيه؟".

وردًا على ذلك أقول: "ربما أنا مولودة بحمض نووي خاص." طبعًا لا يوجد مثل ذلك النوع من الحمض النووي الخاص، ولا أحد مولود بذلك. أعتقد أنه حتى التحديات تحتاج إلى خبرة. فأولئك الأشخاص الذين جربوا التحديات عدة مرات، يستطيعون زراعة الحمض النووي الخاص بالتحديات في شخصياتهم، مهما كانت تلك التحديات سواء ناجحة أم فاشلة. فالحمض النووي الخاص بالتحدي هو شيء يمكنك زراعته بنفسك.

منذ بداية الألفية، عندما استقرت إدارة "مستشفى غيل التابع لكلية غاتشون الطبية"، بدأت التفكير في تحدٍّ جديد، حيث بدأت أفكر في الأشياء التي أستطيع أن أنفذها من أجل مستقبل "مؤسسة غاتشون غيل"، وفوق ذلك مستقبل كوريا. كنت أقرأ بعض الكتب المتعلقة بالموضوعات التي أهتم بها، مع استشارة خبراء في مجالات العلوم الطبية وذوي المعرفة حول النزعات الجارية.

"ألا ترون أن تطوير أدوية جديدة سيكون له أكبر قيمة مضافة في المستقبل؟".

"إن علم الدماغ الذي ظل حتى الآن مجالاً مشابهًا للسحر، سيكون مجالاً يجب أن يجري علم الطب أبحاثًا علمية متعلقة به".

"تكاد لا توجد اكتشافات ذات صلة بدماغ الإنسان حتى الآن. إذا استطعنا الكشف عن علاج مرض ألزهايمر (Alzheimer)، أو مرض باركنسون (Parkinson)، سيكون ذلك رائعًا. لقد سمعت أن الأبحاث العلمية المتعلقة بتلك الموضوعات

تجري بشكل إيجابي وسريع في الخارج. وفيما يتعلق بمجال الخدمات الطبية على مستوى البلدان المتقدمة، ومن ضمنها العلاج الوقائي. ألا ترون أن الوقاية من المرض قبل إصابة الناس به، هو جوهر علم الطب والخدمة الطبية في أعلى مستوى؟".

” تجتذب الأدوية الوقائية اهتمام الناس في كوريا، ونحن لسنا متأخرين، على ما أظن. بالإضافة إلى ذلك، إذا تقدمت رئيسة مستشفى مثلك إلى هذا المجال، فلا بد أنك ستقودينه.“ بعد الاستماع وجمع مختلف النصائح والمعلومات، اتضح لي أن المجالات التي أستطيع، بل ويجب عليّ التحدي فيها، يمكن تلخيصها في ثلاثة أنواع، وهي: "علم الدماغ"، و"السرطان ومرض السكري"، و"تكنولوجيا النانو الحيوية.“ ولا حاجة إلى الإشارة إلى الإحصائيات للتأكد من أهمية كل منها، حيث إن الأمراض المتعلقة بالدماغ، والسرطان ومرض السكري، تعتبر أمراضاً مستعصية تجعل الكثير من الناس في كل أنحاء العالم يقعون في الألم واليأس، كما أنها أمراض انتكاسية تشتد خطورتها كلما طال عمر الإنسان في عصر الشيخوخة. أما تقنية البايو نانو، فهي مجال سيكون له أهمية كبرى باعتباره وسيلة حتمية في الوقاية والتشخيص وعلاج تلك الأمراض الانتكاسية.

لقد توصلت في النهاية إلى أن هذه المجالات الثلاثة مجالات مستقبلية، ولديها إمكانيات غير محدودة في إنتاج قيمة مضافة. على سبيل المثال، إذا تم تطوير علاج ثوري لمرض ألزهايمر أو أدوية جديدة متعلقة بعلاج مرض السكري في معاهدنا البحثية، فسوف يصبح ٧ مليارات نسمة من عملائنا!

ومع هذه الآفاق الإيجابية، كان إنشاء المعاهد البحثية ذات الصلة تحديًا ضخمًا بالتأكيد. ففي حين طلبت من بعض الخبراء إعداد الميزانية اللازمة لتنفيذ هذه المشروعات، تبين أن المطلوب هو مبلغ ضخم جدًا لمجرد تأسيس المعاهد البحثية، وفوق ذلك فإن هذه الميزانية لا تشتمل على التكاليف الضرورية للاستمرار في تشغيلها وإدارتها. ونظرًا لأن هذه المعاهد تبحث في العلوم الطبية على أحدث

وأعلى التقنيات، فكل شيء متعلق بذلك، مثل المباني والمعدات والباحثين والعاملين، يجب أن يكون مختلفاً عن المعاهد الأخرى. على سبيل المثال، جهاز التصوير بالرنين المغناطيسي (MRI) القادر على خلق مجال مغناطيسي قوي تبلغ قوته ٧,٠ باستخدام وحدة تعرف "تسلا (Tesla)"، الذي يستخدم في أبحاث الأمراض المتعلقة بمتلازمة الأيض، يبلغ ثمن الوحدة الواحدة منه نحو ٣ ملايين دولار.

علاوة على ذلك، فإن دعوة وتوظيف خبراء بارزين على مستوى العالم والباحثين الذين سيستخدمون هذه المعدات المتطورة والذين سوف يقودون أبحاث العلوم عالية التقنية، لا يحدث بالطريقة نفسها التي يتم بها توظيف القوى العاملة العامة في أغلب الشركات، حيث إن ذلك يتطلب كمية هائلة من المال. لكن الحمض النووي الخاص بالتحدي الموجود داخلي هو الذي أعطاني الشجاعة والقوة لمواجهة جميع هذه الصعوبات وجهاً لوجه. وبعد التأمل في جميع التفاصيل والاستعداد الدقيق، توصلت في النهاية إلى أنه أمر يستحق المحاولة، نظراً لأن جميع الإنجازات البحثية التي حققناها في المجالات المعنية، لم يبد أنه مستحيل تحقيق نتائج ملحوظة فيها إذا بذلنا جهوداً أكثر. وقد شجعني في ذلك الدكتور "جو جانغ هي" المدير الحالي لمعهد أبحاث علوم الدماغ.

"إن إجراء أي بحث ضخم يتطلب ثلاثة عناصر، هي: الفكرة والوقت والمال. وإذا بدأت تنفيذ هذا المشروع قبل ثلاث سنوات، فإن ذلك ما كان ليصبح ممكناً بسبب نقص المعدات الملائمة. وإذا بدأت تنفيذ هذا المشروع بعد ثلاث سنوات من الآن، فسوف يكون متأخراً. أي إن الآن هو الوقت الملائم تماماً لبدء تنفيذه". في الحقيقة، كنت متأكدة من أنني سوف أتجاوز حتى الفشل. إذا عملنا معاً وحققنا إنجازات ملحوظة، فسوف يكون ذلك خدمة عظيمة لجميع الذين يعانون من الأمراض المستعصية، كما سيكون مساهمة عظيمة في تقوية صورة الجمهورية الكورية عالمياً. وحتى لو فشلت، فإن المعرفة والتجربة لا تزالان تترامان، حتى

تصبحان يوماً ما مصادر لا تقدر بثمن من أجل الأبحاث المستقبلية الإضافية والتنمية الصناعية. في نهاية المطاف، وضعت نفسي أمام تحدٍّ جريء وأنا في الـ ٧٠ من العمر.

”إن مثل هذه المهمة لا نستطيع أن نتوقع أن تبادر بها الحكومة. حتى المؤسسات الخاصة قد يتقرر بقاءها أو انهيارها على أساس احتمال الأرباح الفورية. وإنما أيضاً تعتبر مهمة ضخمة وتستغرق وقتاً طويلاً بالنسبة للجامعات التي يرأسها في الغالب رؤساء منتخبون بمدة محددة لتولي منصب الرئاسة. يعني ذلك أنني يجب عليّ المبادرة بها. وأنا لا أخاف من الفشل حتى ولو لا أستطيع التمتع بالثمار الحلوة من الأرباح، طالما أسهمت في النتائج البحثية في البلاد“.

كانت تلك أكبر مغامرة طوال حياتي بأسرها. الشيء الوحيد الذي كان ينتظرنى لبدء المبادرة هو الجري بجميع طاقتي، وبكل ما في وسعي، متوجهة إلى النجاح. كن حذراً في أثناء تقييم مشروع، لكن كن جريئاً عندما تقرر، ثم كن إيجابياً وشرساً عند التنفيذ. وأنا على يقين بأنني سوف أنجح في هذا المشروع الذي قد يكون آخر رهان كبير بالنسبة لي في حياتي. وقبل كل شيء، لأنني أثق بحمضي النووي للتحدي، الموجود في روحي. إن الحقيقة التي تستطيع نشرها بحمضي النووي للتحدي بين الآخرين تجعل الكلام أكثر جاذبية بالنسبة لي! فيا له من شيء رائع هذا!

الخاتمة



هناك شخص ظل يكافح لكي تصعد عربة ممتلئة بالبضائع فوق تل.

وجاء عالم فيزياء إليه ونصحه كما يلي:

”زاوية التل تبلغ xx درجة، وهذا يعني أنه إذا وضعت طاقة إضافية بمقدار xx، فسوف تستطيع دفع العربة فوق التل.“

وتوجه سياسي إلى الجمهور، ثم صرخ:

”هيا نوحّد قوانا لنساعد هذه العربة على الصعود فوق التل!“.

ومن ناحية أخرى، كان هناك صحفي مشغول بتغطية الخبر والبحث عما إذا كانت هناك أي طريقة مبدعة يمكن بها أن تصعد العربة فوق التل.

لكن مع المجهودات المبذولة من هؤلاء الناس، لم تتحرك العربة صاعدة فوق التل.

وفي النهاية، لم يتحمل أحد هناك ملاحظة الوضع هكذا، وبالتالي بدأ ذلك الشخص في دفع العربة، مما جعلها تتحرك وتصعد فوق التل.

لن تستطيع الحصول على أي شيء دون عمل. تستطيع إثراء حياتك فقط عندما تقوم بنشاطات فعلية. حب الإنسان أيضاً على الشاكلة نفسها، حيث لا تستطيع أن تحب بالكلام أو بالكتابة فقط. فالعالم الطبي الذي يسهر الليل في البحوث، والحداد الذي يعمل بالمعادن دون خطأ حتى بمقدار ٠,٠١ ملليمتر، أو الأديب الذي يصهر نفسه في كتاب يؤلفه وحده، والمعلم الذي يتأمل في السبل الأفضل لتعليم الطلاب حتى الفجر بينما ينام الآخرون، كلهم يبدون جبههم نحو الإنسان من خلال أنشطة فعلية. وطوال حياتي لاحظت أننا لا نستطيع تحقيق أي إنجاز دون عمل، سواء في الخدمات الطبية أو في التعليم.

لقد فكرت في التقدم إلى الدائرة السياسية عدة مرات، لكن أحلامي كانت ولا تزال وسوف تظل تتركز على المستشفيات والجامعات. إذا كنت قد خططت لأن أصبح سياسية، فلم أكن لأبدأ حتى في إدارة جامعة، ولم أكن لأحلم بجعل "جامعة غاتشون" من أفضل الجامعات الخاصة على مستوى العالم. فالجامعات والمستشفيات هي حياتي برمتها.

لقد ظلت أحلامي كبيرة وعميقة، لكن أنشطتي كانت متواضعة دائماً. وأمنيته الوحيدة هي أن تكون "جامعة غاتشون" جامعة خاصة بارزة على مستوى العالم، ويكون "مستشفى غيل" مستشفى بارزاً على مستوى العالم. ومن ثم أتمنى أن يحصل أي شخص من بين خريجي "جامعة غاتشون" على جائزة نوبل، وأن يتقاسم المحبة التي حصل عليها بصورة أكبر من أجل مصلحة الآخرين. هذه هي إدارة الخدمة العامة الحقيقية في جوهرها، على ما أعتقد. سوف أكون مرتاحة إذا تذكرني الناس في المستقبل كإنسانة كانت تحب المستشفيات والجامعات بصورة حقيقية، وكإنسانة كانت تحب الناس بقلب الأم وكأنها أم أرادت تقديم كل ما لديها من أجل أولادها بحب غير مشروط، وكامرأة ظلت تحب الناس بقلب الأم.

وأخيراً أود أن أقول لجميع الناس، إن إدارة الخدمة العامة هي باختصار حب الإنسان.

تعريف بـ"جامعة غاتشون"

(<https://www.gachon.ac.kr/kor/index.do>)

نبذة عامة

"جامعة غاتشون" (الرئيسة: السيدة/ لي غيل يو) هي جامعة موحدة انطلقت في عام ٢٠١٢، من خلال دمج ٤ جامعات، هي: "جامعة غاتشون للطب والعلوم"، و"جامعة كيونغ وون"، و"جامعة غاتشون غيل"، و"كلية كيونغ وون" (نظام السنتين). ويعتبر هذا الدمج لـ٤ جامعات خاصة هو الأول من نوعه في كوريا. يقع الحرم العالمي للجامعة في مدينة "سيونغنام" بمقاطعة "غيونغغي-دو"، ويقع الحرم الطبي الذي توجد فيه كليات الطب والصيدلة والتمريض والطب والعلوم الحيوية والرعاية الصحية، في مدينة "إنتشون".

توجد في الجامعة ١٤ كلية، و٨ كليات جامعية (تضم ٢٠ تخصصًا)، و٤٦ قسمًا تابعًا لها، بينما يبلغ عدد الطلاب ٢١,٩٢٨ طالبًا وطالبة (بمن فيهم ٢,٦٢١ طالبًا وطالبة في الدراسات العليا)، وذلك حتى شهر أبريل من عام ٢٠٢١.

الظروف التعليمية

تتمتع "جامعة غاتشون" بقوة طبية عظيمة، حيث تشتمل على كلية الطب والعلوم، وكلية الطب التقليدي، وكلية الصيدلة والأدوية، بالإضافة إلى كلية التمريض. تعتبر كلية الطب على أعلى مستوى تعليمي طبي حيث إنها مجهزة ببنية تحتية تتميز بـ"مستشفى غيل التابع لجامعة غاتشون" الذي يعتبر أحد أعلى ثلاثة مستشفيات من حيث إجراء الأبحاث العلمية، التي تم تعيينها من قبل الحكومة. كما تمنح الجامعة للطلاب المنح الدراسية الأعلى بالنسبة للجامعات

المحلية، وتخصص استثماراً هائلاً في التعليم، مما يسهل على الطلاب الجدد إحراز أعلى مستوى من النتائج الدراسية في كوريا، عند الالتحاق بها. وتشرف الجامعة على معاهد علمية طبية تتمتع بمستوى عالٍ في مجال تصوير الدماغ ومجال الطب الأساسي، وتشمل تلك المعاهد كلاً من: "معهد غاتشون لأبحاث علوم الدماغ"، و"معهد لي غيل يو لأبحاث أمراض السرطان والسكري"، و"معهد غاتشون لأبحاث تكنولوجيا النانو الحيوية"، وغيرها.

وبهدف تطوير القوى العاملة الموهوبة التي سوف تقود عصر الثورة الصناعية الرابعة، افتتحت "جامعة غاتشون" تخصص الذكاء الاصطناعي في عام ٢٠٢٠ لأول مرة في الكليات الجامعية المحلية، كما زادت عدد الطلاب الجدد لعام ٢٠٢١، ليكون ١٥٠ طالباً وطالبة. وقبل ذلك، أسست كلية متخصصة في البرمجيات لأول مرة في كوريا في عام ٢٠٠٢، وفي عام ٢٠١٥ اختيرت كجامعة تركز على تعليم البرمجيات، مما يجعلها تقود تطوير كوادر واعدة متخصصة في البرمجيات ذات قوة تنافسية على مستوى العالم. وابتداءً من عام ٢٠١٦، صار يتوجب على جميع الطلاب في الجامعة تعلم البرمجيات. وفي عام ٢٠١٩، بدأت الجامعة تطبيق نظام SW Passport (الاعتماد على إكمال دورة تعليمية في البرمجيات). وفي عام ٢٠٢١، اختيرت باعتبارها جامعة تنفذ المرحلة الثانية من مشروع تطوير الطلاب الموهوبين ذوي الكفاءات في مجالات تكنولوجيا المعلومات والبرمجيات.

تهدف "جامعة غاتشون" إلى تطوير الموهوبين الذين سوف يقودون الصناعات المتقدمة. ومن أجل تحقيق هذا الهدف، افتتحت أقساماً مثل: (التخصص في المصانع الذكية - التخصص في الأمن الذكي - التخصص في أشباه الموصلات للجيل القادم - التخصص في المدينة الذكية المتكاملة). وبالإضافة إلى ذلك، تسعى الجامعة للابتكارات التعليمية من خلال تنظيم دورات "Ntree Camp (معسكر الدليل)" للابتكار المتكامل التي يشارك الطلاب من خلالها في مختلف البرامج التجريبية الإبداعية لمدة يومين دون نوم، و"فترة P(project) - وهي الفترة الدراسية المرنة"، حيث يستطيع الطلاب خلالها المشاركة في المشروع بشكل مركز مقابل الحصول على نتائج دراسية محددة.

الإنجازات التعليمية

تحقق "جامعة غاتشون" إنجازات ملموسة على صعيد تقييم الجامعات، حيث احتلت المركز التاسع والعشرين في تقييم الجامعات الذي أجرته صحيفة "جونغ آنغ" اليومية في عام ٢٠١٩، وقد ارتفع هذا الرقم بأربعة وثلاثين مركزاً بعد أن كانت في المركز الثاني والسبعين في تقييم عام ٢٠٠٥.

واحتلت الجامعة المركز الأول في محور إنشاء الأعمال الجديدة تعليمياً، كما احتلت المركز العاشر في عدد الرسائل العلمية، والمركز الثاني عشر في مجال "Category"(CNCI (Normalized Citation Impact)، والذي يقيم مستوى الرسائل، الأمر الذي يدل على تحسن الظروف التعليمية ومستويات أبحاث الأساتذة العلمية. وبالإضافة إلى ذلك، احتلت الجامعة المركز الثالث والعشرين في مجال تقييم الجامعات للعلوم والهندسة الذي أجرته صحيفة "THE KOREA ECONOMIC DAILY" في عام ٢٠٢٠، والمركز السابع والعشرين في قائمة الجامعات العالمية الأكاديمية (Academic Ranking of World Universities: ARWU)، التي أعلنتها جامعة "Shanghai Jiao Tong: SJTU" التي تعد ضمن المعاهد التعليمية العليا. وبفضل هذه الإنجازات الأخيرة، احتلت "جامعة غاتشون" المركز الثالث من بين الجامعات الكورية في كل أنحاء البلاد من ناحية عدد المتقدمين بطلبات للالتحاق بها في عام ٢٠٢١.

مميزات الحرم الجامعي

في عام ٢٠١٠، تم إنشاء مبنى "فيجن تاور" (Vision Tower) الذي يربط بين محطة مترو وحرم جامعي لأول مرة في كوريا، كما تم افتتاح "جناح غاتشون" لتحسين الظروف التعليمية في الحرم الجامعي. وفي عام ٢٠١٧، تم افتتاح مبنى كلية الطب المجهز بظروف تعليمية وبحثية طبية حديثة. وحالياً تجري عمليات إنشاء مبنى الذكاء الاصطناعي المخصص لتعليم تقنية الذكاء الاصطناعي، وإنشاء المسكن الثالث للطلاب الأجانب، وسوف تكتمل حتى شهر فبراير من عام

٢٠٢٢. ومن ناحية أخرى، تنفذ الجامعة أنشطة علمية من خلال التعاون الفعال مع المؤسسات المتخصصة في تكنولوجيا المعلومات، بالاستفادة من موقع الجامعة الذي يقع بالقرب من المجمع التقني في منطقة "بان غيو" ((Pangyo Technovalley)، والمجمع التقني في شارع "طهران" بمنطقة "كانغ نام" (Gangnam Teheranvalley).

التبادلات الدولية

أسست "جامعة غاتشون" "مركز هاواي غاتشون للتدريب العالمي" في عام ٢٠١٢، وسط حي "وايكيكي" بولاية هاواي بالولايات المتحدة الأمريكية. يتكون المركز من ٣ طوابق فوق الأرض، ويوجد فيه مسكن وصالة للاستراحة، ومسبح في الهواء الطلق، ومختبر مجهز بأجهزة كمبيوتر، وغير ذلك من المنشآت الأخرى. ويזור هذا المركز سنويًا نحو ٣٠٠ طالب وطالبة ليشاركوا في دورات تعليمية للغة الإنجليزية، إلى جانب تجربة الثقافة المحلية لمدة ما بين ٤ أسابيع إلى ١٥ أسبوعًا. ومن أجل تخفيف الأعباء المالية عن الطلاب، تتحمل الجامعة التكاليف اللازمة، بما في ذلك الرسوم الدراسية، وأجر السكن، وأجر الذهاب والعودة بالطائرة. بالإضافة إلى ذلك، تنظم الجامعة برامج متنوعة للتبادلات الدولية من خلال التعاون مع ٢٠٣ جامعات في ٣٣ دولة، مثل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والصين وأستراليا وكندا وغيرها.

تاريخ غاتشون

إن "جامعة غاتشون" (الرئيسة: السيدة/ لي غيل يو) هي جامعة موحدة انطلقت في عام ٢٠١٢، من خلال دمج ٤ جامعات، هي: "جامعة غاتشون للطب والعلوم"، و"جامعة كيونغ وون"، و"جامعة غاتشون غيل"، و"كلية كيونغ وون" (نظام السنتين). ويعتبر هذا الدمج لـ ٤ جامعات خاصة هو الأول من نوعه في كوريا. يقع الحرم العالمي للجامعة في مدينة "سيونغنام" بمقاطعة "غيونغبي-

دو"، ويقع الحرم الطبي الذي توجد فيه كليات الطب والصيدلة والتمريض والطب والعلوم الحيوية والرعاية الصحية، في مدينة "إنتشون".

افتتحت "جامعة غاتشون" كلية جامعية متخصصة في تقنية الذكاء الاصطناعي لأول مرة في كوريا، وتشمل هذه الكلية أقسامًا ذات تخصصات في المصانع الذكية والأمن الذكي وأشبه الموصلات للجيل القادم والمدينة الذكية المتكاملة. بالإضافة إلى ذلك، أسست "جامعة غاتشون" في عام ٢٠١٢ "مركز هاواي غاتشون للتدريب العالمي"، وسط حي "وايكيكي" بولاية هاواي بالولايات المتحدة الأمريكية.

تتمتع "جامعة غاتشون" بقوة عظمى طبية، حيث تشتمل على كلية الطب والعلوم، وكلية الطب التقليدي، وكلية الصيدلة والأدوية، بالإضافة إلى كلية التمريض. وتجهز كلية الطب بأعلى مستوى تعليمي طبي من خلال البنية التحتية المتميزة لـ "مستشفى غيل التابع لجامعة غاتشون" الذي يعتبر واحدًا من أعلى ثلاثة مستشفيات من حيث إجراء الأبحاث العلمية، والتي تم تعيينها من قبل الحكومة. كما تمنح الجامعة للطلاب المنح الدراسية الأعلى بالنسبة للجامعات المحلية، وتخصص استثمارًا هائلًا في التعليم.

٢٠١٢

انطلاق "جامعة غاتشون الموحدة".

(دمج جامعة غاتشون للطب والعلوم، وجامعة كيونغ وون، وجامعة غاتشون غيل، وكلية كيونغ وون (نظام السنتين).

فبراير ٢٠١٢

"مركز هاواي غاتشون للتدريب العالمي"، وسط حي "وايكيكي" بولاية هاواي الأمريكية.

٢٠ يونيو ٢٠١٤

اكتمال عملية بناء "جناح غاتشون" (مبنى مقر الجامعة).

١ يوليو ٢٠١٤

اختيارها باعتبارها جامعة تنفذ "مشروع تطوير الجامعات من أجل كوريا المبتكرة ٢٠١٤ (CK-II)"، من قبل وزارة التربية والتعليم.

احتلال المركز الأول المشترك من بين الجامعات الواقعة في ضاحية العاصمة سيول "تقديم دعم ٣,٥ ملايين دولار سنوياً إلى ٦ جامعات - يصل الدعم الإجمالي إلى ١٨ مليون دولار خلال فترة ٥ سنوات".

٦ يوليو ٢٠١٥

بتنظيم وزارة التربية والتعليم، والمجلس الكوري للتعليم الجامعي، تم اختيارها باعتبارها جامعة تنفذ "مشروع تطوير الجامعات القيادية للتعليم الجامعي (Advancement of College Education: ACE)"، لمدة ٤ سنوات على التوالي، وتعتبر هذه الجامعة هي الوحيدة في هذا الصدد من بين الجامعات الواقعة في مقاطعة "غيونغغي-دو". منطقة "إنتشون".

٦ أكتوبر ٢٠١٥

اختيارها باعتبارها "جامعة تركز على تعليم البرمجيات (SW)" من قبل وزارة العلوم وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وبموجب ذلك، تتلقى الجامعة ١٠ ملايين دولار خلال فترة ٦ سنوات.

١٩ يناير ٢٠١٧

اكتمال عملية بناء المسكن الثاني للطلاب.

١٤ أغسطس ٢٠١٧

اكتمال عملية بناء مبنى كلية الطب.

٩ مايو ٢٠١٩

بمناسبة الذكرى التسعين لتأسيس "جامعة غاتشون"، إنشاء تمثال "اللامحدودية" الذي يرمز إلى الجامعة.

١٢ مارس ٢٠٢١

اختيار "جامعة غاتشون" باعتبارها جامعة تشرف على المركز المعني بفرص العمل للطلاب.

٢٢ أبريل ٢٠٢١

اختيار "جامعة غاتشون" باعتبارها جامعة تنفذ المرحلة الثانية من "مشروع تطوير الجامعات التي تركز على تعليم البرمجيات" من قبل وزارة العلوم وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

٢٧ أبريل ٢٠٢١

اختيار "جامعة غاتشون" باعتبارها "جامعة تشرف على مشروع إقامة البنية التحتية في مجال أشباه الموصلات".

كلمة المترجم

هناك ثلاثة أنواع من الحياة في هذا العالم. الحياة كشخص لا يفرق وجوده من عدمه، والحياة كشخص وجوده ضروري لا غنى عنه، والحياة كشخص عديم الفائدة. وأن تكون إنساناً يحتاج إليه الجميع في كل وقت وكل مكان ليس بأمر يسير، ولكنه ممكن عندما تفكر في الآخرين قبل نفسك، وعندما تلصق فضيلة العطاء دائماً بجسدك.

تقيم الحضارة المادية حياة البشر، وتدمر العالم الروحي لهم شيئاً فشيئاً. عندما فكرت من هو أكثر شخص مثالي ولا يمكن الاستغناء عن وجوده في وسط هذا الواقع حيث يزداد العالم قسوة، تسللت إلى داخلي قناعة بأن ذلك البطل هو رئيسة جامعة "غاتشون" الواقعة بكوريا الجنوبية، وهي السيدة "لي غيل يو".

فعلى الرغم من ولادتها عام ١٩٣٢، إلا أنها تتمتع بتأثير على من حولها بفضل نشاطها وقوة إرادتها التي لا تقل عن الشباب، إن لم تكن تزيد. من أين تنبعث تلك الطاقة؟ في الحقيقة، عندما يبلغ معظم البشر ٨٩ عاماً من العمر يعيشون وهم يعانون من الأمراض إن لم يكونوا قد أحل بهم الخرف. يعتقد الناس عند النظر إلى تلك السيدة أنها في الخمسينيات من عمرها، ويذهلون عندما يعرفون عمرها الحقيقي.

عندما سألتها الصحفيون عن سر احتفاظها بشبابها الدائم، قالت "يبدو أن ذلك نابع من الشعور بالواجب". وأضافت أن أساس الشعور بالواجب لديها كان أبوها عندما كانت صغيرة، ثم المرضى بعد أن أصبحت طبيبة، وبعدها المجتمع بعد تأسيس مؤسسة "غاتشون غيل". وعندما سئلت عن سر صحتها، قالت إنها لا تسمح للضغط العصبي بأن ينال منها، وإن حدث، فإنها تفكر في الأمر بشكل إيجابي، فيختفي على الفور.

يصبح الشباب شيوخاً من دون الأحلام والشغف، ويصبح الشيوخ شباباً عندما تحترق الطاقة. هذه السيدة هي امرأة في سن الشيخوخة تعيش مثل بئر زمزم الذي لا ينضب أبداً. فالنحل المشغول لا يملك وقتاً للحزن. هذا التشبيه ينطبق على السيدة "لي غيل يو". فهي تعد قائدة من بين القيادات النسائية الكورية بل والعالمية.

وهي تكرس روحها وقوتها لفكرة واحدة وهي "أن تنافس جامعة "غاتشون" جامعات العالم، وأن تنشئ كوادر يمكنها أن تلعب دوراً بارزاً على الساحة العالمية". إنها لا تخشى التغيير، بل إنها -مقارنةً بأي جامعة أخرى- تعتبر هذا التغيير فرصةً وتعتقد أن التعليم الجامعي يجب أن يركز على تنمية القدرات الفريدة للبشر التي لا تستطيع الآلات والذكاء الاصطناعي تحقيقها بالرغم مما لهما من دور رئيس في الثورة الصناعية الرابعة.

ولعل أساس ذلك هو الإبداع والقدرة على التفكير النقدي والتعاون واتخاذ القرار. وهي تعتقد أنه من أجل تطوير هذه القدرات، يجب تعليم الطلاب "كيفية التعلم" بشكل صحيح، والتحول من التعليم التقليدي المتمحور حول "التعرف" إلى التعليم التجريبي القائم على "التجربة".

فهي تقول إنه من خلال المحاضرات التي تتبع أسلوب الدراسة في القرن الحادي والعشرين، يجب أن يتعلم الطلاب "كيفية التعلم" و"كيفية التخيل" ويختبرون ذلك بأنفسهم، وأن يستمع الطلاب أولاً إلى محاضرات خاصة حول التفكير التصميمي وكيفية الاستفادة من البرامج وتكنولوجيا المعلومات (IT/SW) لفائدتها في تعزيز التفكير الإبداعي والتصميمي، ثم يشكلون فرقاً، ويحددون موضوعاً إبداعياً ينطوي على تحدٍّ، وأن يسهروا طوال الليل باحثين عن حل له خاص بهم.

كما تقول إن هذا المعسكر الإبداعي يجري تطويره كبرنامج مميز وفريد لجامعة "غاتشون" يعمل على تنمية قدرة التفكير الإبداعي، مثل (D-school) بجامعة ستانفورد في الولايات المتحدة. وبينما كان المترجم يتأمل السيدة "لي غيل يو" -رئيسة جامعة "غاتشون"- من بعيد ولفترة طويلة، لم يسعه سوى احترام تلك

السيدة التي تخلت عن حلم أي امرأة عادية في الزواج وتكوين أسرة لتكرس حياتها ويكون شغلها الشاغل هو التطوع من أجل الخدمة العامة.

ويبتابني القلق بشأن ما إذا كانت الوصايا العشر للسيدة "لي غيل يو" في إدارة الخدمة العامة وفلسفة الحياة قد تم نقلها بشكل غير صحيح من خلال هذه الترجمة. ومع ذلك، إنه لأمر مُثَرِّبٍ بالنسبة لي أنني تعرفت ولو على القليل حول ما يدور في خبايا قلب وعقل السيدة "لي غيل يو"، التي عاشت طوال حياتها في هذا العالم القاسي من أجل خدمة الآخرين. وفي المستقبل، أمل أن يظهر جيل ثانٍ وثالث من السيدة "لي غيل يو" وأن يعيش كل إنسان في العالم بسعادة بلا فقر أو مرض.

وفي الختام، أود أن أعرب عن خالص شكري للدكتورة "كيم جي هي / أميرة" (الباحثة في معهد أبحاث الحضارة فيما بين أوروبا ومنطقة "ميناء"، جامعة سو كانغ) ونوران شلبي (طالبة الدكتوراة في جامعة هانكوك للدراسات الأجنبية) على مساعدتهما لي بدقة في صياغة مسودة الترجمة، وإلى الدكتور عبد الغفار (جامعة القاهرة) الذي تولى التدقيق اللغوي للترجمة "المروحة الورقية الجميلة".

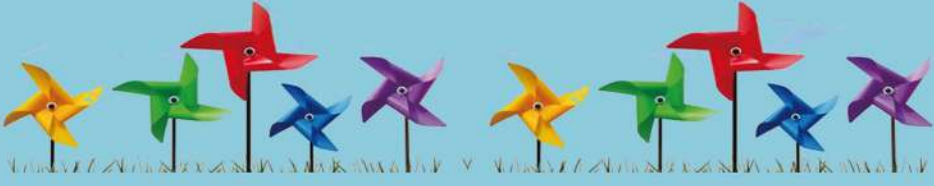
إن المترجم أيضاً في صغره كان يصنع المروحة الورقية الجميلة ويلعب بها. وقالت السيدة لي أيضاً إنها كانت تحب المروحة الورقية الجميلة منذ نعومة أظفارها.

هذا لأن المروحة الورقية الجميلة لا يمكنها الدوران إلا في وجود رياح عكسية. فالفرح دائماً يأتي بعد التغلب على المحن التي تسوقها لنا تحديات القدر. أتمنى من خلال هذا الكتاب أن يتحلى الشباب العربي بروح التحدي وأن تستعيد الثقافة العربية أمجاد الماضي وأن تضطلع بدور محوري في القرن الحادي والعشرين.

الدكتور كيم جونغ دو (موسى)

الإحسان · العمل التطوعي · حب الوطن، محبة الناس

إدارة المصلحة العامة الدافئة للسيدة لي غيل يو مثل المروحة الورقية التي لا تتوقف إطلاقاً



التبرع، التقاسم، هي الرأسمالية الحميمة

في الفناء الخلفي لـ "مستشفى غيل" كانت هناك دائماً مزروعات مثل الذرة والبطاطا الحلوة، بالإضافة إلى بعض الأسماك. وهذه كلها أحضرها المرضى الذين خرجوا من المستشفى ولم يتمكنوا من دفع تكلفة العلاج الطبي. حيث كانت الطبيبة تضع لافتة على باب المستشفى تقول: "لا نطلب من المريض دفع تأمين مسبق". في هذا السياق الذي يتبادل بموجبه الأخذ والعطاء، أنظر إلى القرن الحادي والعشرين الذين يسوده التقاسم والتبرع مجدداً. وسط الأصوات الغاضبة التي تدعو إلى "السيطرة على سوق الأوراق المالية - وول ستريت"، والعصر الذي يثير استقطاباً قاصياً وخالياً من المرونة، أبحث عن جذور "الرأسمالية الحميمة" وإدارة المصلحة العامة التي تتجه إليها السيدة لي غيل يو.

– لي هيون رانك، رئيس التحرير السابق لصحيفة "دونغ آه" اليومية، الرئيس السابق لجامعة هانكوك للدراسات الرقمية

صاحبة حب الغير في العصر الاستقطابي المؤسف

إنّ نجاح الإدارة عادةً يقوم على الأناية الصارمة والقاسية، حيث لاحظتُ أن الإدارة الحميمة التي تنفذ رؤية محبة الغير، قد فشلت دائماً مع الأسف الشديد. من هذا المنطلق، فإن إدارة السيدة لي غيل يو، مميزة وغريبة للغاية. حيث تتجه رؤيتها إلى المبادئ التي تقوم على التقاسم · التبرع · حب الوطن، لكنها حققت بناء برج النجاح الملموس بلا فشل. لا تبدو الإدارة الناجحة والعمل الخيري كأمرين متلائمين، لكن السيدة لي غيل يو نجحت في تحقيقهما. ولذلك فهي نموذج مثالي بارز في هذا العصر.

– يون أن غي، رئيس المعهد لتدريب موظفي الهيئات الحكومية المركزية، الرئيس السابق لجامعة سيول للدراسات العليا في العلوم & التكنولوجيا المتكاملة

